الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة السانية وهران
كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية

الموضوع في القرآن الكريم

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية

تخصص لغة ودراسات قرآنية

تحت إشراف :
الأستاذ الدكتور الجيلالي سلطاني

إعداد الطالب:
خيال طيفور

أعضاء لجنة المناقشة :

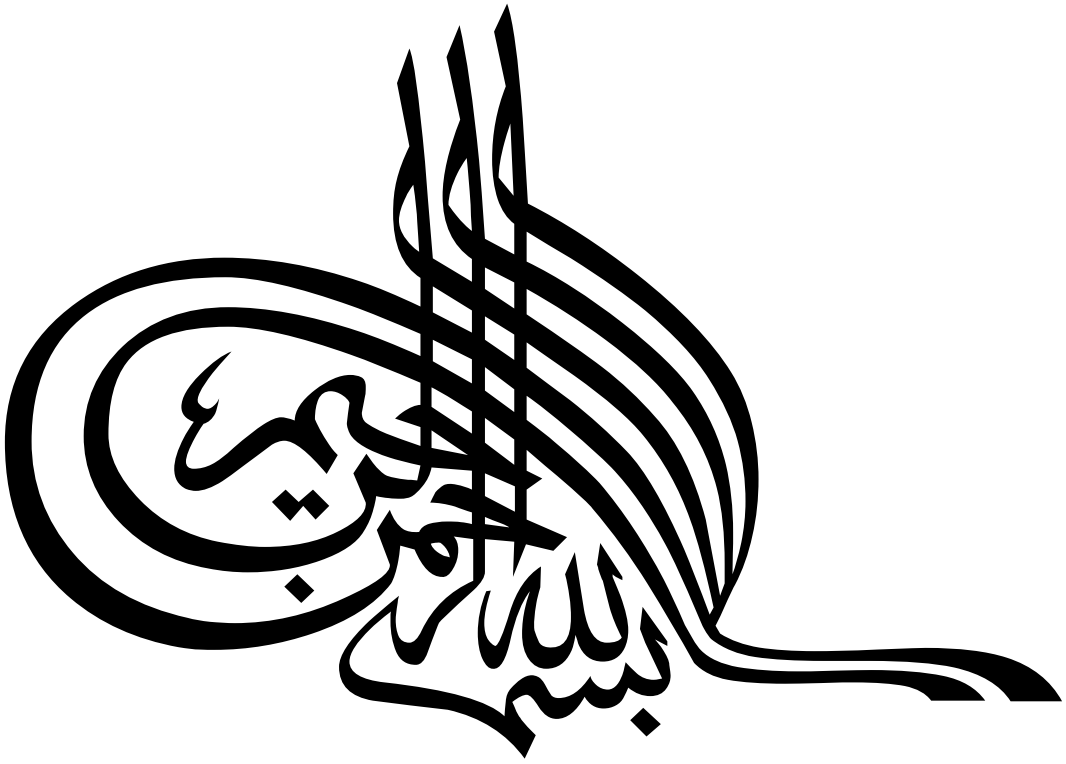
أ.د محمد زعراط	رئيسا	جامعة وهران
أ.د الجيلالي سلطاني	مقررا	جامعة وهران
أ.د رابح دوب	عضوا مناقشا	جامعة قسنطينة
أ.د كروم بومدين	عضوا مناقشا	جامعة تلمسان
د.سدار نور الدين	عضوا مناقشا	جامعة معسكر
أ.د.العربي قلايلية	عضوا مناقشا	جامعة وهران

السنة الجامعية 2012 – 2013 / 1433 – 1434

الموضوع في القرآن الكريم

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية

تخصص لغة ودراسات قرآنية


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و إهداء

شكري لله ربي أولا و لوالدي الكريمين ثانيا و إلى
أساتذتي الكرام و أخص سيدي المشرف الذي أرهقته
بعنادي ثم أستاذي الفاضل رابح دوب الذي تعلمت
على يديه مبادئ البلاغة و البيان و إلى كل من علمني
حرفا أو أسدى إلي عونا أو معروفا من قريب أو بعيد.
دون أن أنسى أخي بلخير و عبد الرحمن و بالقناديل
و أختي الصديق فاطمة و زوجاتي و أبنائي

إبنكم البار



"....قد يناقش الإنسان غيره، فيشرح بوضوح ما عنده و يبسط الدلائل التي عمرت باليقين قلبه، و يفند الشبه التي قد توجه إليه. كالمدرس الذي يفهم تلامذته حقيقة علمية مشرقة في رأسه، فهو يتلقى أسالتهم و حدسهم بثقة العالم ليكشف العماء، و يزيل الخفاء . بيد أنّه لا ينسى – و هو يحاور– أنّه يحمل حقيقة راسخة لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها..."

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام وآله وصحبه ومن تبعه باحسان إلى يوم الدين.

لا يخفى ما للقرآن الكريم من أهمية بالغة في حياة البشرية عامّة و المؤمنون به خاصّة. بل هو الاهتمام كلّه. ممّا يجعلني في غنى عن تفصيل ذلك ، فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[1] ، بالحق وبالحق نزل فلا يمكن فهم هذا الكتاب المبين إلاّ بفهمه الصحيح ،كما فهمه الجيل الذي أنزل عليهم، و لا يمكن فهمه إلاّ بتفسيره ولا يمكن تفسيره إلاّ بمعرفة علومه؛ ومنذ بدأ هذا القرآن في النزول وتساؤلات[2] الصحابة رضوان الله عليهم تتصاعد وتتعدد لفهمه، والرّسول الكريم عليه الصلاة و السلام يجيب عن أسئلتهم طورا، و الله سبحانه وتعالى يجيب بالقرآن الكريم طورا عن هذه الأسئلة فضلا عن أجوبة الصحابة الكرام عن بعضهم البعض و هذا ما يعرف بالتّفسير بالمأثور .

الجدير بالتّوضيح و البيان أنّ معظم ما وصلنا من التّفاسير بأنواعها المختلفة ، جلّه مكرر و بعضه مزيف مطعّم بأحاديث موضوعة أو ضعيفة. ، وما تبقّى من ذلك اجتهادات قابلة للأخذ بها أو ردّها. ممّا بات لزاما على هذا الجيل إعادة النظر في أصول هذا العلم و تحديد قواعده التي يرتكز عليها، فضلا عن تدعيمه بطرق البحث الحديثة ذات المعيارية الدقيقة حتّى لا يمسي هذا العلم حكرا على الكتب القديمة ولا يتخلّف عن مواكبة النّظريات العلمية القائمة و التّطور العلمي المذهل و بهذا تكون آيات الله شاهدة على خلود هذا الدّين ﴿ سَنُرِيهِمْ

---

[1] الإسراء الآية 105 .

[2] وردت لفظة(يسألونك) ثمان مرات، و لفظة سألك مرة واحدة ،و لفظة سأل مرة واحدة،و لفظة سائل مرة واحدة و لفظة يستفتونك مرة واحدة. و السؤال بمتى تسع مرات،و السؤال بكيف إثنان و ستون مرة.و السؤال بأين أربعة عشر مرة.و السؤال بهل أربع و ستون مرة.

ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

إنّ أحق علم تصرف له عناية المرء هو كتاب الله، و قد نبّه الإمام أبو جعفر الطبري – رحمه الله–إلى هذا فقال في مقدمة تفسيره:"اعلموا عباد الله رحمكم الله أنّ أحق ما صرفت إلى علمه العناية و بلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضى، و للعالم به إلى سبيل الرّشاد هدى، و أنّ أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه و تنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسني الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفة".[2]

و لسنا هنا نزعم – و لا أحد يزعم – أنّه في مقدوره الإحاطة بكتاب الله تعالى، فعن الإمام مالك –رحمه الله– أنّ رجلاً قال له: يا أبا عبد الله (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) كيف استوى؟ قال الراوي: فما رأيت مالكاً وجد من شيء كما وجدته من مقالته و علاه الرحضاء (يعني العرق)، و أطرق القوم.

قال: فسُريَّ عن مالك فقال: «الكيف غير معقول، و الإستواء منه غير مجهول، و الإيمان به واجب، و السؤال عنه بدعة، و إنّي أخاف أن تكون ضالاًّ». و أُمِرَ به فأُخرج[3] .

و ذكر بن قتيبة في مقدمته: "أنّ فضل القرآن لا يعرفه إلاّ من كثر نظره و اتّسع علمه و فهم مذاهب العرب، و افتنانها في الأساليب، و ما خصّ الله في لغتها دون جميع اللّغات فإنّه ليس في جميع الأمم، أمّة أوتيت من العارضة و البيان، و اتّساع المجال ما أوتيتها العرب.."الذي أقامه الله لها مقام الكتاب لغيرها، و جعله لعلومها مستودعا و لآدابها حافظا و لأنسابها مقيدا، و لأخبارها ديوانا لا يرث على الدّهر و لا يبيد على مرّ الزّمان..و لعرب مجازات في الكلام، و معناها طرق القول و مآخذه ففيها: الإستعارة و التمثيل، و القلب و التّقديم و التّأخير، و الحذف و التّكرار، و الإخفاء و الإظهار، و التعرض والإفصاح والكناية و الإيضاح، و

---

[1] فصلت الآية 53.

[2] جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط1، بدار هجر. ج7/1

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت: ج13 ص407.

مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، و الجميع خطاب الواحد، و الواحد والجميع خطاب الإثنين، و القصد بلفظ الخصوص بمعنى العموم، و بلفظ العموم بمعنى الخصوص. و بكل هذه المذاهب نزل القرآن"[1]

و يقول الدّكتور عبده الراجحي:" ... فإنّ القرآن الكريم حياة هذه الأمّة ، لا تبتعد عنه لحظة إلاّ و تبتعد عنها معالم الحياة... و لا سبيل إلى فهم حياة هذه الأمّة إلاّ بدرس كتابها و درس لغتها التي عاشت فيه، و لسنا نعرف لغويا آصل و لا أعمق من درس يصل بين العربية و القرآن. و ليس من ريب في أنّ القدماء قد قدّموا لنا مجهودات عظيمة في الدّرس اللّغوي للعربية، لكن المصدر الأول الذي صدرت عنه هذه اللّغة و الذي لا تزال تصدر عنه حياتها هذه الطويلة لم يزل في حاجة إلى بيان."[2]

و لو تتبّعنا أقوال العلماء و العاملين في هذا الميدان القرآني لوجدناها لا تبرح دائرة هذه التساؤلات، من إقبال و إحجام، و تردد و محاولة ولوج، و هذه هي طبيعة القرآن كلٌ يغترف منه كالبحر ؛ و لا يمكن لأيٍ كان أن يخوضه كله أو يغترف ماءه بالجملة، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾.[3]

أسباب اختيار الموضوع:

لعل من أهم أسباب إختيار هذا الموضوع هو نفسه سبب إختيار هذا التخصص في الدراسات القرآنية ، فمنذ صغري و أنا مولع بالكشف عن بعض معاني الآيات ، و أسئلتي الفضولية لماذا قال الله تعالى كذا و لم يقل كذا؟ ما فائدة التّقديم هنا و التّأخير هناك؟ لماذا خُصّ هذا النبي أو القوم في هذا المقام بالذكر هنا دون سواهم؟ و لماذا ضمّ الله قصة قوم دون أخرى أو قام بتضمين قصة نبي دون غيره؟ مع أنّ الأمثلة ممكنة من أيّ موضع. فالذي لا يعتني بهذا الجانب لا يمكنه أن يميز لماذا احتل هذا المثال هذا الموقع .

---

[1] تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، ، دار التراث ، القاهرة 1185 ص 78، 79

[2] اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي ، ، ط1، 1420، 1999، مكتبة المعارف، الرياض ، ص1 من المقدمة

[3] الكهف الآية 109.

و لنمثّل بهذا المثال من سورة القلم ، فبعد أن تحدّث الله عن قصص كثيرة كان سببها التّسرع و نفاذ الصبر ختمت بقوله تعالى :﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ [1].

فالعلاقة هنا جلية فمن ناحية الشكل بدأت السورة بحرف "ن" وانتهت بنون، ومن الناحية النفسية أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان في ضيق من قومه كأخيه يونس ـ عليه السلام ـ ومن النحية الدعوية كان تحذيرا عمليا من أن يقع في مثل ما وقع فيه أخيه من التسرع في اتخاذ قرار فردي، ومن الناحية البيانية الموضوعية، كانت هذه القطعة من السورة تلخيصا للسورة كاملة وأفادت أن النصر للصابرين. و كان من باكورات بحثي هذه الإكتشافات أو اللفتات السرية التي أثلجت صدري، خاصة و أنا أتلقى الموافقة و القبول من بعض مدرسيي حفظ الله الباقين و رحم الذي لقوا ربّهم سالمين، منهم محمد الغـزالي و الدّكتور رضوان علي حسين و الدّكتور عبد العزيز بوكعباش وأستاذي الفاضل رابح دوب.

بل كان أول تساؤل في حياتي حول قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [2].

فقد شدتني هذه الآية زمنا طويلا من التفكير، و ما علاقة التواضع بطول الجبال؟ أو اختراق الأرض؟ إلى أن هداني الله تعالى إلى فهمها و انبهرت انبهارا شديدا لمعرفتها فقبّلت المصحف و قلت هذا عملي منذ اليوم، و لو أنّي تمكّنت وقتها من بعض التفاسير لربما وجدت ضالتي، و لكن من يصطاد لنفسه أفضل ممن يصطاد له الناس. و أطلقت على هذا النّوع من التّفسير تصوير الهيئة فإنّ الذي يمشي متبخترا مترفعا على النّاس فإنّه يشمخ بأنفه إلى السّماء و بذلك لن يبلغ الجبال طولا، و يمشي على رؤوس أصابعه و بذلك لن يخرق الأرض، فانظر كيف كان الوصف بالصورة و الهيئة و الحركة و هو ما أبهرني و كان سببا من أسباب اختياري لهذا التّخصص من جهة و لهذه الدراسة من جهة أخرى.

---

[1] القلم الآية 48.

[2] الإسراء الآية37.

السبب الثاني هو أنّ معظم الدراسات القرآنية تجدها متشابهة و مكرّرة، بل إنّ بعضها منقول عن بعض فتكاد – مثلا – لا تجد فرقا بين إتقان السيوطي و برهان الزّركشي[1] .

و حتّى الدراسات الحديثة تجدها مولعة بإظهار اللفتات الإعجازية أو البيانية و البلاغية أو العلمية دون الاهتمام بموضوع[2] السورة القرآنية رأسا، إلاّ ما ندر من بعض المؤلفين الموهوبين الذين هم قدوتنا في هذا الفن[3] .

وخلال سيرة بحثي المتواضعة التي امتدّت في هذا الفن منذ سنوات الجامعة الأولى لفت نظري دراسة بسيطة ضمن رسالة مبسطة للأستاذ عادل عبد الله القلقيلي تحت عنوان كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم ط (1988)، قدم إليها عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية بعد أن أثنى على المؤلف، و ذكر جزءا من تاريخ حياة والده مفتي المملكة الأردنية الهاشمية "و كانت دراسته العلمية تطبع ما يكتب و ما ينشئ و قد هداه التّدبر في كتاب الله تعالى إلى التّعرف على بعض أسرار إعجاز المعجزة في كتاب الله فحاول إكتشاف الهندسة الإلهية في أرجاء السور الكريمة مستندا في طريقته إلى أمرين:

الأول: إظهار التّرابط بين آيات السور الواحدة، بالاهتداء إلى فكرة واحدة تسري في آياتها جميعا كسريان فكرة " الزمن في سورة العصر ".

---

[1] أول كتاب صنف مستقلا في هذا الفن كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد عبد الله الزركشي، أحد فقهاء الشافعي في القرن الثامن؛جمع فيه عصارة أقوال المتقدمين و صفوة العلماء المحققين و جعله في سبعة و أربعين بابا.ثمّ جاء جلال الدين السيوطي فوضع كتاب التحبير في علوم التفسير أداره على أكثر من مائة باب ثمّ بدأه بالتنقيح و الزيادة و أشار في المقدمة إلى الكتب التي استعان بها فوضع كتابه المشهور الإتقان في علوم القرآن..للمزيد تراجع مقدمة الإتقان في علوم القرآن.

[2] تعددت تسميات هذا المنهج،فتتراوح بين الموضوعاتية و الظاهراتية،و الأغراضية،و الغرضية..و قد ترد تسميته مردفة بوصغ منهج آخر،فيقال الموضوعية البنوية،و لو أنّ الموضوعاتية ليست حكرا على البنوية،و غيرها التي تتضافر فيما بينها ابتغاء التقاط الموضوعات المهيمنة على النصوص،في التحامها بالتركيب اللغوي الحامل لها.عن كتاب: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، د يوسف وغليسي، دار الريحانة للكتاب.2007ص 07.

و ينسب سمير حجازي هذا المنهج إلى الفيلسوف الفرنسي غاستور باشلار gaston bachelard 1884-1962، يراجع كتاب: معجم المصطلحات اللغوية و الأدبية، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص147.

[3] هناك من اهتم بموضوع السورة القرآنية مثل عبد الله دراز و سعيد حوى و محمد الغزالي رحمهم الله تعالى، و هناك من اهتم بالسياق العام للسورة القرآنية مثل سيد قطب و غيره من المهتمين.

الثاني: كشف الإرتباط بين ما أقسم الله به و ما أقسم عليه، كما فعل في سورة التين و الطارق .[1]

و حسب ظنّي و في حدود بحثي أنّه ليس هناك من بحث بهذه الطريقة الدقيقة أو حاول إستثمار هذه النظرية إستثمارا لائقا، وكم تمنيت لو أنّ أستاذنا الكريم جعلها تشمل باقي السور القرآنية الكريمة.

و على هذا النّمط ستكون دراستنا التطبيقية في الباب الأخير من هذه الرسالة على مجموعة من السور القرآنية مكية و مدنية .

هناك –كما أشرنا سلفا – من حام حول هذه الفكرة و نظّر لها غير أن التطبيق الفعلي على سور معينة كان نادرا.

و يخطئ الكثير حين يعتقد أنّ الدراسات التي قام بها سيد قطب – رحمه الله – كانت من هذا القبيل، فقد كان عمله يراوح بين التصوير الفني الذي يعمد فيه إلى توضيح الجو العام للسورة مثل هذه المناداة (﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2]) يعلق سيد – رحمه الله – عن هذه الآية بقوله :" و في هذه اللحظة الحاسمة يبصر نوح، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم و ليس معهم، و تستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة و يروح يهتف بالولد الشارد"يا بني إركب معنا..... الآية ".[3]

فسيد – رحمه الله – يعمل على تصوير الحدث مشفوعا باللوعة و الروعة في آن واحد حتّى و إن كان يقدّم في بداية السورة مخططا عاما تنحاه السورة إلاّ أنّه كان يضيع هذا المخطط بعد أن يقتحم السورة القرآنية و يغلب عليه بيانها و بديعها و تصويرها.[4]

---

[1] تناول المؤلف 13سورة (الكوثر ، العصر، التين، الشفق، الطارق، البلد ، قريش، الفجر، التكوير، النصر، الشمس، النجم، الماعون).

[2] سورة هود الآية 42.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق،ط15،ج4، ص1887.

[4] يقول صلاح الفضل: "إنّ النّص في منظور رولان بارت "ليس موضوعا . ولكنه عمل و استخدام، و ليس مجموعة من الإشارات المغلفة المحملة بمعنى يجب العثور عليها، و لكنه حجم من الآثار، التي لا تكف على الانتقال" عن صلاح الفضل، بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة،1996.

و بهذا نخالف الشكلانيين فالشكلانية (formalisme) باعتبارها نظرية جمالية، و لا المنهج الذي يعكس نظاما علميا محددا، و لكن الرغبة في إستحداث علم للأدب مستقل بذاته، تنبع من الخاصية المتميزة للمادة اللغوية و الأدبية.

يقول عبد القادر شرشار:" منذ إنتشار أعمال الشكلانيين الروس، و شيوع منطلقاتهم الفكرية و المنهجية، بدأت المواجهة و الصراع بين النظم و الأحكام التقليدية في التّفكير، و الإتجاه الجديد الدّاعي إلى الموضوعية في تناول النّصوص الأدبية، و العقلانية في تحليلها و مقاربتها، و قبل ذلك كان النّقد الأدبي ينطلق من مقولة " الفن هو التّفكير بواسطة الصور" و الصورة بهذا المفهوم توفر طاقات فكرية، و إنعكاس الإحساس بالجمال ليس إلاّ واحدا من هذا الإقتصاد و توفير الطّاقة الفكرية.

و كان صاحب هذا الاتجاه الفني والنقدي اللغوي الإثنلوجي ألكسندر نوتيبيا (**1835-1891**) الذي يرى أنّ الشعر تفكير بواسطة الصور، و الصورة ليس لها وظيفة أخرى سوى تجميع الأشياء و تفسير المخفي منها بواسطة المعروف"[1] .

الإشكالية والحقيقة:

هناك من يرى أنّ مثل هذه التفاسير يعدّ تفسيرا موضوعيا و نعدّه ضمن إختيار موضع من خلال القرآن الكريم كله. و الميزة فيه أنّ مادتة الأولية من القرآن الكريم، أمّا الرصف و الوصف فضله يعود إلى المؤلف أو الكاتب الباحث لجمع مادة هذا الموضوع. و لنضرب لذلك مثالا، إذا صنعت بيتا من حجارة الجبال و حصب الأودية و خشب الغابات و كان منزلا راقيا يا ترى لمن يعود الفضل؟ للمهندس أم للغابة و الأودية و الجبال، نعم الفضل لهم كما الفضل لله في كتابه لكن يبقى هذا إبداعك، أمّا لو أنّ من جاء بعدك و قام باكتشاف النظرية التي قام على أساسها هذا المنزل، وكيف جمع صاحبها بين حجارة الجبال و الأودية والغابات فأنجز هذا الإنجاز الباهر، يكون بطريقة موضوعية أو هندسية قد أبرز الجانب الجمالي

---

[1] عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي، و قضايا النّص، منشورات دار القد العربي، وهران، ط1 2009، ص/127126.

الذي إعتمدت عليه و الذي ربما خفي على الكثير. و تكون دراسته دراسة موضوعية لموضوع معين هو الهندسة التي قام عليها البناء[1].

هذا الأمر يعدّ تناسبا، قد يكون بين السور المتجاورة و قد يكون داخل السورة القرآنية الواحدة، و هو عامل مهم في توطيد العلاقة بين موضوعات السورة حتى يتبين موضوعها العام أو محورها. و قد أشار صاحب نظم الدرر الإمام البقاعي . رحمه الله . إلى فضلِ أحد العلماء المغاربة الجزائري البجائي[2].

و قد سبقه في هذا الميدان يقول:" قال شيخنا المحقق الإمام أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد بن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان سقى الله عهده سحائب الرضوان، و أسكنه أعلى الجنان: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقت إليه السورة، و تنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات و تنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب و البعد من المطلوب ، و تنظر عند إنجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من إستشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الإستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر كله المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، و إذا فعلته تبين لك إنشاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية و آية في كل سورة سورة و الله الهادي ".[3]

حاجة المجتمع إلى هذا النوع من التفسير:

---

[1] اعتبر هذه الفقرة هي الومضة الحقيقية التي تميز بين التفسير الموضوعي كتفسير والموضوع الذي ينتهجه المفسر كتفسير موضوعي

[2] هو أبو الفضل محمد بن محمد المغربي الجزائري من بجاية من آثاره "شرح جمل الخونجي في المنطق" توفي سنة865 هـ .

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، برهان الدين أبي الحسن، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت858 هـ)، منشورات دار الكتب العربية، الطبعة 2، 2003م، 1424هـ، بيروت، ج1، ص11.

من الأخطاء التي انحرفت بالأمّة الإسلامية عن مسارها الحقيقي في فهم دينها هو إنحصار علمها في فروع فقهية أو نصّية و شروحات لاكتها أجيال كقطعة علك حتّى ما عاد لها طعم و لا ذوق. خلاف مع أمر به الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1].

فكان الفقه عندهم هو فقه الأحكام و العبادات فقط، و هل هذا يعني أنّ الذين لم ينفروا كانوا جاهلين بالأحكام الشرعية؟ إنّ المقصود هو إستجلاء مراد الله تعالى في التّمكين لهذا الدّين في جميع الميادين، و لذلك عقب الله تعالى بقوله: ﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[2].

و هل الإنذار هو تعليم الوضوء أو الصلاة ..؟

يقول الشيخ محمد الغزالي ــرحمه الله ــ في كتابه الرائع و الرائد (كيف نتعامل مع القرآن): "كان الأفضل بدلا من تدريس الوضوء خلال ثلاثة أشهر، تدريس: لماذا هلكت عاد؟ ما الفساد الذي دبّ في بني إسرائيل؟ كيف تحوّلت الحقيقة إلى شكل؟ وكلّ هذا ممكن خلال دراسة القصص القرآني؟[3]".

و يقول: "هناك منهج أو مدرسة الأصوليين: و فيه دقّة النظر و استنباط الأحكام آخر من ظهر فيها ــ ثمّ جمدت بعده حتّى كادت تموت ــ هو الإمام الشاطبي (ت790) في كتاب الموافقات، و توقف بعده علم الأصول عن العطاء، و تحول على يد المتأخرين إلى علم مضحك: الخلاصة..التلخيص..الملخص..الموجز..المتن..الشرح..الحاشية..وكأننا نطحن الماء فلا يزيد و لا ينقص." أمّا مثاله عن الفساد فيقول": الإستبداد السياسي نموذجه فرعون و الإستبداد الإقتصادي و الظلم الإجتماعي و نموذجه قارون".[4]

---

[1] التوبة الآية 122.

[2] التوبة الآية 122.

[3] محمد الغزالي،كيف نتعامل مع القرآن،دار الهناء للطباعة والنشر،ص144

[4] اقترن اسم قارون بفرعون وهامان في آيتين من أصل أربعة.لكننا نلاحظ أن اسم هامان اقترن بفرعون وقارون في آيتين واقترن بفرعون في الأربع الأخرى.

يعلّق الدّكتور إحسان توفيق بعدراني على هذا الكلام بقوله": لقد ورد إسم فرعون في القرآن الكريم أربع وسبعون مرة و ورد إسم قارون أربع مرات، و ورد إسم هامان فيه سبع مرات، فما الذي أبعد الشيخ عن الوقوف عند هامان بالبحث؟"[1].

والإجتهاد أضحى واجبا في جميع المجالات الفقهية و التفسيرية على حد سواء فالأمة الإسلامية ليست بحاجة إلى الاجتهاد الفقهي أو الأصولي فحسب بل بحاجة إلى إيجاد نظرية حضارية تقوم على أساسها هذه الأمة و تستلم مشعل أستاذية العالم من جديد. يقول أبو الأعلى المودودي ــرحمه الله ــ: "فالطّريقة التشريعية تجعل من النظام القانوني ملته الإسلام تجعل من تطوره و تقدمه في الأحداث المتغيرة إمكانية إيجاد نتائج من نوع خاص للبحث الأكاديمي، و المجهود الفكري، و التي تسمى بالإجتهاد، و أدبيا تعني العمل على بذل أقصى جهد لضمان حل المعضلة و أنّ الإسلام يصدر أمرا و هذا غرضه الحقيقي"[2].

الصعوبات:

كأيّ باحث قبلي أو مثلي هناك صعوبات مشتركة، قد تكون فنية أو شكلية، بيد أن الصعوبات التي تلقيتها خلال هذا البحث يمكن إختصارها كالآتي:

حداثة الموضوع :

فمعظم الدراسات متشابهة بل منقولة و مكررة قلّما تجد جدة أو تفاوتا، فقد تتصفح وتقارن بين مجموعة كبيرة من المؤلفات في هذا الفن، فلا تكاد تظفر بجديد، خاصة الجانب العملي أو التطبيقي. و هذا من شأنه أن يشوش على الباحث خلال مسيرته العلمية.

قداسة النص:

الدراسة نص ديني قرآني مقدس، و التّعامل مع المقدّس يفرض على الباحث التّعامل بحذرين؛ حذر من الله و حذر من قيمة العمل، و ربما هذا الخندق الذي حال دون العاملين

---

[1] الثابت والمتغير في القرآن الكريم،الدكتور إحسان توفيق بعدراني،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،الطبعة الأولى 2005/1426

[2] التشريع الإسلامي والدستور،أبو الأعلى المودودي،1960م، ص59

الذي أشرت إليهم في البند السابق بأنّ أعمالهم كانت متشابهة إلى حد بعيد و قلّ ما تكون هناك جدة.

صعوبة إبداء الرأي:

الأفكار التي عملت على تجسيدها و أن أتعامل مع القرآن الكريم منذ زمن بعيد لم أقدر على تجسيدها حيث أُنتقد و أقوَم إلاّ في هذه الرسالة، و هذا كذلك من شأنه أن يؤثر علي سلبا لا من خلال المناقشة و لا خلال مسيرة بحثي التي جعلتني أتردد كثيرا في بعض المواطن و أتخلى عن الكثير من القناعات .

أخطاء فنية:

حدث مرتين أن ضاعت مني معظم المعلومات بسبب خلل إعلامي مما أثّر في تأخير الرسالة عن موعدها الحقيقي.

المصطلحات:

أريد في هذا المطلب أن أصل إلى تعريف محدد واضح يسد الثغرات في التعريفات السابقة، ويستثمر جهود العلماء السابقين في بلورة هذا المفهوم بعيداً عن تلك التعريفات والتعميمات التي نراها عند من سبق، وليس المقصود ضبط مفهوم كلمة (تفسير) أو كلمة (موضوع) كما فعل بعض العلماء، وإنما مقصودنا تحديد الأنواع بتحديد المفهوم.

و مما تجدر الإشارة إليه ونحن نتحدث عن الجهود السابقة أننا إذ نطرحها للحوار والنقد فإن ذلك لا يعني التقليل من قيمتها وقدرها، ولكننا ندرك أن تأخر تناول هذا العلم إلى زمن قريب من أهم العوامل التي أسهمت في تعدد هذه التعريفات وإختلافها، ومع ذلك فالجهد آخذ بالنهج في التأصيل والضبط سائلين المولى أن يوفقنا في ذلك، ولا ضير في هذا التناول لأن جدة الموضوع وحداثته تجعله يحتاج إلى إجتهادات قد تطول مدتها ليأخذ الشكل النهائي. و لأجل الفائدة والوصول إلى المطلوب سوف أورد التعريفات التي ذكرها العلماء، ثم أحدد من خلالها القدر المشترك والمتباين بينها.

و ما نذكره هنا كلون من ألوان التفسير الموضوعي هو ما اشتهر الحديث عنه عند العلماء تحت مفهوم التناسب وعلم التناسبيات القرآنية وسيأتي توضيح ذلك في الجانب النقدي لهذه

المفاهيم والتعريفات. وهذا الأمر يتطلب منا أن نفهم حقيقة أهمية التفسير الموضوعي في أنه يبحث في بيان تلك الوحدة الجامعة التي تربط بين أجزاء الموضوع الواحد بحسب حديث القرآن عنه في شكله المتكامل وليس الجزئي، أنه الكشف عن ذلك الموضوع الذي تفرقت عناصره في القرآن، وإظهار تلك العناصر، وبيان تلك الروابط التي تجمع بينها، ومعرفة منهج القرآن في تناوله.

و العجيب أن الدكتور سليمان الدقور يعلن خلافه في كتابه "التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج" قائلا: " وعلى ذلك فإن تناول سورة من سور القرآن وإفرادها بذلك في الموضوع الذي تتحدث عنه دون النظر في جميع القرآن، إنما هو تقاصر عن الهدف الحقيقي لما ينبغي أن تكون عليه فكرة التفسير الموضوعي، وإذا كنا نقبل مثل هذا الشكل فلأنه يمثل لبنة أولية في دراسة الموضوع بشكله المتكامل، ولأنه يعد سبيلاً في تجلية خصائص السور القرآنية وبيان مقاصدها، لذلك فإن نعده من باب التفصيل في خصائص السورة القرآنية أولى من أن نعده من باب التفسير الموضوعي"[1].

إن إنفراد سورة قرآنية في إبراز موضوع معين يدل على شخصية هذه السورة ومنهجها في إيراد هذا الموضوع، ولا يمكن أن نقتصر على حديث هذه السورة وحدها وإن كنا نريد تصوراً قرآنياً شاملاً عن الموضوع.

قد يفرق البعض بين الوحدة القرآنية في السورة والموضوع القرآني في السورة. فإذا كان علم المناسبات يبحث في الرباط القرآني أو النظام[2] كما يحلو للبعض أن يسميه، وهو "أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما... كما أن الآيات ربما تكون كالجمل المعترضة، وكذلك السور قد تكون كالجمل المعترضة، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر".[3]

---

[1] التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج، دار الطباعة والنشر الاسلامية، القاهرة ص55

[2] العلامة الهندي عبد الحديد الفراهي ت1349 هـ

[1] دلائل النظام، الفراهي، ص75.

و ما ذكره العلماء من الأنواع الأخرى أو الألوان الأخرى للتفسير الموضوعي، فإنا لا نلغيها أو نتجاوزها أو نقلل من قيمتها، إنما يمكن أن نأخذ بأسمائها ومسمياتها خطاً منهجياً آخر يتناسب وطبيعتها بعيداً عن التفسير الموضوعي.

و إذا كان الأمر كما يقال "لا مشاحة في المصطلحات" فلا حرج إذن أن تأخذ تلك الألوان أو الأنواع إصطلاحات جديدة، ومفاهيم أخرى تؤسس لها وترسم لها خطاً منهجيا دقيقاً.

إن الهدف من ذلك كله أن تستقل الدراسة القرآنية المهتمة ببحث القضية القرآنية بهذا الإهتمام، و تستأثر بإسم التفسير الموضوعي ليخدم ذلك رسالة القرآن ومشروعه في إنقاذ البشرية ومعالجة قضاياها.

و إذا وجد الآن من يرى التكلف فيما أرمي إليه أو أهدف، فإني أرى قريباً أن كثيراً من الدراسات، ستتوجه وفق هذا الخط المنهجي، الذي حاولت إستجلاء ملامح تطوره ونمائه بما هو متناسب ومتناسق مع طبيعة العلوم، وتطور العلم والتخصصية الدقيقة في كل فن من الفنون.

و هذا التوجه يقول به الدكتور الدغامين "فالموضوع القرآني في السورة شيء، والوحدة القرآنية فيها شيء آخر، فيمكن تناول موضوع الربا في سورة البقرة مثلاً، لكن لا يمكن القول أن الوحدة الموضوعية في سورة البقرة هي الربا، مع التسليم بأن تحريم الربا واحد من مقاصد المعاملات المالية في سورة البقرة".[1]

و هذا الكلام بهذا التفريق صحيح ودقيق، لكنه على الإعتبارين لا يصح عده نوعاً من أنواع التفسير الموضوعي لما أسلفنا.

و ليس لأحد أن يحتج علينا بتعدد الدراسات في أعلى مستوى من كبار أعلام التفسير من مثل دراز، وشلتوت والغزالي والكومي... وغيرهم في دراسة الوحدة الموضوعية في السور

---

[2] د. الدغامين ، منهجية البحث في التفسير الموضوعي/ ، ص20.

القرآنية، نعم لقد وجدنا من يعترض فكرة الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية،[1] لكن هذا الرأي لا ينتمي لفكرتي في هذا البحث، حيث أني أثبت الوحدة الموضوعية، إلا أنني اعترض على عد هذا الشكل من الدراسات من باب التفسير الموضوعي.

تصور الموضوع وكيف تم تناوله:

بعد التعرض إلى الخلافات الإصطلاحية التي مفادها هل التفسير الموضوعي هو اختيار لموضوع قرآني والتدليل له من من كل القرآن الكريم ، أم أنه العمل على إيجاد موضوع السورة القرآنية الواحدة، هذا فضلا عن الممتنعين عن عد هذا النوع تفسيرا وإعتباره عملا تعسفيا ينزه القرآن الكريم عنه. وبين كل هذا توصلنا إلى الأكثر المشترك الذي سيتضح لاحقا بإذن الله تعالى .

و تم بناء على ذلك تقسيم الموضوع إلى أربعة فصول كل فصل ينطوي على عدة مباحث تنطوي بدورها على مطالب.

الفصل الأول تطرقنا فيه إلى تعريف التفسير الموضوعي ومفهومه مدللين على ذلك كون معظم الآداب العالمية عربية كانت أو أجنبية تتميز بوحدة الموضوع، مستأنسين ببعض الدراسات اللسانية الحديثة .

أما الفصل الثاني فكان عبارة عن دراسة نظرية وتطبيقية عن معاني التفسير الموضوعي بصفته العامة قديما وحديثا متعرضين إلى هذه الألوان بالتطبيق من الأعمال القديمة والحديثة.

أما الفصل الثالث – ويعد الأهم بالنسبة للباحث – فكان دراسة تطبيقية محضة على نموذج من السور القرآنية التي يتضح من خلال تحليلها الموضوع بكل جلاء كالتحقيق في سورة الحاقة، وثنائية الجمع و العجلة في سورة القيامة والحفظ في سورة الطارق متتبعين المراحل اللازمة في هذه الدراسة النموذجية. وكان موضوع الدراسة حول سورة الحاقة التي خلصنا

---

[1] .أنظر: التفسير: نشأته، تدرجه، تطوره، أمير الخولي، ص82، نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، ص163، البيان القرآني، محمد رجب البيومي، ص195.

بعدها إلى قناعة مفادها أن إطلاق التفسير الموضوعي لا يمكن أن يكون إلا على السورة القرآنية الواحدة، ولا يمنع هذا من الاستشهاد لها بما يناسبها من آيات القرآن الكريم المناسبة.

أما الفصل الرابع فهو شبيه بالفصل الثالث من كل نواحيه، إلا أن الفرق الجوهري بينهما أن الفصل السابق فقد تناولنا فيه موضوعا معنويا الذي هو تحقيق ما أراده الله تعالى كما سنبين لاحقا بالأدلة الغيبية المشفوعة بالشواهد التاريخية وهلاك الأمم من خلال سورة الحاقة.

أما هذا الفصل فيتناول موضوعا فنيا جامعا، الجامع فيه صور فنية تتمثل في ثائية (الجمع والعجلة) التي أضفت على السورة لمسة جمالية مفرطة في الأناقة والتكامل الذي من شأنه أن يزيح اللثام عن الإشكال القائم حول قوله تعالى "لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه" والذي يمثل علة السورة ومفتاحها في نفس الوقت.

و أفردت الخاتمة بأهم النائج التي توصل إليها البحث بعد الجمع والمقارنة بين ما وقعت عليه يدي وما أبديت من أراء وقناعات خاصة.

كان هذا جهد المقل وكم ترددت – رغم قناعتي – في بداية الأمر أن أمضي من البداية في أن موضوع السورة القرآنية هو الوحيد الذي يعد تفسيرا موضوعيا ملغيا كل ما سواه غير أن الموضوعية أملت علي أن أتطرق إلى هذا النوع في مظانه وحسب أعمال سالكيه متخذا ما أراه صوابا في الفصل الأخير من هذه الرسالة. و بهذا لست أزعم أني حققت كل ما أردت ولكن ما بينته كان غايتي. فإن أخطأت أو جانبت الصواب أو أدعيت الحق مقتحما بذلك آراء غيري فلعلمي أني مقبل على مصفاة لا تماريني وأن عملي لن يرى النور حتى يؤذن له من هذه المصفاة التي تضم أنجب ونخبة الأساتذة ا الكرام الذين لهم علينا فضل العلم والسبق ، والفضل للسابق وإن أجاد و أحسن اللاحق.

و بتوجيهات سيدي المشرف الفاضل الدكتور سلطاني الجيلالي، قومت كثيرا من العوج المنهجي أو بعض التعثر اللغوي أو البياني الذي من شأنه أن يؤثر سلبا على هذه الرسالة فجزاه الله خير الجزاء على توجيهاته القيمة لي ولأمثالي الكُثر في هذا المعهد المبارك وغيرهم من الذين لم يبخلوا بنقدهم ولا دعمهم ولا توجيهاتهم. ومما أعفي منه سيدي المشرف أني تحملت

كثيرا من الآراء التي كنت مقتنعا بها على الرغم من امتناعه وترشيده بعدم تحملها والمجاهرة بمخالفة غيري. ولست بذلك مدعيا تجاهل نصحه ولا توجيهه ولكن لم أتمكن من المضي دون قناعة متبعا تعريفات أو أراء من سبقني في هذا الفن مع الإشارة أني امتهنت التفسير مدة عملي المسجدي لأكثر من خمسة عشر سنة.

وفي الأخير هي محاولة طالب علم مع أقدس كتاب، إنه من رب الأرباب الذي خلق الانسان علمه البيان،فلأهل العلم من أمثالكم تقويمه وتوجيهه،ولأمثلي الإمتثال والسماع.

ولا أزعم أني أتيت بجديد ولكني أبرزت ماهو عتيد عند من ستبقى من أهل النظر والتسديد.

فان أصبت فاسأل الله عز وجل القبول. وإن جانبت الصواب فاسأل الله عز وجل الغفران فهو نعم المولى ونعم الوكيل.

الفصل الأول

التفسير الموضوعي: مفهومه / جذوره / الفكرة و النشأة

المبحث الأول

مفهومه وجذوره

المطلب الأول: مفهومه

المطلب الثاني: الموضوع في الآداب العالمية

المبحث الثاني

الفكرة والنشأة

المطلب الأول: فكرة التفسير الموضوعي

المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي الحديث

الفصل الأول

التفسير الموضوعي: مفهومه / جذوره / الفكرة و النشأة

المبحث الأول: مفهومه وجذوره

المطلب الأول: مفهومه

يتألف مصطلح (التفسير الموضوعي) من جزأين: مركبا تركيبا وصفيا، فلا بد من تعريف الجزأين أولا، ثم تعريف المصطلح المركب منهما.

تعريف التفسير الموضوعي

التعريف اللغوي التفسير

لغة : هو من الفسر و هو الكشف و البيان و الإيضاح.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [1]

أي أحسن توضيحا وبيانا للمطلوب.

و جاء في المعجم الوسيط حول مادة فسر ما يلي :

فسر الشيء أي وضحه.

و فسَره بالتشديد كذلك وضحه.

و فسَر آيات القرآن الكريم أي شرحها ووضح ما تنطوي عليه من معاني وأسرار وأحكام.

استفسر عن كذا أي سأله أن يفسره له.[2]

وجاء في لسان العرب : الفسر البيان وفسره بينه.

و الفسر كشف المغطى، و التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل

و التفسير و التأويل معنى واحد ، و التأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.[3]

تعريف الموضوع :

قال الفيروز آبادي : "الإبل وضيعة؛ أي رعت الإبل حول الماء و لم تبرح و وضعتها أي ألزمتها المرعى فهي موضوعة".[1]

---

[1] الفرقان الآية 33

[2] المعجم الوسيط؛ إخراج كل من: إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، عبد الحليم منتصر، محمد خلف الله الأحمر.دار الأمواج، بيروت.الطبعة الثانية 1410/1990. مادة فسر

[1] لسان العرب، ضبط خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، مادة فسر، الطبعة الأولى.2008 دار الأبحاث،ج5، ص55

و يقول الجوهري : " الضعة شجر من الحمض يقال ناقة واضعة للتي ترعاها، أي ولم تبرح الرعي حول الماء.[2]

و الموضوع لغة من الوضع، و هو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض أو بمعنى الإلقاء و التثبيت في المكان.

يقال ناقة واضعة : إن رعت الحمض حول الماء و لم تبرح ، و قيل وضعت تضع وضيعا فهي واضعة.

و الموضع: اسم المكان ، و يقال : في قلبي موضع فلان ، أي محبته.[3]

و الموضوعية في الفلسفة هي منحى فلسفي يرى أن المعرفة إنما ترجع إلى غير الذات المدركة.

الموضوع: المادة التي يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه.

و جاء في لسان العرب نفس المعاني[4] أو ما يقاربها و تنحى نفس المنحى.

كذلك موضوعة ؛ يتعدى و لا يتعدى و هذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به.[5]

وضع ، الوضع : ضد الرفع وضعه يضعه وضعا. موضوعا.

الموضع: مصدر قولك وضعت الشيء من يدي وضعا و موضوعا.[6]

و يطلق هذا المصطلح "موضوع" في استعمالات كثيرة منها :

– فهو في اصطلاح المحدثين: الكلام المختلق المصنوع و المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو حديث باطل لا أصل له[7].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[1].

---

[2] القاموس المحيط ج 32ص94 باب العين، فصل واو

[3] الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية ج3 ص1300، باب العين، فصل الواو

[4] المعجم الوسيط مادة (وضع)

[5] انظر لسان العرب مادة وضع ،ج8،ص396

[6] عبد الستار سعيد مدخل إلى التفسير الموضوعي.ط2 .1991. دار التوزيع والنشر الإسلامية.ص20

[7] لسان العرب، مادة وضع

[1] قال بن كثير: وقد انتقد الأئمة كل شيء فعلوه من ذلك ، وسطروه عليهم في زبرهم، عارا على واضعي ذلك في الدنيا، ونارا وشنارا في الآخرة (الباعث الحثيث ص74)

و هذا متواتر عنه.

– و هو عند المناطقة : ما وضع ليحكم عليه بشيء ، فالمبتدأ موضوع ليحكم عليه بالخبر والخبر محمول لأنه حمل على شيء هو المبتدأ.

– و عند علماء التفسير، القضية التي تعددت أساليبها و أماكنها في القرآن الكريم و لها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة.

التعريفات الاصطلاحية للمعنى المركب

تبعا لاختلاف العلماء[2] في مسألة وجود الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية و عدم وجودها، وقع الاختلاف في تعريف التفسير الموضوعي من جهة و مناهجه من جهة ثانية.

و مع تزايد المهتمين بهذا النوع من الدراسات الحديثة تقاربت الآراء و التعريفات في العصر الحديث حتى أصبح هذا التعريف علما على لون من ألوان التفسير؛ سمي التفسير الموضوعي ، و هو كل دراسة تفسيرية تخص موضوعا تطرق إليه القرآن الكريم في سورة واحدة أو شمل القرآن الكريم كله. و قد تعددت تعريفات الباحثين المعاصرين له منها إجمالا قبل التفصيل ما يلي :

– هو بيان ما يتعلق بموضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

---

[2] صحيح البخاري،باب بدء الوحي، ج1،ص102،صحيح مسلم،باب التحذير من الكذب على رسول الله،ج1،ص7/سنن الترمذي،ج 5،ص35،سنن ابن ماجة، المجلد الأول،ج 1،ص21/السنن الكبرى،المجلد الخامس،ص394

صحيح مسلم، باب التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم،ج1،ص7

[2] عرفوه بما يلي: قام مجموعة من الباحثين بمشروع أطلقوا عليه التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم

التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إن التفسير الموضوعي نوع من أنواع التفسير الذي بدأت أصوله تترسخ، ومناهجه تتضح منذ نصف قرن من الزمن، وأُقِرّ تدريسه في الجامعات.

وهذه موسوعة علمية شاملة عمل عليها نخبة من كبار علماء القرآن وتفسيره في هذا العصر بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم – وفقه الله – عكفوا على تدوينها بعد دراسة مستفيضة حول الخطوات المنهجية، مع مشاورة أهل العلم، فخرجت لنا موسوعة تربط بين أسماء السورة الواحدة، مع بيان فضائلها – إن وُجِدت – ومكان نزولها، وعدد آياتها مع اختلاف القراء في ذلك، والمحور الذي يجمع موضوعات السورة، والمناسبات بين الآيات وابتدائها وانتهائها، في أسلوب علميٍّ غير مسبوقٍ.

الكتاب عبارة عن عشرة أجزاء مُصوَّرة

– و عرّفه بعضهم هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

– و قيل هو بيان موضوع ما ، من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة.

– و يعرّفه عبد الستار السعيد في كتابه المدخل بما يلي :

" هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة و النظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة لبيان معناها و استخراج عناصرها و ربطها برباط جامع".[1]

فقولنا "علم" جنس في التعريف.

و قولنا : "يبحث في قضايا القرآن الكريم" هو قيد لإخراج التفسير الذي يبحث في الألفاظ والتراكيب ونحوها كالتفسير التحليلي.

و قولنا "المتحدة" يخرج القضايا التي ليس بينها وحدة في المعنى أو في الغاية، فالبحث فيها لا يكون من التفسير الموضوعي.

و قولنا "عن طريق جمع آياتها" لإخراج بحث القضية في موضعها من السورة من خلال الآية التي يتناولها المفسر على ترتيب المصحف الشريف."[2]

وإن كان هذا التعريف مانعا من دخول غيره فيه، إلا أنه ليس جامعا لكل أنواع التفسير الموضوعي، فالذي نعتقده أن الأولى بإطلاق هذا المعنى هو موضوع السورة القرآنية الواحدة. فهي التي تتطرق إلى موضوع معين اختاره الله تعالى لها. أما الموضوعات المقترحة من عند البشر المستخرجة من القرآن الكريم، فتعد موضوعات بشرية على ضوء القرآن الكريم. وليست تفسيراً موضوعيا بل الأجدر أن يطلق عليها موضوع من القرآن الكريم.

فعلى سبيل المثال لو تطرق باحث إلى قصة موسى وفرعون في القرآن الكريم والتي شملت سورا كثيرة من القرآن الكريم، وجاءت هذه الدراسة ترسم القصة من أولها إلى آخرها، مع العلم أن

---

[1] زاهر عواض. المدخل إلى التفسير الموضوعي.ص7

[2] المصدر السابق ص 21

فرعون ذكر في القرآن بصفة ملفتة، إذ يمثل رأس الطغيان والاتصاف بالربوبية، وإليكم الجدول حسب ترتيب المصحف الشريف:

الكلمة	السورة التي ذكر فيها	رقم الآيـة
فرعون	البقرة	50/49
	آل عمران	11
	الأعراف	137/130/127/123/117/109/104/102 141/
	الأنفال	54/52
	يونس	/90/88/83/79/70
	هود	97
	إبراهيم	6
	الإسراء	102/101
	طه	79/78/60/43/24
	المؤمنون	46
	الشعراء	53/44/23/16/11
	النمل	12
	القصص	38/32/9/8/6/4
	غافر	46/45/37/36/29/28/26/24
	الزخرف	61/46
	الدخان	38/31/17
	القمر	41
	التحريم	11
	الحاقة	9
	المزمل	16/15
	النازعات	17
	البروج	18

وقفات مهمة :

- ذكر اسم فرعون واحد وستون مرة (61) و هي نسبة ملفتة للانتباه
- ذكر اسم موسى عليه السلام حوالي ضعف ما ذكر فرعون مائة وخمس وعشرون مرة(125) والسبب أن موسى له أربع علاقات بخلاف فرعون الذي كانت علاقته بموسى فقط، علاقة مع أمه، وعلاقة مع فرعون وزوجه، وعلاقة مع ربه، وعلاقة مع بني إسرائيل.
- أن الله تعالى فرق مراحل القصة في عدة سور، واختلفت في سياقها من سورة إلى أخرى، وربما نالت سورة الأعراف وسورة طه وسورة القصص الحظ الأوفر، مع أن القرآن أعطى النموذج الكامل للقصة الكاملة في سورة يوسف، إذن من جمع كل المعلومات من القرآن الكريم وأنشأ القصة من أوله إلى آخرها نعتبره عملا فنيا تجميعيا ولا نعده تفسيرا موضوعيا مطلقا.

و هذا ما يجعلنا في الأخير نخالف هذه التعريفات التي لا ترى أن التفسير الموضوعي هو ما يخص السورة القرآنية الواحدة.

و عرفه الأستاذ باقر الصدر بقوله:" الاتجاه التوحيدي أو الموضوعي في التفسير: هذا الاتجاه لا يتناول تفسير القرآن آية فآية بالطريقة التي يمارسها التفسير التجزيئي، بل يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية فيبين ويبحث ويدرس، مثلا عقيدة التوحيد في القرآن أو يبحث عن النبوة في القرآن، أو عن المذهب الاقتصادي في القرآن أو عن سنن التاريخ في القرآن ...وهكذا يستهدف التفسير التوحيدي الموضوعي من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظري للقرآن الكريم، وبالتالي للرسالة الإسلامية من ذلك الموضوع.."[1]

و يستدرك في موضع آخر فيقول:"ليست كل عملية تجميع أو عزل دراسة موضوعية، و إنما الدراسة الموضوعية هي التي تطرح موضوعا من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية الكونية وتتجه إلى درسه و تقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده"[2].

---

[1] المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان.. ص13/12

[2] المرجع السابق،، ص17

قد أعجبت كثيرا بقوله: "دراسة موضوعية" نعم، يمكن أن نسميها دراسة موضوعية، لكن لا أرى أن تسمى تفسيرا موضوعيا، فالتفسير مادة تحمل نوعا من القداسة، ويتقبلها المتلقي أو القارئ بنوع من التلقائية والمصداقية، بخلاف قولنا دراسة موضوعية قرآنية.

وعرفه الدكتور عبد الحي الفرماوي بأنه:"جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد التي اجتمعت في موضوع ما، وترتيبها حسب النزول ما أمكن ذلك، مع الوقوف على أسباب نزولها ثم تناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي، الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها ووزنها بميزان العلم الصحيح الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويسر، ويحيط به إحاطة تامة تمكنه من فهم أبعاده والذود عن حياضه"[1].

أما الدكتور أحمد السيد الكومي فيعرفه بما يلي: "هو بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد وإن اختلفت عباراتها وتعددت أماكنها، مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم بكل أطرافة، وإن أعوزه ذلك لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحا وبيانا"[2].

و في السياق ذاته نجد التعريف الذي يسوقه الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم يؤكد المعنى نفسه حيث يقول: هو "المنهج الذي يتخذه المفسر سبيلاً للكشف عن مراد الله من خلال الموضوعات التي يطرحها، والقضايا التي يعالجها، توضيحاً لهداية القرآن وتجلية لوجوه إعجازه"[3]

و يعرفه الدكتور أحمد رحماني بقوله: "هو منهج مستحدث في دراسة القرآن ويستهدف سبر أغوار الموضوعات المختلفة من خلال تفسير سورة القرآن باعتبارها كلاً موحداً يعبر عن موضوع واحد، أو من خلال تفسير آيات جمعت لبناء موضوع تشكل الآيات عناصره الأساسية، والغرض فيهما هو الخروج بتصور سليم حول الموضوع أو نظرية علمية فيه".[4]

---

[3] البداية في التفسير الموضوعي ، دراسة منهجية موضوعية،الدكتور عيد الحي الفرماوي، ص52 ،مطبعة الحضارة العربيةط2 سنة1977

[4] التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،الدكتور أحمد السيد الكومي ص17/16 ط1 1982

[1] التفسير الموضوعي بين دقتي الميزان، د. عبد الجليل عبد الرحيم ص34، ج1.

[2] مصادر التفسير الموضوعي، د. أحمد رحماني، ص26، وانظر كتابه أيضاً "التفسير الموضوعي نظرية وتطبيق."

و إذا كان أصحاب هذا الرأي يؤكدون البحث في الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية باعتبارها لوناً من التفسير الموضوعي فإننا نجد من أضاف شكلاً ثالثاً لهذه الألوان.

يقول الدكتور صلاح الخالدي:"ألوان التفسير الموضوعي ثلاثة: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، التفسير الموضوعي للسورة القرآنية".[1]

نلاحظ أن هذه التعريفات جملة، تستند إلى موضوع معين يستهدفه الباحث، ولم يلتفتوا إلى موضوع السورة الواحدة، بخلاف ثلة قليلة أمثال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله الذي يطلق مصطلح جديد يخص السورة القرآنية الواحدة، أطلق عليه الوحدة العضوية للسورة القرآنية.
ويقول الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: "كل معنى جزئي مستفاد من جملة قرآنية له ارتباط بما تفرق في القرآن من معان تلتقي معه في موضوع واحد، وله ارتباط آخر وثيق بمعاني الجمل الأخرى التي اشتملت عليها الآية، كما أن الآية ذات ارتباط وثيق بوحدة موضوع السورة"[2].

و يقول أيضا: "على المتدبر كتاب الله أن يضع نصب عينيه ضمن أهداف بحثه وتدبره التوصل إلى اكتشاف الموضوع الذي تدور حوله السورة القرآنية، وهذا يستدعي منه أن يبحث بأناة وتفكير عميق بحثا كليا شاملا للسورة، ويتتبع ارتباط آياتها ومعاني جملها، أو بما تفرع عنه من عناصر، وما اتصل به من موضوعات جزئية وأحكام وشواهد."[3]
كان هذا مجمل ما جاء حول معاني التفسير الموضوعي.[4]

يقول الفراهي – رحمه الله – تعالى: "الكلام لا يلتئم بعضه ببعض إلا بجامع يشتمل على أشتات المطالب و الجامع يكون أعلى و أوسع، كما أن الإنسان يشمل الأفراد التي تحته و هكذا يعرج من الأخص إلى الأعم، فمن طلب النظم لا بد أن ينظر فوق ما يراه حتى يجد جامعاً عاماً. وهذا الطلب هو سلم الحكمة ولا يتعاطى ذلك إلا ذو بصيرة وذكاوة، ولولا ذلك

---

[3] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح الخالدي، ص59.

[1] قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،دار القلم، الطبعة الثانية 1989/1409،ص13

[2] التدبر الأمثل ،ص27

[3] لما كانت التعريفات متقاربة بل تكاد تكون متطابقة أوردناها إجمالا

لما جعل الله نظام كلامه محل التدبر و التفكر. فأما كونه موقع التدبر و التفكر فمبسوط في موضعه. وإنما المقصود هاهنا أن الله تعالى راعى ذلك ليعلمهم الحكمة و يرشحهم لملكة هي أصل العلم و المعرفة، لا نفس المعلومات، فإنها منحصرة محدودة. ثم العلم بها ليس في شئ من ملكة هي المقصود. و قد أشار إلى كون القرآن " عليا" لاشتماله على الحكمة حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[1]. فمن مارس التأمل في نظام القرآن كاد أن يصير ذلك دأبه في أمور أخرى ومن ذلك ما هو أهم.[2]

تحقيق موضوعي حو ل لفظة "الموضوعي":[3]

استعمل القرآن الكريم الكثير من الوسائل التي تدق أحيانا على البعض، يقول الدكتور الصباغ: "ومن التنوع في طرائق التعبير أنك تجد في هذا الكتاب المعجز الخالد، التصريح حينا، والتعريض حينا آخر، ...وفي هذا التنوع جمال في الأسلوب، وطرد شبح الملل، وشد السامع، إلى تدبر آياته، .."[4]

إن لفظة موضوع لفظة يمجها المحدثون وأهل السنة كونها تطلق على الحديث المفترى على النبي صلى الله عليه وسلم. ويمجها من ضيَق معناها فهي من الوضاعة بمعنى من المعاني الدنيئة، وهي ترك الشيء لقلة قيمته. فمادة "الوضع" لغة يغلب استعمالها في معنى الذم، فيقال رجل وضيع بمعنى دنيء ووضيع في تجارته أي خسر. والتواضع أصله التذلل، وحتى المحدثون وضعوا هذه اللفظة "الحديث الموضوع" بمعنى وضع من طرف الغير ولم يكن أصيلا. لكن من جهة أخرى فإن لهذه

---

[4] سورة الزخرف الآية 4

[5] كلام الفراهي مقتبس من الأنترنيت www.elmawdoua .com

[1] الموضوعية هي وصف لما هو موضوعي، وهي بوجه خاص مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص. وهو الاتجاه الذي ينبغي أن يلتزمه كل باحث علمي، إذ يتجرد من ميوله واتجاهاته وعواطفه وكل ما يؤثر في اتجاه أحكامه وتقديراته، فهي نزاهة الرأي أو الموقف وتجرده من الأهواءObjectivityوهي بالأنجليزية.

[2] بحوث في أصول التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي،الطبعة الأولى1988/1408 ،بيروت،ص166

اللفظة استعمالا قرآنيا مغايرا تماما ولا يفيد هذه المعاني فقط. فقد وردت هذه اللفظة أربع وعشرين مرة في القرآن الكريم؛ و في معظم المواضع لا تعني الذم تماما[1].

منها المدح :[2]

" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[3].

فالوضع هنا بمعنى البناء، جاء في تفسير ابن كثير حول هذه الآية ما يلي:

"يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس، يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده (للذي ببكة) يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ".[4]

و منها :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ ﴾ [5]

---

[3] هناك من يتشاءم من بعض الألفاظ ، فليس هناك أبغض من كلمة الربا، غير أن الله تعالى ذكرها مرتين في آية واحدة بالذم والمدح قال الله تعالى:﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ البقرة: 286

[4] الوحدة الموضوعية : هي الوحدة العضوية حسب مصطلح محمد عبد الله دراز ، ولا أستسيغ هذا الاصطلاح لأنه يستعمل في القصائد الشعرية، وما هو بقول شاعر، والمقصود بالوحدة العضوية للقصيدة : أن تكون بنية حية وبناء متكاملاً، وعملاً فكرياً وشعورياً متكاملاً ومتنامياً، وليست خواطر مبعثرة أو أفكاراً متفرّقة. وعبَّر طه جابر العلواني عن الوحدة الموضوعية بالوحدة البنائية: وهي تعني أن القرآن المجيد واحد لا يقبل بناؤه وإحكام آياته التعدّد فيه أو التجزئة في آياته، أو التبعيضية بحيث يقبل بعضه، ويرفض بعضه الآخر، فهو بمثابة الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة أو الآية الواحدة..

[1] آل عمران الآية 97/96

[2] تفسير ابن كثير. ابن كثير، دار الثقافة . الجزائر. الطبعة الأولى 1990/1410 ص46

[3] الرحمن الآيات من 11/7

يقول صاحب الكشاف حول تفسير هذه الآية: أراد به كل ما توزن به الأشياء، وتعرف مقاديرها: من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس، أي خلقه موضوعا مخفوضا على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم، وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم.[1]

و هي هنا بمعنى التثبيت و وضع الشيء في مكانه و دليلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

و هي هنا بمعنى التنظيم والترتيب كما يرتب البيت لاستقبال الضيوف؛ ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[3].

أما في الآية التالية فتعني يوم الميزان ووضعه على المنصة أمام الخلائق كما ذكر ذلك الله تعالى في سورة المطففين؛ وهم الذين يطففون الميزان.

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[4].

نلاحظ أن الوضع هنا بمعنى نصب الميزان أمام العيان. ونفس المعنى في الآية التالية:

"قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[5]

فهي وضع الشيء والتزامه المكان لا يبرحه.

من خلال هذه المقارنة بين اللفظة القاموسية والاستعمال القرآني يتضح لنا ما يلي:

---

[4] تفسير الكشاف؛جار الله الزمخشري: دار الكتاب العربي.الطبعة الثالثة1407/1987ص444

[5] الغاشية الآيات من 15/13

[1] يوسف الآية 31

[2] المطففين الآية6/1

[3] الأنبياء الآية47

أن كلمة الوضع عكس الحمل والرفع من جهة؛ وعكس العلو والمكانة من جهة أخرى، وتكون بحسب مراد المتكلم من جهة والوضع الاستعمالي المستهلك من جهة أخرى. فمثلا قول مريم عليها السلام:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

أي بعد أن كان الحمل ببطني وأنا أنتظر أن ينزل إلى الأرض أن يكون غلاما ذكرا، فكانت أنثى.

ونقول في الاستعمال اليومي: "ضع الشيء في مكانه "و " الكتاب موضوع على المكتب..... " فلما كان الوضع من الأعلى إلى الأسفل أطلق في المعاني المعنوية وتعداه إلى الصفات الأخلاقية على الدناءة و التراجع. وهذا لا يعني أن للفظة نفس المعاني في الجوانب المادية أو العلمية وقد لاحظنا هذا في الاستعمال القرآني المتوافر والمتعدد.

فلفظة الربا مثلا ممقوتة؛ ومحقها الله تعالى واستعملها في جانبها الإيجابي في نفس الآية والموضع قال الله تعالى:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾[2].

لكن الحقيقة الاصطلاحية التي نخرج بها بعيدا عن اللف والتشابك، ونحن نلوك هذه التعريفات هي أن المراد كله، أو المراد دراسته، أو المراد النظر إليه، هو الموضوع على الطاولة لا غيره، وهو بهذا المعنى يأخذ نفس المعنى الفرنسي le sujet أي المطروح للفك أو التحليل أو الإجابة إن كان سؤالا مطروحا أو موضوع نقاش.

أما السائد في الدراسات القديمة أن تكون المواضيع مرتبطة بغاية واحدة، ولا تربطها علاقة المعاني وأمثلة ذلك كثيرة.

فآيات الأحكام مثلا؛ تضم، الصلاة، الزكاة، الجهاد أو أقسام القرآن وغيرها. و ألف فيه الكثير من أمثلة ذلك:[1]

---

[4] آل عمران الآية 36

[2] البقرة الآية 276

نيل المراد من تفسير آيات الأحكام لمحمد صديق خان (1307هـ)[2]
الدستور القرآني في شؤون الحياة. محمد عزة (ولد عام 1305) وغيرها من المؤلفات التي سنذكرها لاحقا في موضعها من البحث.

يقول صاحب المدخل: "وقد عد بعض العلماء في هذا النوع ما يسمى بالوحدة الموضوعية. [3]

من كل حكم يتقرر في النقائض والأضداد سلبا وإيجابيا يفيد في توضيح حكم ما يقابله "وبضدها تتميز الأشياء (فإذا وقع اختيارنا لكلمة الجهاد على أنها محور السورة نضم إليها ما يقاربها في المعنى "قتال، حرب، ضرب، القلب، النصر، اللقاء، الفتح، الصف، الأعداد، السلاح، الغنيمة، الأسرى، العهد، الخوف، القوة، العدد، العدة ....). ثم ما يقابله (السلام، الفرار، التولي، الفشل، الرعب، النبذ، نقض العهود .....[4]

يخضع ما يسمى اليوم بالتفسير الموضعي إلى علاقات بين الآيات والسور مما ينتج لنا الوحدة الموضوعية. والمراد به أن القرآن الكريم كأنه كله كلام واحد والآيات والسور تتكامل لخدمته. وينطبق هذا أيضا على السورة باعتبارها وحدة قرآنية متميزة.

و لعل المهندس الذي عمل على إيجاد هذه التقنية الدكتور عبد الله درّاز . رحمه الله . وهو من أوائل من خصّ السورة القرآنية بوحدتها الموضوعية يقول :" ولقد وضح لنا أن هناك تخطيطا

---

[1] قال الإمام الثوري – رحمه الله–: خذوا التفسير عن أربعة، عن سعيد بن جبير، ومجاهد وعكرمة والضحاك (انظر القرطبي 321/7 والطبري 127/9). والأمثال في القرآن لابن القيم الجوزي، ص220، دار المعرفة بيروت،ط1409،1989/3

[2] وهو العلامة المحقق الشيخ محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القِنَّوجِي البخاري الحسيني نزيل بهوبال ولد يوم الأحد 11 جمادي الأولى1248 هـ1832/م، ببلدة (بانس بريلي)، ولما بلغ السادسة من عمره توفي والدهِ فأصبح يتيماً فقيراً في رعاية والدتهِ، ثم رحل مع أمهُ إلى قنوج موطن آبائهِ. فعني بهِ أخوهُ أحمد حيث أشرف على تعليمهِ وتثقيفهِ ثم أخذ يطلب العلم وهو في مقتبل العمر، فقرأ على أساتذة بلدة (فرخ آباد) و(كانفور)، ثم سافر قاصداً (بهوبال)، بغية طلب الرزق. فلقي الحفاوة من الوزير جمال الدين الصديقي الدهلوي الذي ولاه الإشراف على تعليم أسباطهِ، ثم ساءت العلاقة وفسدت بينه وبين الوزير، فاخرجه من بهوبال ثم صلح الأمر بينهما، حيث أدرك الوزير قدرهُ فأستقدمهُ إلى بهوبال وولاه وزوجه بأبنتهِ ومن مؤلفاته في التفسير فتح البيان في مقاصد القرآن يقع في أربع مجلدات.وكتاب الإكسير في علوم التفسير وله أكثر من سبع وستين مؤلفا في علوم مختلفة.

[3] انظر التفسير الموضوعي ،الشيخ الكومي ص22، والبداية في التفسير الموضوعي للشيخ الفرماوي ،ص51

[4] المكي والمدني ،وطي الزمان ،ص89 المدخل

واضحا حقيقيا ومحددا يكون من ديباجة وموضوع وخاتمة. فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر [1] وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة "[2].

يعقب الدكتور عبد الستار سعيد على هذا الكلام بقوله: "وهذا الذي يقوله الشيخ . رحمه الله . أمر تقوم عليه الأدلة وتطمئن إليه النفس والعقل. و لكن لا يزال بعيدا في وضع هذا على قوالب علمية محددة تنتقل به من باب الالتماس و الاجتهاد والظن وكثرة الخلاف، إلى باب الحقائق محددة المعالم والأوصاف ويومئذ يبرز لون جديد آخر من وجوه الإعجاز القرآني الفياض وإنه لآت بإذن الله.

هل هناك من يرفض هذا التوجه:

قد تردد الكثير في مثل هذه البحوث وزعموا أن القرآن متعبد بتلاوته ولا يحتاج إلى مثل هذه الأعمال فقالوا:

1- أن الله تعالى قد ذم مثل هذا الاتجاه بقوله:﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[3] والرّد عليهم فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: "هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء ، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. "[4]

2- قالوا هذا العمل، كأنه استدراك على الله تعالى إذ لو شاء لجعل القرآن على الترتيب الموضوعي من أول الأمر.

و معنى عضين في الآية الكريمة فرقا وأقساما، أي أن الكفار جعلوا القرآن هكذا، بعضه سحر و بعضه أساطير الأولين وبعضه شعر.

---

[1] هناك مؤلف تحت عنوان التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للدكتور محمد السعدي فرهود رئيس جامعة الأزهر سابقا يوجد في 14 مجلد، هذا التفسير يتناول موضوعاً معيناً من مواضيع الحياة العامة ويحاول دراسته من خلال النصوص القرآنية مثل: التوحيد ، البحث عن النبوة، المذهب الاقتصادي

[2] مدخل إلى القرآن الكريم ، الدكتور محمد عبد الله درّاز ص119

[3] سورة الحجر الآيات 93/90

[4] صحيح البخاري ،كتاب التفسير ، تفسير سورة الحجر ص222

3- القول بأنه تقطيع لأواصر الآيات ومخل للنظام المعجز هو قول مردود؛ لأننا لا نؤلف الجمع الصوتي أو قرآنا يتلى فإن ذلك حرام. يقول الدكتور عبد الستار: (إنما هو جمع موضوعي مقصود به البحث والدراسة العلمية لاستخراج كنوز القرآن من جوانب الحياة، على نمط يلاءم العصر ويؤكد الإعجاز القرآني)[1] .

وكذلك ترتيب النزول فإن مقصده الدراسة مع أن القرآن الكريم نزل منجما.

لقد ذكرنا ولازلنا نعيد الذكر أن هذه الدراسة الموضوعية التي تعتمد على جمع الآيات المتفرقة من السور المختلفة لتشكيل موضوع ما، في فن ما، فإنه يعد دراسة تقنية وعلمية لتجميع مواد موضوع معين، هذا إذا كانت كاملة منسقة خالية من الثغرات، ولا علاقة لها بالجانب الفني أو الإعجازي أو البياني للقرآن الكريم، شأنها شأن التفسير التحليلي. ولقد ضربنا لذلك مثلا في إشكالية البحث: البيت من الخشب أو لحم الجزار).

أما التناسب بين الآيات وبين السور فهو أمر موجود وملموس وشائع، تكلم فيه العلماء، وأشاروا إليه. فقد قال الإمام الزركشي رحمه الله: قال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب لآي القرآن الكريم مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. و فصل الخطاب أنه على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا. إن بعض من يدعون (أن لكل سورة موضوع لا يزالون يعتقدون أن بعض السور فقط تحمل موضوعا واحدا وذلك ليس عاما في باقي السور).

يقول الدكتور السعيد: أن الله تعالى قد جعل القرآن موضوعات محددة مرتبة من أول أمر وهي في القرآن على قسمين:

منها قسم محدد مستقل بسورة لا تتناول إلا موضوعا واحدا كما في سورة الفيل، قريش الإخلاص، المسد، نوح ، الجن ، القدر ، القارعة .[2]

فهذا يجعلنا نؤكد أن هذا التردد الظاهر البين من كل من تصدوا للتفسير الموضوعي يصدق عليه قولنا هو أن عدم اكتمال صورة السورة الكاملة الإطار هو الذي جعل هذا الغبش في

---

[1] عبد الستار فتح الله السعيد،المدخل إلى التفسير الموضوعي،دار النشر والتوزيع الإسلامية،مصر،ط1991/2.ص

[2] هذا ما نعتقد، وهو ما نعمل للوصول والحصول عليه، أن لكل سورة موضوع خاص بها رغم تعدد الأغراض داخل السورة الواحدة. وإلا ما مزية السورة القرآنية ذات التسمية الواحدة . غير أن الاختلاف هو ماذا نعني بالموضوع، هل هو مراد واحد؛ هدف واحد ؛ مقصود واحد؛ هذا ما نعمل على اكتسابه دليلا للوصول إلى الهدف من كل سورة قرآنية.

الرؤية مستطيرا في كل الدراسات القرآنية. و الحقيقة التي نكررها في كل موضع من هذه الدراسة أن لكل سورة قرآنية شخصيتها ومميزاتها التي تختلف بها اختلافا كليا عن غيرها من السور.

يقول محمد الغزالي – رحمه الله – في سياق بحثه وتحديده لهدف أي سورة قرآنية:" و الهدف الذي سعيت إليه؛ أن أقدم تفسيرا موضوعيا لكل سورة من القرآن العزيز، والتفسير الموضوعي، غير التفسير الموضعي، فالثاني: يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام، أما الأول فهو يتناول السورة كلها، يحاول رسم صورة شمسية لها تتناول أولها وآخرها وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها، لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة وإن كثرت قضاياها، وتأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة فيما أعتقد).[1]

و لقد اهتم الناصري في كتابه التيسير في أحاديث التفسير كثيرا بالربط بين مقاطع السورة القرآنية فهو يقول مثلا: "ولفهم الآيات الأولى في هذا الربع، وربطها بما سبقها، نرى من المناسب أن نعود إلى بعض آيات الربع الماضي،.."[2]

أما الأستاذ أحمد بن عثمان رحماني فيقول بعد دراسة موضوعية أجراها على سورة الممتحنة :"..وبعد ذلك يمكن أن نستنتج أن سورة الممتحنة موضوعها واحد هو طبيعة الولاء بين المسلمين أفرادا وجماعات، واسم السورة(الممتحنة) مرتبط بذلك أشد الارتباط لأن الامتحان والاختبار المشار إليه يعني عدم الارتباط بالإنسان إلا بعد الوثوق بولائه لله لما في ذلك خطر على الصف الإسلامي.."[3] .

أما الدكتور عبد الستار فتح الله فينهج نهجا معاكسا تماما، وهو نفس المنهج الذي اشتهر بالموضوعي فهو يقول: "إن التفسير الموضوعي هو الذي يلزم فيه المفسر (موضوعا) لا موضعا بعينه فيجمع الآيات الكريمة من مواضعها ويقيم منها بناء متكاملا يقرر موقف القرآن من قضية ما.

---

[1] محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق ط7، ص5

[2] التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار المغرب الإسلامي، لبنان، ج2، ص272

[3] مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي، أحمد بن عثمان رحماني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008، ص185

و قد تدخل ألوان التفسير كلها لخدمة هذا الموضوع. فتأتي تبعا للقصد الأول فإذا احتاج الموضوع إلى شرح المفردات وتراكيب بعض الآيات دخل التفسير التحليلي"[1] .

نقد هذه الفكرة:

هذا الرأي الذي يرى أليس للسورة القرآنية موضوع معين،وأن التفسير الموضوع هو اختيار موضوع معين والاستدلال عليه من القرآن الكريم، نحترمه ويعد ضمن اختيار موضع من خلال القرآن الكريم كله. و الميزة فيه أن المادة الأولية من القرآن الكريم، أما الرصف و الوصف ففضله يعود إلى المؤلف أو الكاتب الباحث لجمع مادة هذا الموضوع. ولنضرب لذلك مثالا، إنك إذا صنعت بيتا من حجارة الجبال وحصب الأودية وخشب الغابات وكان منزلا راقيا، يا ترى لمن يعود الفضل؟ للمهندس، أم للغابة والأودية و الجبال. نعم الفضل لهم كما الفضل لله في كتابه. لكن يبقى هذا إبداعك. أما لو أن من جاء بعدك وقام باكتشاف النظرية التي قام على أساسها هذا المنزل. وكيف جمع صاحبها بين الجبال والأودية والغابات فأنجز هذا الإنجاز الباهر، يكون بطريقة موضوعية أو هندسية قد أبرز الجانب الجمالي الذي اعتمدت عليه والذي ربما خفي على الكثير. و تكون دراسته دراسة موضوعية لموضوع معين هو الهندسة التي قام على أساسها هذا البناء.[2]

ويرى الفراهي، في فصل سماه الوحدانية: لا يخفى مما قدمنا أن الكلام الصحيح النظام لا بد له من عمود يجرى إليه الكلام، فلا بد لطالب النظام أن يتأمل في مساق الكلام فانك ترى في السورة الواحدة مطالب شتى، ولا تعلم ما هو العمود الذي سيق إليه المعاني؟ ولي تهتدي إلى معرفة اتصال الكلام بعضه ببعض، دون معرفتك بمساق الكلام، ووجهته التي تسلك إليها أجزاؤه، حتى تراها منظومة في سلك واحد.

و بالجملة فالنظام هو الذي يعطى السورة وحدانيتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها، ذات عمود تجرى إليه أجزاؤها.

---

[1] معايير تحليل الأسلوب. ترجمة د.حميد الحمداني ص7/05

[2] سبق لي أن ضربت أمثلة مثل هذه في رسالتي المقدمة لنيل درجة الماجستير؛ وعانيت وانتقدت كثيرا ًمع أن المثال هو من الأدوات القرآنية المهمة في توضيح المقال، وهذا لا ينقص من قدر الممثل به أو المشبه به شيئا. فقد ضرب الله أمثلة على تعدد الآلهة فقال"ضرب الله مثلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل "أي هناك فرق بين العبد الذي يخدم سيده وبين العبد الذي يخدم عدة أسياد في المشقة والعناء.فإذا تعلق هذا بالذات المقدسة فكيف بالأمثلة العادية

الكلام يتفاوت من جهة الوحدانية، و المناسبة، و الترتيب، فيمكن أن يكون ذا وحدانية ولكن خاليا عن التناسب و الترتيب.

إنّ فكرة النظام مصلح عند الفرّاهي لا تعني بالضرورة التفسير الموضوعي، إنما هو مصلح مستحدث حاول فيه المقاربة بين التفسير البياني وترابط الأجزاء والجمل، فهو أقرب إلى دراسة المناسبة والتناسب للقرآن الكريم منه إلى التفسير الموضوعي الذي نحن بصدد البحث فيه.

المطلب الثاني: الموضوع في الآداب العالمية

الموضوع كمصطلح والآداب العالمية ومفهوم المقصدية الأدبية

تمهيد:

اعتمدنا هذا المبحث الأدبي العالمي، قصد التأكيد أن أي موضوع أدبي؛ عربيا كان أم أجنبيا، يعتمد موضوعا واحدا وأن مقصود الكاتب أو الشاعر واحد لا يتعدد، رغم اختلاف الأسلوب وتنوع الأفكار؛ رغم تعدد الفقرات أو الأغراض، ولهذا قال الله تعالى:

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ ﴾[1]

وكما قال الشاعر:

و مهما تكن عند امرئ من خليقة و إن خالها تخفى على الناس تعلم

فمهما يكن، فإن السبب في إنشاء القصيدة واحد والهدف واحد. وأسأل الله القدير أن أكون موفقا في الاختيار والتمثيل.

فمدرسة كوبنهاجن the copenhagen school يرى صاحبها اللساني الدانماركي لويس هيالمسالاف[2] أن الدراسات اللسانية – على حد اعتقاده – عند تناولها للسان البشري لم

---

[1] البقرة الآية 284

[2] باحث لساني دانماركي ولد سنة 1899 م بكوبنهاجن وتوفي سنة 1965 وهو أحد مؤسسي حلقة كوبنهاجن 1930 حيث يعتبر من أهم منشطيها ولقد تناولت أبحاثه اللسانية اللأولى صوتيات اللغة الليتوانية وصار في الخط الذي رسمه دي سوسير متعمقا في بعض المفاهيم التيأتى بها هذا الأخير فتواصل حينها إلى وضع النظرية اللسانية النسقية أو ما

تتخذ هدفا في حد ذاته وإنما وسيلة للإستزادة من تلك المعارف المختلفة المتعلقة أساسا بأحداث و ظروف خارجة عن الحدث اللساني تماما ما كان مجسدا بوضوح في دراسة أصوات اللغة و ذلك ما تعلق بالجانب الفيزيولوجي و الفيزيائي[1].

فهو يرى بهذا أن اللسان شكل ولا يمكن أن يكون جوهرا.[2]كون أن دراسة اللسان ينبغي أن تتم وفق مستويين اثنين: مستوى المضمون contenu ثم مستوى التعبير expression على هذا الأساس راح هيالمسلاف يقوم بعملية تعميمية لهذين المبدأين (الشكل والمضمون) فالوحدة عنده لا تحدد نفسها بنفسها وإنما بمجموع العلاقات الشكلية التي تقيمها مع بقية وحدات اللسان..[3]

و هذا التوجه كان سببا في اتجاهات لسانية حديثة، منها الاتجاه التوزيعي على يد العالم الأمريكي بلو موفيلد[4] ثم الاتجاه التوليدي والتحويلي على يد نوم تشومسكيو، الاتجاه الوظيفي على يد الباحث اللساني أندري ما رتيني.

تسمى بالشكلية التي تعتبر محاولة لصياغة النيات اللسانية بدقة متناهية ،ومع ذلك لم يكن لها الصدى الذي عرفته النظريات اللسانية الأخرى.

ومن أشهر مؤلفاته معلومات تمهيدية حول نظرية اللغة.ينظر في هذا الصدد مؤلفاته بالتفصيل سليم بابا عمر.اللسانيات الهامة الميسرة.دار أنوار الجزائر.1990.ص145

[1] اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية ،كل من حنيفي بناصر ومختار لزعر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ص54

[2] أرى أن هذا يوافق ما قاله الله تعالى حكاية عن المنافقين وطريقة كلامهم التي تخاف جواهرهم وقلوبهم ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ محمد: 30

[3] وهكذا يتضح أن معظم العاملين في الحقول البيانية والمعنوية يسعون إلى تحديد ماهية النصوص، أو ما يهدف إليه الكاتب أو صاحب النص، وهو ما أحدث إشكالا حقيقيا في ترجمة بعض النصوص من لغة إلى أخرى، إذ يتسبب هذا في عدم الموضوعية وأنه لا يمكن ان يرقى إاى مستوى أسلوب ولا مراد صاحب النص الحقيقي (يراجع كتب إشكالية الترجمة عبر الأنترنيت).

[4] لساني أمريكي ولد بشيكاغو سنة 1887 وتوفي سنة 1949 هو أحد مؤسسي الإتجاه التوزيعي،ومن ثم من مطوري اللسانيات البنيوية.ولقد تكون ة.بلوموفليد في اللسانيات (الآرية)ثم بعدها درس اللغة الألمانية خلال فترة 1940/1927 اهتم بعدها مباشرة باللسانيات العامة التي أدخل عليها الكثير من الأفكار .

هذا بخلاف بعض الدراسات العشوائية التي تطالب بالحداثة في كل شيء، للتخلص من القوالب التقليدية القديمة في كتابة القصة أو عمود الشعر، بإنشاء كوكتيل من الألفاظ والعبارات لا يجمعها إلا الورقة المكتوبة عليها.

مفهوم المقصدية الأدبية:

المقصدية النصية، أو ما يهدف إليه المتكلم من المخاطب، هو جوهر وروح أي نص أدبي – عربي كان أم عالمي – وهذا السنن تسير عليه كل المحاكم العالمية في تحقيقاتها للوصول إلى نوايا المتهم، وما يصدر عنه خلال التعبير عن موقف ما، وعلى نفس السنن تتماشى المدارس النفسية وحتى الأخلاقية، ولله ما أعظم القرآن الكريم حين يرد على الكفار حين تلاعبوا بالألفاظ لغرض دنيء ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾[1]

و تعنيفه لليهود بهذه الطريقة لأن الألفاظ اليهودية كانت مناقضة للنوايا.

و هكذا تتفق جميع المدارس العالمية في تحديد موضوع النص و مقصديته، فأنت تقول مادحا لإنسان لوفائه (أنت كالكلب) وهذا ليس كقول الله تعالى في حق من لا يتوقف لسانه في حق الصالحين سواء جادلوه أو فارقوه: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ﴾[2]

فذاك مدح له لوفائه وهذا ذم له لتطاول لسانه.

هل المقصدية تعني الموضوع؟

يقول ميكائيل ريفايتر: (أعني بالأسلوب الأدبي كل شكل ثابت **permanent** فردي ذي مقصديه أدبية) .

---

[1] البقرة الآية 104

[2] الأعراف 176

وحتى لا يكون تعريفه كلاسيكيا حرص على توضيح ما هو المقصود بالشكل الثابت. فرأى أن ذلك لا يعود إلى الحفاظ المادي للوحدة الفيزيائية للنص، ولكن يعود إلى ثبات الخصائص التشكيلية التي تميز كل عمل أدبي. كما وضح مفهوم المقصدية بأنه لا يعني بالضرورة تلك الحمولة الدلالية بل كل مقصدية تجد في النص بعض ما يبررها على مستوى وحداته البيانية، أي تلك الحمولة الجمالية .[1]

وتتقارب آراء ريفايتر هنا مع آراء ياويس، فليس مفهوم القارئ النموذجي **Archi lecteur** إلا تركيزا لمفهوم "آفاق الانتظار" المعتمد لدى ياويس في إعادة كتابة تاريخ الأدب...ذلك التفاوت الحاصل بين واقع النص الثابت واختلاف وتباين القراء في قراءته بفعل تطور السنن.[2]

هذه نظرة إستشراقية لمفهوم النص تجعل من الأسلوب النصي وسيلة للقارئ، يحدد من خلالها موضوع أي نص أدبي .

يقول ريفاتير:(... موضوع تحديد الأسلوب هو الوهم[3] الذي يخلقه النص في ذهن القارئ و هذا الوهم ليس بالطبع خيالا خالصا ولا تصورا مجانيا فهو مشروط ببنيات النص و بمثيولوجية أو إيديولوجية الجيل للقارئ..[4].

و الذي ينبغي الإشارة إليه أن تحديد المعنى المراد من أي نص يختلف باختلاف اللغات و الممارسين لهذه اللغات. و هذا ما يطلق عليه ظاهرة الغموض، تقول شفيقة العلوي: "ترتبط هذه الظاهرة بالمجانسة في البناء هومونيم homonyme de construtionفالجملة الواحدة قد يكون لبنائها الخارجي معنيان متمايزان، نحو (ضرب الأب الولد)، فقد تعني أن الأب ضرب أو العكس.

---

[3] ميكائيل ريفاتير ,ت د.حميد، ص45

[2] ميكائيل ريفاتير ,ت د.حميد ص55

[3] إن لفظة **الوهم** التي عبر بها دون سواها، تفيد أن مردودية النصوص تختلف من قارئ إلى قارئ.حسب الأفهام وحسب المقاصد، فحين يقول لك صديق حميم" أيها الرجل" تفهم عنه أنه مدحك انك رجل، بخلاف إذا صدرت نفس العبارة" أيها الرجل"من عدو حاسد فإنها تفيد خلاف ذلكن ويناسب هذا ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:"ذق إنك أنت العزيز الكريم"وهو خطاب من الله تعالى لعدوه الكافر في عذاب جهنم حيث لا ذوق ولا عزة ولا كرامة بل هي النكاية والسخرية والاستهزاء المحض.

[4] نفس المصدر ص 58

إن هذا الأمر هو الذي دفع تشومسكي إلى البحث عن البنية الأصلية للتركيب النووي (noyau) لكل جملة مكتوبة أو منطوقة. وبذلك يتسنى استيعاب معناها"[1].

إن تحديد المفهوم يعد الهم والأهم النسبة لأي نص. جاء في دراسة قام بها كل من الأستاذان حنيفي بناصر ومختار لزعر"إن قراءة أي تراث سواء أكان لاهوتيا أم فلسفيا أم فكريا ..إنما يمثل بحق الهموم الفلسفية في الفكر الغربي المعاصر، وقد اقترنت في نشأتها بالبحث في مشكلات تأويل الكتابات الدينية وذلك تحت اسم التأويلية[2] HERMENNEUTIQUE.[3]

إن الإهمال لمراد المتكلم أو إهمال السياق الذي وردت فيه العبارة هو أول انحراف في اللسانيات الحديثة حاد بها عن جادة الصواب المعرفي واللغوي والبنائي. فقد عرف عن الدراسات اللسانية البنوية أنها كانت تهمل السياق و المقام و تعتبرهما شيئا خارجا عن مكوناتها و ذلك بسبب هيمنة الأفكار العلمية الصورية[4]

بمثل هذه الطرق التي لا تراعي الألفاظ فحسب، بل تتطلع إلى قصد ومراد المخاطب أو الكاتب أو القائل. فالعبرة بما يريده منا لا ما نفهمه نحن، فإذا طلب منك جائع طعاما وبدأت تعدد له أنواع المأكولات وهو بأشد الحاجة إلى سد رمقه، فقال لك "ناولني ترابا أو حصى" فهذا يعني ناولني ما يحضرك الآن فليس الوقت وقت خيارات. و لا يعني أبدا أنه يرغب حقيقة في أكل التراب أو الحصى. ومن الغباء أنك تناوله ذلك.

و هذا المعنى يدرج في باقي الأعمال و العبادات قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

[1] محاضرت في المدارس اللسانية المعاصرة،شفيق العلوي،ص52/51 .أبحاث للترجمة وزالنشر والتوزيع.الطبعة الأولى.2004

[2] استعمال مصطلح تأويل هو الأفضل بدلا من HERMENNEU TIQUE ويشفع لنا في ذلك الدكتور عبد الملك مرتاض بقوله"وعلى أن من النقاد العرب من ترجم هذا المصطلح إلى العربية في صورته الغربية بكل فجاجة فأطلق عليه(الهرمنيو طيقا)وهو من أقبح ما يمكن أن ينطقه الناطق في اللغة العربية ، ونحن لا نقبل بهذه الترجمة الثقيلة مادام العرب عرفوا هذا المفهوم وتعاملوا معه تحت مصطلح التأويل فلم يبق لنا إذن إلا أن نستعمل "التأويلية"مقابلا للمصطلح الغربي القديم./التأويلية بين المقدس والمدنس.مجلة عالم الفكر.المجلد 29.العدد الأول .الكويت.2000م، ص263

[3] اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية. حنيفي بناصر ومختار لزعر.ص153.ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.2009

[4] انظر الجزائر.ZAWI MUSTAPHA Ksemantiqueet etudede langue 1993.

"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته لله ورسوله فهجرته لله و رسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" [1].

فالهجرة واحدة، والوجهة هي المدينة المنورة الواحدة، و هذا يعني أن نفس الرحلة ونفس الوجهة تختلف من شخص إلى آخر، كما أن نفس الكلمة أو العبارة تختلف من شخص إلى آخر.

فمثلا قول الله تعالى:

﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾[2]

فجملة: "ذق إنك أنت العزيز الكريم"جاءت على سبيل السخرية والاستهزاء والتبكيت وهذا يعرف من السياق العام للآية، ومن الشراب المعروض على هذا العزيز الكريم الذي هو في الحقيقة كفور لئيم.

يقول الإمام الثعالبي . رحمه الله . حول هذه الآية :"مخاطبة على معنى التقريع."[3]

ويقول الإمام البقاعي . رحمه الله . فهو كناية عن مخاطبته بالخسة مع إقامة الدليل على ذلك لما هو فيه من المهالك.[4]

من هنا يتضح أن أنواع المجازات والكنى والاستعارات كلها روافد تفيد وتساهم في استجلاء الموضوع فضلا عن النبرات الارتدادية التي نجدها مقحمة في بعض السور القرآنية.

قال امرؤ القيس:

إذا أعرضت قلت دبَائة من الخضر مغموسة في الغُدُر

---

[1] صحيح البخاري ؛باب كتاب بدء الوحي ، ج1 ص2 ،سنن ابن ماجة،كتاب الزهد،الجزء5 ،ص305

[2] الدخان الآيات من 44 حتى 51

[3] الجواهر الحسان في تفسير القرآن،عبد الرحمان الثعالبي،المؤسسة الوطنية للكتاب،ج4 ص191

[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية،ج7/ص82

يبين ابن قتيبة [1] ذلك بقوله:"يقول كأنها من بريقها قرعة وليس يريد أنها مغموسة في الماء ولكنه أراد أنها في ري فهو أشد لملامستها، وهذا كقولك: فلان مغموس في الخير، وقال بعضهم إناث الخيل تكون في الخلقة كالقرعة يدق مقدمها ويعظم مؤخرها.[2]

ثم إن المعاني والمباني لها صلة وطيدة ببعضها، وقد يحمل المبنى البسيط المعنى الوافر. قال ابن قتيبة في كتابه المعروف الشعر والشعراء: "وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يختار على جهات وأسباب، منها الإصابة في التشبيه ..و منها ما يختار ويحفظ لأن صاحبه لم يقل غيره...وقد يختار ويحفظ لنبل صاحبه..."[3].

نلاحظ مما سبق ذكره أن أي نص أدبي، قرآنيا كان أم شعريا أم نثريا؛ ومهما تغيرت أساليبه، فإن مدار الحكم على مقصود المتكلم أو المتحصل عليه من الكم اللفظي والدلالي. مصطحبين في ذلك المجاز والاستعارة والتشبيه وكل الأدوات البلاغية والبيانية التزيينية، فهي بمثابة معطرات غذائية، أو وسائط كيميائية[4]، والتي تتضافر كلها لتأييد مقصود ونية المتكلم، بما في ذلك مقوم الحذف و الالتفات.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في رده على من يقول رأيت أسدا:"..فإن قال قائل: كان سياق هذا الكلام وتقريره يقتضي أن طريق المجاز كله العقل وأن لا حظ للغة فيه، وذاك أنا لا نجري اسم الأسد على المشبه بالأسد حتى ندعي له الأسدية. وحتى نوهم أنه حين أعطاك من البسالة والبأس والبطش ما تجده عند الأسد. صار كأنه واحد من الأسود، قد استبدل بصورته صورة الإنسان. وقد قدمت أنت فيما مضى أنك لا تتجوز في إجراء اسم المشبه به على المشبه حتى تخيل إلى نفسك أنه هو عينه.."[5]

---

[1] هو الإمام البارع المفسر المحدث الفقيه القاضي؛اللغوي النحوي الأديب الكاتب أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ويقال الدينوري لأنه ولي قضاءها فأقام بها مدة .ولد بلا خلاف سنة213من شيوخه في العلم والفقه ابن راهويه (ت238)وفي اللغة أبو حاتم سهل السجستاني(ت248).

[2] كتاب المعاني الكبير، ابن قتيبة الدينوري، دار النهضة الحديثة،بيروت. الجزء الأول ص60

[3] كتاب المعاني الكبير ج1ص ح.من المقدمة.

[4] الوسيط الكميائي هو المادة الكيميائية أو الفيزيائية كالحرارة مثلا التي تساعد على التفاعل ولا تدخل فيه

[5] أسرار البلاغة في علم البيان،الإمام عبد القاهر الجرجاني،ص358 . دار المعرفة . بيروت

بعد هذه الجولة بين المعنى والمبنى، وكيف نحدد روح النص القرآني من الجانب النظري والتنظيري، بات لزاما أن نقدم نماذج متفرقة ومنوعة، لتأصيل هذا المفهوم الموضوعي الذي نحن بصدد تأكيده. وأن ليس هناك قطعة نثرية أو شعرية،[1] إلا ولها موضوع ينشده صاحبه.

نموذج القصيدة العربية (شعر الجاهلية نموذجا)

توطئة:

شعر الجاهلية و الشعر المخضرم كلاهما نتاج فصيح صريح لا يختلف اثنان حول وحدة البيت في كليهما فضلا عن عدم اختلافهم حول موضوع كل قصيدة على حدا.

فعلى الرغم من أن النظرة الأولى تنبأ عن التفكك ووحدة البيت وتعدد المواضيع إلا أنه في الأخير تبين موضوع القصيدة جليا في وصف همه أو أرقه أو شجاعته وبسالته وتحريض قومه وغيره من الأغراض الشعرية الجارية.

نماذج من شعر الجاهلية

النموذج الأول: قصيدة عمرو بن كلثوم [2]

الخليط الذي يفضي إلى غرض واحد:

المعلقة تكتب القصيدة

قصيدة عمرو بن كلثوم – ألا هبي بصحنك- التي تقع في أكثر من مائة بيت تتراوح بين الغزل والحماسة والفخر والخمر و مخاطبة عمرو بن هند بالوعيد مرورا بذكر يوم خزازى.

---

[1] هممت بالتعرض إلى نماذج من الشعر الملحون ،والتي يتراوح بعض أبياتها بين المأة والمأتين بيت، ولا تراوح موضوعا واحدا منها قصيدة ،للشاعر عباسي محمد ، يجري محاورة بين الهاتف الثابت والمحمول ' حتى تظن أن أحدها الفرزدق والثاني جرير. وفي آخر المطاف يتوصل أن كلاهما وسيلة اتصال_(حنا غي مرسول وصَالين خبر: والنعمة تفنى ليمدار قدر)، وأن سوء استعمال البشر لهذه النعمة هو الذي جعل منها نقمة في بعض الأحيان.

[2] هو عمرو بن كلثوم بن عتاب من بني تغلب. ولد في مطلع القرن السادس للميلاد .وساد قومه صغيرا .كان فارسا شجاعا معجبا بنفسه،وكان يزور عمرو بن هند ملك الحيرة .وينشده الشعر،ولكن لا يمدحه،كانت العداوة لم تتوقف بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس,فلما جاء عمرو بن هند(554)رغب في حسم النزاع بينهما ودون تفصيل لم يكن عادلا في الصلح فغضب بنو تغلب وكادت أن تنشب الحرب من جديد،فعمد عمرو بن هند إلى التوفيق بين القبيلتين فجمع أشرافهما وسادتهما في مجالس متعددة كان آخرها الجلسة التي قيلت فيها معلقة عمرو بن كلثوم

فعلى اختلاف موضوعاتها فهي موضوع واحد، فخر بقومه ووعيد لعدوه في النهاية.
فكيف جاءت هذه القصيدة وكيف كان بناؤها وكيف كانت نهايتها ؟

يبدأ الشاعر بالحديث عن الخمر، وكأنها إيماءة منه أنه مرتاح البال في أكثر من عشر (1 /10) القصيدة ثم في العشر الثاني يتغزل؛ حتى يظن القارئ أن هذا الرجل لا يعرف حربا ولا يحسن حمل سيف، ولا مقاومة. ثم ينتقل السياق نقلة عجيبة وبوثبة سريعة حول الغرض الحقيقي الذي هو وعيد وتوعد، بنبرة نونية تهز أركان الجزيرة العربية كلها. ولعل التشبيب في القصيدة العربية والبدايتي بالتغزل في جميع الأغراض يغني عن بسط كلامنا في هذا الموضوع.

كانت البداية بالجنريك أو ما يسمى بالنيكاتيف[1] أشبه بتمويه عسكري يتظاهر صاحبه بالضعف واللهو ثم ينتقل السياق فجأة { أبا هند فلا تعجل علينا و أنظرنا نخبرك اليقينا } انتقالة قوية وكأن واصل القصيدة شخص آخر يختلف اختلافا كليا عن شاعرنا الأول المخمور المغموس في العشق والغزل. فمن صرير الخمر والرضاب، والوصف الجميل اللطيف، إلى صليل السيوف وجعجعة الرحى الطاحنة

إذا نقلنا إلى قوم رحانا يكون لها عند اللقاء طحينا

مع الاستمرار في تكرار الذات –نحن –نحن –نحن، وكأن ليس هناك غيره من يتكلم حتى يختم القول بأعظم شيء يفخر به

ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا

ثم يختتم بوحدة صنعت مجده

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابرة ساجدينا [2]

و هذا أشبه بما جاء في سورة العاديات[3]، فسورة العاديات من السور القرآنية التي يتضح فيها الفعل السنمائي اتضاحا جميلا، صارخا مدويا؛ من صوت وصورة وغبار، وقدح ووميض،

---

[1] Negatif هو المقطع الموسيقي الذي يسبق أي حصة إذاعية وقد لا يستغرق أكثر من دقيقة واحدة.

[2] أذكر أن شيخنا الغزالي رحمه الله قال لنا سنة 1988 كان من الواجب أن نعلم أبنائنا "إذا بلغ الفطام" بدلا من "ويوم عقرت للعذارى مطيتي" لامرئ القيس

[3] ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى

فهي بحق موسيقى تصويرية عجيبة تجعل القارئ ـ بل المتفرج ـ على الصفحات يجعل أصابعه في آذانه من وقع الحوافر، و يستغشي ثيابه لحماية نفسه من النقع الثائر.

بهذه الوتيرة التي كان عليها الشعر الجاهلي جاء القرآن الكريم، هذا النهج الذي ترتضيه كل نفس فطرية عالمية، هذا النوع من الأدب ساري المفعول إلا ما جاء من بعض الذين يحاولون الظهور بدعوى المغايرة، وتغيير السنن فأحدثوا نقعا آخر أرمد العيون، و رعدا أصم الآذان بدعوى الحداثة[1] والتطور.

النموذج الثاني: طرفة بن العبد[2]

المخمور العاقل، المتجاوز المعاتب، السخي الفقير، المظلوم المحب من ظلمه.

إذا انتقلنا إلى معلقة أخرى هي درة في عقد ثمين، من شعر الجاهلية، هي معلقة طرفة بن العبد، وبعد معرفة الخلاف الذي كان بينه وبين أعمامه من بني سعد بن مالك هذه المعرفة لا يمكنها أن تصرفنا عن بداية القصيدة الطللية و الغزلية، ثم وصفه لناقته التي بالغ في وصفها حتى عد أفضل وصف للناقة عبر التاريخ الشعري، في ثلاثين بيتا شعريا.

لم تكن لتصرف شاعرنا إلى ما يرمي إليه، فهو يعود للحديث عن الغزل و الخمر وكأن الرجل ملاصقا لها.

يقول:

ومازال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي و متلدي

فرغم ذلك فهو يرى أن وجوده في الحياة لتحقيق اللذة لنفسه والسعادة لغيره

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل ما قام عودي

﴿ ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ العاديات: 1-11 من أهم السورة التي تشهد حركة ونقعا و أصواتا وصهيلا.

[1] الحداثة توجه أدبي حديث، يعمل على كسر القواعد الأدبية، والأوزان الشعرية والقوافي، على أنها قيود تحول دون تطور الشعر.وكأنها محاولة منهم لجعل كل من يرغب أن يكون شاعرا أن يكون ، دون الالتزام بنظام الشعر واحترام عموده.

[2] طرفة لقب أما اسمه فعمرو بن العبد بن سفيان من بني سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل فأبى أعمامه من بني سعد بن مالك أن يقسموا له نصيبه من إرث أبيه،وظلموه حقه فنشأ مع أمه في بؤس.

قال طرفة الشعر شابا ورغم حداثة سنه إلا أنه بلغ بمعلقته هذه حتى قالوا (طرفة أشعرهم واحدة)يقصدون تفضل كل المعلقات.يراجع شرح المعلقات للزوزني.

فمنهن سبق العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكري إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمد

و هي الخمر و النساء وإغاثة الملهوف مهما كلف الأمر. هذا كله تمهيد للرد على بني عمومته الذين رموه بالتبذير والمجازفة بنفسه وماله وإسرافه على نفسه.

إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد

يلوم وما أدري علام يلومني كما لامني في الحي قرط بن معبد

على غير شيء قلته غير أنني متى يك أمر للنكيثة أشهد

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ثم يبدأ يعرض من الحكمة والتفنن

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام و الدهر ينفذي[1]

ثم يتأسف عن استعجالهم باتهامه قائلا:

فلو كان مولاي امرءا هو غيره لفرج كربي أو لأنظر غدي

ولكن مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر و التسآل أو أنا مفتد

بهذا التخلص الجميل يدخل في صلب **الموضوع** الذي لأجله بنيت القصيدة كلها وكانت سبب وجودها وسبب ولادتها من العدم.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

أي أن كلامكم أخطر و أوقع على النفس مما تخافون أو تدعون أنكم تخافونه علي، أي لا تدعون نقدي وإهانتي وإذلالي بكلامكم، أنكم ناصحون، أو محبون، فهذه ذريعة لتنفيذ حقدكم وحسدكم، وليس هذه طريقة إصلاح من يحب. هنا ينتقل إلى المتوقع المرتقب بعد هذه الزوبعة التي

---

[1] وهو أشبه بما رده حاتم الطائي حين كانت أمه تصفه بتبذير ماله بحجة الكرم

تقول لي أهلكت مالك فاقتصد وما أنا لولا ما تقولين سيدا

أريني جوادا مات فقرا علي أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

أثارها في رؤوسهم من الخمر والهيام، قبل أن تنال من هذا الذي ينجز هذا الإنجاز العظيم يؤكد بنوع من الوعيد الهادئ:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزودي

أي يا أبناء العمومة و العاذلون؛ كلامكم لا يزيد ولا ينقص من شخصي ولا شخصيتي و انتظروا أخباري التي تكذب ادعائكم من الطرق التي لا تتوقعون.

يقول أما أنا فلست من صنفكم، ولا أقابل سيئتكم بسيئة مثلها، أنا أكبر من أن أنتقم

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد

لهم جل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لا أكلفهم رفدا

آه كم تمنيت وتمنيت لو أن النقاد و الشراح تعرضوا لشعر الجاهلية بهذه الموضوعية، ولم ينهجوا نهج المفسرين من تحليل للألفاظ وتفكيك للنصوص؛ كبائع الغيار القديم يعمدون إلى سيارة شغالة فيفككونها قطعة قطعة فلا تصلح أن تكون أو أن يطلق عليها اسم سيارة، بعد أن كانت سيارة سائرة تدب فيها الحياة.

نماذج غربية

أوردنا نماذج غربية غير عربية من شأنها أن تضفي على هذه الدراسة دعما للموضوع فأوردت نبذة عن بعضهم وصلتهم بالتزام الموضوع في أي نص شعري.

آدغار آلان 1849/1809

همه هو المتخصص في صنع الساعات لا تهمه ساعته التي تلفت

حياة أدغار حياة بؤس ولد من أبوين ممثلين، وماتا وهو طفل، ولما بلغ السادسة انتقل إلى انجلترا ودخل المدرسة، عرف بالحيوية وحب الشمس والهواء والماء _الطبيعة)ص40/35[1]

لقد كان وفيا للجمال الفني حتى آخر حياته اصطنع هذا الجمال لوحدة التأثير إذ رأى في كل قصيدة بناء متراص المداخل لابد أن ينهار إذا تقلقل حجر من حجراتها وقد عبر عن هذا الرأي في كلامه على قصصه إذ قال في تحليل الحبكة ""إنها ذلك الذي لا يمكن لأي جزء فيه أن يزحزح دون أن يزعزع الكل"[2].

---

[1] اللغة العربية معناها و مبناها ص45/35 بنوع من التصرف

[2] اللغة العربية معناها و مبناها ص34

و يقول الدكتور جميل جبر"فبينما نرى هذا الاهتمام بالجمال يسير عفويا في مرحلة نتاجه الأول في القصيدتين الطويلتين "تيمورلنك"و"الأعراف"مثلا نراه قد تركز في قصيدتي "الغراب" على أسس واضحة في البناء حين ينسجم التركيب الهرموني وجود الفكرة المعبر عنها.
ويقول عنه سبيلر"كان أول كاتب أمريكي نجح في خلق حياة كلها فن لتضيء وسط المشاكل البشرية المظلمة ".[1]

ساعتي

"ساعتي الجميلة دارت ثمانية عشر شهرا لم تسرع في سيرها ولم تبطئ لكن حدث ذات يوم أن وقعت مني ساعتي فاضطربت ...
ويتحدث أنه انتقل بها من ساعاتي إلى آخر، إلى أن كانت النهاية حيث ذهب إلى صديق له يدعي صناعة كل شيء، يقول: "وبينما أنا في تأملي أدركت أن الساعاتي صديق قديم لي، يمارس عدة حرف. فهو مثلا يعرف كيف يصلح آلة بخارية، ولكن يجهل أي شيء عن الساعات و تركيبها، ولكن مع هذا ما تورع عن فحص ساعتي كما فحص غيرها، ثم أعلن رأيه فيها بكل رباطة جأش "إنها تولد بخارا كثيفا فيجب أن تدع صبابها مفتوحا،كان جوابي ضربة شديدة على أم رأسه قضت عليه، فاضطررت أن أدفع نفقات دفنه"[2].
نلاحظ أن هذا الأديب . بعد حديثه الطويل في البحث عن متخصص في صنع الساعات متخذا الوسائل التالية:
1- استعمال لغة المحادثة العادية على غير حشر تزييني شأنه شأن المنفلوطي.
2- خلق إيقاعات جديدة دونما إلحاح.
3- إدامة التركيز حول الموضوع الذي هو جوهر الشيء.
فالمهم عنده من الموضوع أن أشيائنا النفيسة ينبغي أن نودعها من يستحقها.
ومن خلال تتبع الآداب العالمية يتضح أنه مهما تنوعت الأغراض في القصيدة المنظومة أو النثرية فإن **الموضوع** الذي يرمي إليه الكاتب واحد ولا يمكن أن يتعدد أو يتعداه.

---

[1] مارك توينى1910/1835
أول كاتب جسد عقلية الأمريكي المتوسط في عصره ولد صمؤيل كلمينز في فلوريدا وهي قرية صغيرة في ولاية ميسوري درت عليه الصحافة اليسر و الشهرة
[2] اللغة العربية معناها و مبناها *********ص34

البلاغة تأثير قبل أن تكون اكتشاف محسنات بيانية

هناك من يختار الموضع من السورة القرآنية أو القطعة من القصيدة الشعرية ليكتب حولها دراسة بيانية ويستخرج ما كان فيها من بيان وبديع. وهذه الخطوة وإن كانت منهجية مدللة، فإنها تقضي على روح النص الأدبي القرآني أو الشعري على حد سواء، بالكمية والنوعية التي تسري فيه من أوله إلى آخره. فيصير العمل كمن يلوك علكا دونما شبع. من أجل هذا يجب أن يسبق التأثر و الاكتشاف أي بحث. فالموضوع الذي لا يغري قارئه ولا يحرك فيه نوازع البحث وخطرات الأسئلة تكون محاولة الكشف عنه ضربا من الخيال ومخادعة للنفس بألفاظ تمليها المفردات والكلمات بعيدة كل البعد عن روح النص وخلجات كاتبه. و الحقيقة هي اشتراك العقل و النفس معا في تفهم أي نص أدبي ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[1]

إن ارتباط أجزاء التراكيب بعضها ببعض من جهة وارتباطها يغيرها من التراكيب الأخرى هذا الذي جعل اللغة قادرة على تحمل شحنات دلالية لا حصر لها تفي بمقتضيات الناطقين وتعبر عن مختلف أغراضهم.

يقول الدكتور تمام حسان: " اللغة منظمة عرفية للرمز على نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرة عن هذه المعاني ثم طائفة من العلاقات التي تربط ربطا ايجابيا أو الفروق التي تربط سلبيا بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني"[2].

هذا الذي جعلنا نوقن أن تفكيك النصوص – أو النص– يعتبر عملا آليا محضا لا يخدم النص روحا ولا معنى. وهذا معنى الموضوعية في الشعر والنص القرآني الذي نحن بصدد التنظير له، وهو أشبه بعمل الجزار الذي يعمل على فصل أجزاء الميتة لأغراض المستهلكين. فقصد المتكلم أو صاحب النص أولى بالاهتمام و يراعي قبل كل خطوة تفكيكية أو سردية.

---

[1] القمر الآية 17

[2] التقديم والتأخير في التراكيب العضوية ،ص7*********

ولقد تفطن سيبويه منذ وقت مبكر إلى مقاصد العرب من عباراتها و تراكيبها أي إلى الدلالات و البنى العميقة التي تكمن وراء الظواهر اللسانية الشكلية فسعى إلى تفسير السلوكات و العادات الكلامية التي تجسدها تراكيب اللغة العربية قائلا:

"إن العرب تقول هذا أنت – ولم يرد بقوله – هذا أنت – أن يعرفه بنفسه كأن يريد أن يعلمه أنه ليس غيره. هذا محال ولكنه أراد أن ينبهه كأنه قال بأن الحاضر عندي أنت و الحاضر القائل كذا وكذا أنت." [1].

قال تعالى في هذا المعيار البلاغي الذي يراد به تحديد الهوية وتشخيص الفاعل وتبكيت السامع الذي يحاول التحرر من فعلته:

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [2]

المعنى هو المعنى الذي أراده المتكلم أو الكاتب، فكثير من الأحيان ما يتكلم المتكلم وهو يريد معنى معين ولا نفهمه، فإذا فهمناه وجهنا كلامه: إذا كنت تقصد هذا فقل كذا ولا تقل كذا، أما إذا كان كلام الله تعالى، ولا يضل ربي ولا ينسى، أو كلام المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما ينطق عن الهوى، أو كلام الفصحاء البلغاء من عصر الجاهلية خاصة ومن جاء بعدهم، فعادة ما يكون الكلام مطابقا لمقتضى المقام والمقصود والمفهوم في آن واحد.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3]

أي خصوصا العرب، هم يهتدون بالنجم أكثر من سواهم. لأن الصحراء قليلة الشواهد من الجبال والهضاب والآفاق، خاصة في الليل. فالنجم هو الموجه للقوافل والطرق التجارية.

---

[1] المصدر نفسه. ص09

[2] البقرة الآية 85

[3] النحل الآية 16

تكوين موضوع بتجميعه من القرآن الكريم هل يعد تفسيرا موضوعيا؟

إن جمع المعلومات و النصوص المتفرقة لاكتسابها دليلا وتفصيلا للموضوع بعينه تعد طريقة منهجية وعلمية وعملية لكن لا تعد تفسيرا ولا دراسة موضوعية بيانية للقران الكريم. إذا لا ميزة بيانية لنصوص متفرقة إلا أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما. بالإمكان تغطية أي موضوع من جميع الجوانب استنادا إلى القرآن الكريم كالإنسان أو الطبيعة أو النفس وتكون قيمة البحث وميزته عائدة إلى الباحث ومنهجيته في اكتساب الأدلة وجمعها من القرآن الكريم وكيفية توظيفها.

ويرى علماء الدلالة المحدثون[1] أن اللغوي الفرنسي ميشال بغيال يعتبر مؤسس علم الدلالة المتعارف عليه، و هذا الذي وجه الاهتمام لدراسة المعاني بذاتها وقد اقترنت أهمية – ربال – بمحاولة الناقدين اللغويين الانجليزيين ريتشارد وكوردن اللذان حولا بكتابهما المشترك معنى المعنى. مسار الدلالة mening of mening " و أوجه العناية بالعلاقة التي تربط مكونات الدلالة التي يجب أن تبدأ من الفكرة أو محتوى الفكرة التي تستوعب الكلمة و الذي يومئ إلى الشيء"[2]

فالدلالة لدى هؤلاء المجتمعين عبارة عن اتحاد شامل بإطار متكامل بين الدال والمدلول غير قابل للتجزئة و الفصل ويتضح مرة أخرى أن النصوص لا تقبل التجزئة كما لا تصلح أي سيارة مفككة للسير.

فإذا اعتمدنا ما يطلق عليه المقارنة اللغوية linguistic comparisme سنجد كل الآداب العالمية تخضع إلى موضوع معين فأي رسالة كأبسط مثال توجه إلى مصلحة من المصالح بعينها.

إن الذي يتوجه إلى النص الأدبي أو القرآني بكلية فهمية ليس كالذي يتوجه إليه بجزئية نقدية أو جمالية، فالسبك و الحبكة و البيان و البديع كلها أشبه بالمعطرات الغذائية لكنها لا تغني عن المادة الغذائية نفسها.

---

[1] السبق للمسلمين في علم الدلالة وما اللسانيات الحديثة إلا امتداد لأعمال أبي لأسود الدوئلي والخليل ابن أحمد وسيبويه وابن جني و الآمدي و غيرهم.

[2] -1(تطور البحث الدلالي ص15)

فالموضوع الذي يصبو إليه الكاتب أو المؤلف هو جذع الشجرة التي تعطي هذه الثمار فكيف لمن يجني ثمارا و لا يعرف نوع الشجرة؟ .

اهتمام النص واحد رغم اختلاف التنقلات ووحدة البيت في الشعر إلا ما كان من بعض النصوص المحدثة التي يعمل أصحابها على الالتواء و الانتقاء و محاولة إغراء القارئ في اللاشيء لأن هدفه لا شيء.

خلاصة

من الملاحظ من خلال هذه النماذج أن كل النصوص، مهما تعددت أغراضها فإنها ترمي في الأخير إلى غرض واحد هو جذع الشجرة، أما جمع الأوراق والأزهار من مناطق مختلفة وإطلاق اسم شجرة عليها ذلك ممكن لكن سرعان ما يدب إليها الجفاف وتفقد نضارتها. وهذا الغرض الكلي من وراء أي تأليف بشري أو رباني. وكل ما عدا ذلك يعد فوضى نثرية لا يبالي منشؤها قالوا صدق أم كذب، وصلت فكرته أم لم تصل. ومن أجل هذا قال الله تعالى منبها نبيه عليه الصلاة: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[1]

بمعنى، يا محمد كن حريصا على وصول المعاني إلى قلوبهم ونفوسهم، لا إلى آذانهم فقط، فحتى قراءة القرآن قال عنها الله تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ ﴾[2]. فالقضية ليست استماع فقط بل إنصات كذلك. لهذا وجه النبي صلى الله عليه وسلم بالآية السابقة. والتي جاء توضيحها في آية أخرى من قوله تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ ﴾[3]

---

[1] المائدة الآية 67

[2] الأعراف الآية 204

[1] النساء الآية 63

بات لزاما أن نحدد معالم نظرية صلبة،كأداة قياسية نستلهم من خلالها موضوعات السور القرآنية كل واحدة عن حدا، فضلا عن موضوعات القرآن المتنوعة، لأنه من العبث أن يتكلم المتكلم وهو لا يرمي إلى مقصد معين أو هدف معين، بل إلى موضوع بعينه. فهو نوع من اللهو لا معنى له فكيف إذا كان هذا المتكلم هو الله رب العالمين: ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

و قال تعالى:﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾[2]

المبحث الثاني: الفكرة والنشأة

[2] الأنبياء الآية 17

[3] الكهف الآية 109

المطلب الأول: فكرة التفسير الموضوعي

كثرت تصانيف العلماء وتعددت، وتباينت آثارهم فشملت كل علم وتناولت كل فن و تركزت جهودهم حول القرآن الكريم تفسيرا وبيانا وتجلية لمعانيه. فانكب بعضهم على علومه، لمعرفة مكيه من مدنيه و مطلقه من مقيده و خاصة من عامه، و انشغل بعضهم بألفاظه فاهتموا بالأشباه والنظائر، و بعضهم بقصصه و تاريخه، و نحى الفقهاء منحى آخر فاستخرجوا منه آيات أحكامه فقارنوا بينها، وقدموا الناسخ على المنسوخ والمقيد على المطلق فصنعوا منها فقها فأطلقوا عليه تفسير آيات الأحكام، ونحى المفسرون منحى آخر بما يطلق عليه بالتفسير التحليلي، وتميز هذا التفسير بأنه شمل القرآن الكريم كله، وبإمكاننا أن ندرج ضمن هذا النوع جميع التفاسير حتى بداية القرن الحديث باستثناء ما سنذكره لاحقا.

تخلل هذه الفترة تفاسير صوفية إشارية كان موضوعها الروح والسلوك، أثرت مساهماتها المكتبة الإسلامية، ونجم عنها بعض التفسيرات الفلسفية والمنطقية سنذكر لاحقا كل زمرة برجالها وأعمالها.

و مع مرور الزمن ظهرت دراسات تفسيرية تطورت مع تطور الزمن، ملبية حاجات المجتمع المسلم في جميع الميادين، فظهرت تفاسير فنية محضة اهتمت بالجانب الأسلوبي والبلاغي والبياني.

و ألفت مؤلفات أخرى — و إن كان لها نظائر قديمة – في إعجاز القرآن الكريم في وجه التحدي، لما قوبل القرآن الكريم في العصر الحديث بأشباه الفصحاء والمستشرقين بالتحدي.

قد سبق الحديث عن التفسير الموضوعي وتعريفه وتصنيفه وقد وقع ـ كما ذكرنا ـ اختلاف نشأ عن وجهة نظر كل مفسر أو باحث في هذا المجال، والحقيقة التي لا يختلف حولها اثنان– إجمالا– أن التفسير الموضوعي هو الذي يحدد المعنى العام لأي نص قرآني، وكانت – لا أقول البداية – بل التعامل الأول مع هذا النوع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم تلبية لقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

وقد لا يوافق ابن تيمية – رحمه الله – في زعمه أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين للناس كل القرآن بل بين كل ما خفي عنهم، فتوضيح الواضح ليس من صفات العرب فقد بنوا دولة رائدة باسم القرآن الكريم، وقد فقهوا مواضيعه وهضموا القرآن الكريم هضما معرفيا وتطبيقيا وإن قل التأليف الكتابي في زمانهم، وكان ابن عباس من القلة الذين أشهروا تفاسيرهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده. والدليل على ذلك تفسيره لسورة النصر ففسرها تفسيرا موضوعيا بحتا لم يراع تفاصيل السورة بل عمق الصورة ولا ألفاظها ولكن استخرج من الكل نظرية حضارية (ما بعد التمام إلا النقصان) بأنه نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تمت مهمته وآن له أن يستغفر ويتوب وكان هذا التفسير طفرة رائعة في التفسير الموضوعي للسورة الواحدة واضحا وجليا من الأثر الأول في جيل الصحابة رضوان الله عليهم.

و لما اتسعت الرقعة الجغرافية الإسلامية و شملت ألسنا عدة وأضحى واجبا تبيان كل شيء و لو كان واضحا ، فانتشرت التفاسير بداية من القرن الثاني وهو عصر التدوين، فانبرى أحد الأئمة الثقات من رجال الحديث وهو عبد الملك بن جريج(ت 149هـ) يجمع الأخبار المتعلقة بالتفسير في كتاب فكان أول مؤلف في التفسير، و ألف مقاتل بن سليمان البلخي (ت150) الأشباه والنظائر إصلاح الوجوه و النظائر – ثم ألف يحي بن سلام (ت 200) كتابه التصاريف. وألف أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت 224) وابن المديني (ت 234) – أسباب النزول ثم ألف الدامغاني (ت478) تلته ثلة من التفاسير متوخية طريقة جمع الأقوال بالسند كالطبري و الواسطي والرماني إلى البخاري فتفاسير المعتزلة مرورا بعبد القاهر الجرجاني إلى الزمخشري (525ت). و ألف الراغب الأصفهاني (ت 502) كتابه المفردات في غريب القرآن وألف بعنوان (أحكام القرآن) كل من أبي بكر الجصاص الحنفي (ت 370) و ابن العربي المالكي (ت543) و إلكيا الهراسي الشافعي ت (ت504). و ظهرت مؤلفات أخرى جمع أصحابها ما يشمله عنوان الكتاب مثل أمثال القرآن للماوردي

[1] النحل الآيات44/43

(ت450)، وكتاب مجاز القرآن للعز بن عبد السلام(ت 660).

ألف ابن الجوزي (ت597) كتابه نزهة الأعين والنظائر في علم الوجوه والنظائر و ابن عطية وكتاب أقسام القرآن وأمثال القرآن لابن القيم (ت751) فالرازي (ت 606)، ثم جاء الفيروز آبادي (ت817) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ثم ابن العماد (ت887) كشف السرائر في معنى الأشباه والنظائر.

ومثل هذه الموضوعات لا تكاد تتناهى، فكلما جد جديد في العلوم المعاصرة، التفت علماء المسلمين إلى القرآن الكريم ليسترشدوا بهداياته و ينظروا في توجيهات الآيات الكريمة في مثل هذه المجالات الجديدة.

و من الجدير بالذكر في هذا المجال أن أحد المستشرقين الفرنسيين وهو "جول لابوم"وضع كتابا بعنوان" تفصيل آيات القرآن الكريم" يقول عنه الدكتور مصطفى مسلم:"وضع لكتابه ثمانية عشر بابا، ثم حاول توزيع آيات القرآن الكريم على هذه الأبواب، وجعل تحت كل باب فروعا وقد بلغت عدة هذه الفروع حوالي 350 فرع وجمع تحت كل فرع الآيات التي تتعلق به".

أما الأبواب الرئيسية فهي:

- التاريخ
- محمد صلى الله عليه وسلم
- التبليغ
- بنو إسرائيل
- التوراة
- النصارى
- ما بعد الطبيعة
- التوحيد
- القرآن
- الدين
- العقائد
- العبادات
- الشريعة
- النظام الاجتماعي
- العلوم والفنون
- التجارة
- علم تهذيب الأخلاق
- النجاح

قام بترجمة الكتاب إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي ؛ وترجم مستدركه لإدوار مونتيه. إلا أن المؤلف تعسف كثيرا في الحشر كما فاته الكثير من الآيات لم تدخل تحت الجمع"[1].

ثم تلاحقت التفاسير رغم اختلافاتها وتنوعها حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم والتي أغنت شهرتها عن ذكرها في هذا المقام.

[1] مباحث في الفسسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ص77

أحوال ارتباط الآي بعضها ببعض

لعل أهم دافع للعاملين قديما وحديثا في مجال التفسير هو محاولة الربط بين الآيات والمعاني بعضها ببعض، بحثا عن المعاني المشتركة أو الجو العام الذي يتضمنه المعنى، وبدون الربط لا يتأتى الموضوع المقصود فضلا عن المعاني القريبة. فإنك إن لم تتدبر الترابط بين الآية الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾[1] و ما علاقة يزلقون بلفظة مجنون؟

تمر مر الكرام دون الوقوف على سر ذلك. ولم أعثر لمفسر وجه الآية كالتوجيه الذي ينبغي لها .

هذه الآية تنقسم إلى شطرين رؤية بالأبصار كلها حسد وغيرة، وقول باللسان فيه اتهام بالجنون. لكن الربط بين التهمتين غير معقول إلا إذا صدر من غير عاقل. فحرف الواو الذي يتوسط العبارتين بل التهمتين يفيد هذا اللامعقول فما رأت البشرية في تاريخها مجنونا يحسده الناس. فهم من جهة يقولون عنه أنه مجنون ومن جهة أخرى يزلقونه بأبصارهم حسدا وغيضا.

أما رؤية الأبصار هذه هناك شبه اتفاق بين المفسرين أنها نظرة حسد ومقت مما آل إليه محمد في نظرهم من شأن النبوة.

أما اتهامهم له بالسحر فكان لصد الناس عنه حتى لا ينخدع به الأتباع في ظنهم. فلولا هذا التدبر البسيط في الجمع بين الحسد والسخرية ما توصلنا إلى هذه الفائدة التي مفادها: لا يحسد المجنون إلا مجنون.

يقول صاحب قواعد التدبر: "فعلى متدبر كلام الله تعالى أن يوجه عنايته ما استطاع لاكتشاف وحدة موضوع السورة القرآنية، وارتباط المعاني التي اشتملت عليها جملها بهذا الموضوع الكلي، فعسى أن يلهمه الله الصواب ويكتشف ما يقدم به نفعا للذين يتلون كتاب الله ويتدبرون آياته . فبعد بحوث كثيرة ومناظرات علمية تنشد الحق، قد يتوصل المتدبرون إلى نتائج جليلة في فهم كتاب الله"[2].

---

[1] القلم الآية 51

[2] قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص30

فالترتباط الآي بعضها ببعض يكون على أحوال عدة، منها ما هو ظاهر ومنها ما هو خفي و منها ما يكون الجامع لفظا ومنها ما يكون معنى سنذكر ذلك في النقاط التالية:

الأولى: أن يظهر الارتباط بين الآية الأولى و الآية الثانية لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمام معنى الآية الأولى إلا بالثانية وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى تمثيل و لا بيان وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد و التفسير أو الاعتراض والتشديد .

الثانية: ألا يظهر الارتباط بين الآية و الأخرى بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وإنها خلاف النوع المبدوء فهذه على نوعين:

* النوع الأول: أن تكون غير معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم، فهنا لابد أن تكون بينهما جهة جامعة أما برابط عام أو خاص وهذا المزج اللفظي، ومن أمثلته ذكر الرحمة بعد العذاب والرغبة بعد الرهبة وذكر الوعيد بعد الأحكام ليكون باعثا على العمل بها.

* النوع الثاني: إذا كانت الآية الثانية غير معطوفة على الأولى مع عدم ظهور الارتباط بينهما فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط وهذا ما يثير التساؤل (عن معنى وأسباب المزج المعنوي) .

تحدث برهان الدين الزركشي في كتابه البرهان[1] في علوم القرآن(50.46/1 والسيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن)[2] (327.324/3) بمعاني متقاربة في هذا الفن وربما كان معظم ما جاء به السيوطي مستمدا عن كتاب الزركشي فالمزج المعنوي هو عندهم أن تنزل الجملة الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب عدة هي كالتالي:

الأول: التنظير فإن إلحاق النظير بنظيره من دأب العقلاء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا

---

[1] علم المناسبات في السور والآيات ج2ص45، البرهان ج2ص46

[2] الإتقان ج3ص325

ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[1]

وعدالة المنافقين حين نظر بين حال أهل الكفر و النفاق وما هم فيه بحال الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة فكيف من هو أقل قوة.

قال البيضاوي (ت19): "ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدشة من الشهوات الفانية والتهائهم عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم [2].

الثاني: المضادة منها **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾[3]

فإن أول السورة كان حديثاعن القرآن، ومن شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، ثم أردف الحديث عن الكافرين فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه وحكمته التشويق للثبوت على الأول، وبضدها تتميز الأشياء. وقد يجتمع معنى التنظير و المضادة في موضع واحد، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ

---

[1] التوبة الآية 70/68

[2] تفسير البيضاوي: تفسير البيضاوي،ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي دار الفكر – بيروت، ص260

[3] البقرة الآية6/1

وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾[1]

الثالث: الاستطراد وهو الانتقال من معنى إلى معنى أخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني ثم قطعه والعود إلى الأول[2] ومن أمثلته:

قال الله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[3]

الرابع: حسن التخلص وهو الانتقال من معنى إلى معنى بينهما علاقة ، ويكون مقصده هذا الثاني ولذلك لا يعود إلى الأول.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ

---

[1] آل عمران الآية 7

[2] معجم البلاغة العربية(ص371)

[3] الأنفال الآية2/1

مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1]

التفسير الموضوعي تاريخيا

يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: "...ظهر لنا أن المفسرين السابقين لم يبحثوا في التفسير الموضوعي، باعتباره علما مع دا له منهج وطريقة وخطة رغم أن بعض الباحثين اعتبروا بعض دراسات السابقين من باب التفسير الموضوعي ".[2]

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي ـ رحمه الله ـ في كتابه المشهور التفسير والمفسرون عن التفسير الموضوعي عند السابقين: "وكذلك وجد من العلماء من ضيق دائرة البحث في التفسير فتكلم عن ناحية واحدة من نواحيه المتشعبة المتعددة، فابن القيم مثلا أفرد كتابا من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن، سماه "التبيان في أقسام القرآن". وأبو عبيد أفرد كتابا عن مجاز القرآن؛ و الراغب الأصفهاني أفرد كتابا في مفردات القرآن، وأبو جعفر النحاس أفرد كتابا في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وأبو الحسن الواحدي أفرد كتابا في أسباب نزول القرآن، و الجصاص أفرد كتابا في أحكام القرآن وغير هؤلاء كثير من العلماء الذين قصدوا إلى موضوع خاص من القرآن فيجمعون ما تفرق منه ويفردونه بالدرس والبحث...."[3]

و هذا يفيد أنه حتى زمن الذهبي ـ رحمه الله ـ القريب لم يكن هذا الفن معروفا من التفسير الموضوعي كتفسير قائم بذاته. بل نلاحظ أن الذهبي أنه يعيب على هؤلاء هذا التوجه من التفسير والذي هو قريب من التفسير الموضوعي وكأن التفسير هو الاهتمام بتحليل الألفاظ من بداية السورة إلى آخرها. فالتخصص في الموضوع المعين كان يعد عندهم تضييق لمجال التفسير.

و يعقب الدكتور أحمد حسن فرحات على كلام الذهبي السابق بقوله :"ولكن حتى هذه الكتب المؤلفة في موضوع واحد من موضوعات علوم القرآن، فإنها تنهج نفس النهج التحليلي، وهو الكلام في جزئيات الآية من لغة وصرف ونحو وبلاغة..

---

[1] الكهف الآية 110/98

[2] صلاح عبد الفتاح الخالدي التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ط1.ص39

[3] محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون ، ج1، ص149/148

فإذا نظرنا إلى وحدة الموضوع الذي يجمع الآيات المتعددة من سور مختلفة، أمكننا أن نعتبر مثل هذا العمل نوعا من التفسير الموضوعي مع شيء من التجوز، وإذا نظرنا إلى الطريقة التي تحلل فيها الآيات إلى جزئياتها، أمكننا أن نعتبر هذا من قبيل التفسير التحليلي .."[1]

يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: "والخلاصة أن التفسير الموضوعي مصطلح معاصر وأن البحث والكتابة فيه من باب تلبية حاجات مسلمي هذا العصر، وأن السابقين لم يعرفوه بالصورة التي نعرفها نحن الآن؛ وأنهم كانوا مشغولين بالتفسير التحليلي وفق ترتيب الآيات والسور بالمصحف, وهذا لا يعيبهم ولا ينقص قدرهم، لأنهم حققوا حاجات مسلمي عصرهم،ولا نطالبهم أن يرتقوا لمستوى حاجاتنا المتجددة."[2]

تطبيقات التفسير الموضوعي:

إذا تتبعنا ما وصلنا عبر تاريخ هذا الفن واصطحبنا التعريفات السابقة فإن هذا يعمق الهوة بيننا وبين الولوج التطبيقي الحقيقي في ساحة هذا الفن.

قد أشرنا سلفا أن التفسير الموضوعي من حيث دراسة موضوع معين لا من حيث دراسة موضوع سورة بعينها، ينقسم إلى قسمين مختلفين تماما، إما أن يكون موضوعا مطروقا محددا تكون دعامته ولحمته القرآن الكريم كله، يستمد جميع ما يحتاج إليه،كالنار في القرآن "اليهود في القرآن " "الإنسان في القرآن" وغيره من الموضوعات التقليدية والحديثة [3].

أو ما يعرف بالتفسير "الموضعي" وإن كنت أنكر هذا الاصطلاح كتصنيف لهذا النوع من التفسير ويراد به موضوع السورة القرآنية الواحدة. والحقيقة أن نطلق عليه موضوع السورة أو التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

و من الضروري البين، أن هذه الدراسة التي نحن بصددها هي من صميم هذا البحث والذي يتأتى من خلاله معرفة موضوع السورة القرآنية الواحدة وتتضح النظرية التي تبنى عليها والحبكة التي نسجت من خلالها .

---

[1] أحمد حسن فرحات، نقلا عن التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ص38

[2] صلاح عبد الفتاح الخالدي التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ط1.ص39

[3] أقصد بهذا الحديث الموضوعات الناشئة كالحرية، البيئة، الطفولة، الإنسانية، العقل، التفكير، فضلا على ما ينطوي عليه الإعجاز العلمي وموافقته النظريات العلمية الحديثة

أما جمع وردة من حقل كل سورة للحصول على باقة بمسمى معين "كباقة الإنسان في القرآن"[1] أو النار أو اليهود وغيرها من الموضوعات، فالفضل هنا يعود إلى من جمع هذه الباقة وكيف كان وصفها ورصفها، والباقة من تشكيل المؤلف وترتيبه وإن كانت مواد البناء من القرآن الكريم.

ولا يفهم من هذا عدم جدوى هذا النوع من العمل التفسيري الذي يشمل كل القرآن الكريم إنما المقصود أن لا مزية فنية أو بلاغية ترجى منه حسب علمي.

قد يستدعي الموضوع الواحد عدة مواضع من القرآن الكريم وهو ما يسمى تفسير القرآن بالقرآن يقول محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في حديثه عن المتشابه في كتاب الله تعالى: "..أي أن المعاني التي يتعرض لها تكثر في سوره ولا يتم الحديث عن قضية في مكان ما وينتهي الكلام فيها، فلا يعود إليها الحديث بعد ذلك...بل يستطيع الإنسان أن يشعر بأن المعنى الذي ملأ نفسه **في سورة ما، قد ورد في سورة أخرى** ، نفس المعنى **أو** قريب منه. مما يشعر بأن معاني القرآن متشابهة فعلا "[2]

ذكرنا سلفا وعددنا ذلك في كل موضع من هذه الدراسة أن هناك الكثير ممن ملأ الدنيا بما يسمى التفسير الموضوعي وحث عليه و الحقيقة غير ذلك، وحسب علمي و اطلاعي فإن أول من شاطرنا هذا الرأي الدكتور الخالدي حيث و بعد دراسة مستفيضة حول تطبيقات هذه النظرية في الواقع خلص إلى ما يلي:" وخلاصة هذا المبحث أن التفسير الموضوعي مصطلح معاصر، و أن البحث و الكتابة فيه من باب تلبية حاجيات هذا العصر و أن السابقين لم يعرفوه بالصورة التي نعرفها نحن الآن"[3].

---

[1] كانت ماهية الإنسان في هذا الكون موضوع بحث الفلاسفة والمفكرين كسقراط في محاوراته وأفلاطون في جمهوريته،و أرسطو في كتبه وبعض الفلاسفة المسلمين كابن سينا و الفرابي وابن الطفيل كما أدلى كل من كانت وهيجل و داروين و لامارك بدلوه في هذا المجال.

وقد أجمل العقاد في كتابه "الإنسان في القرآن"آراء هؤلاء الفلاسفة بصورة شاملة فالإنسان جسم وروح وعقيدة ويختم كتابه بأن القرن العشرين لم يقدر الإنسان تقديرا أكرم ولا أعدل من تقدير أهل القرآن.

[2] محمد الغزالي،نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص7

[3] التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق ص39

أثر الأساليب في توجيه الموضوع

البيان والمعاني والبديع؛ هي المحيط الذي لا يعدوه كاتب أو أديب, بكل مافيه من وسائل المقدرة و البناء, و أي قطعة فنية تشكل بناءا، لبناته كلمات فصيحة ولحمته صيغ البلاغة وشكله المميز هو الأسلوب أو الطريقة التي صيغ بها ، وبعد هذا يحكم على البناء بالجمال أو بالرداءة بالكمال أو بالنقص.

و الذوق السليم هو العمدة في معرفة حسن الكلام، وتمييز ما فيه من وجوه البشاعة ومظاهر الإستكراه.والألفاظ أصوات وشتان بين الصوت البلبل وصوت البوم، ألا ترى أن كلمتي (المزنة) و(الديمة) للسحابة الممطرة كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليها السمع بخلاف كلمة (البعاق) التي في معناها، فإنها قبيحة تصك الآذان وكأنما يقولها الذي رأى مطرا وهو لا يريده.

و يشترط في فصاحة التركيب أن يسلم من ضعف التأليف كخروج الكلام عن قواعد اللغة المطردة كرجوع الضمير على متأخر لفاظا ورتبه في قول حسان بن ثابت-رضي الله عنه-:

و لو أن مجدا أخلد الدهر واحد من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

فإن الضمير في (مجده) راجع إلى (مطعما) وهو متأخر في اللفظ كما ترى، وفي الرتبة لانه مفعول به .

كما يشترط أن يسلم التركيب من تنافر الكلمات وقد إشتهر قول الشاعر في ذلك:

وقبر حرب بمكان قفر و ليس قرب قبر حرب قبر

و هو بيت لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات دون أن يتتعتع. هذا إضافة إلى سلامة التركيب من التعقيد اللفظي والمعنوي على السواء، فيكون الكلام واضحا يتهيأ للفهم من أوله إلا إذا دعت إلى ذلك الحاجة، إذ ليس الكلام كله يفهم من الوهلة الأولى، بل هناك ما يستدعي إعمال الفكر فيه.

و البلاغة على تعدد تعارفها هي تأدية المعنى الجليل بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع مراعاة المقام وأهل المقام الذين يوجه إليهم الخطاب.

البعد التأثيري والبيان اللفظي

البلاغة هي أداء لمعنى في النفس مصحوبا بالتأثير والدقة وسرعة الإبلاغ ، إذ ليس هناك من فرق بين البليغ والرسام، إلا أن هذا يتناول المسموع من الكلام وذاك يشاكل بين المرئي من الألوان والأشكال، أما في غير ذلك فهما سواء، فالفنان أو الرسام قبل أن يهم بوضع الصورة فهو يفكر في اختيار الألوان وتدرج المناظر وملائمة المساحة وزاوية النظر، ومتى يكون الظل أو شبه الظل، ومتى لا يكون أين يكون إذ كان، بحيث إذ جاءت صورته تخلب الأبصار وتثير الوجدا، وقل ما شئت من الكلام بالنسبة للبليغ والشاعر.

وفي هذا السياق قال الله تعالى منبها نبيه عليه الصلاة والسلام لتنفيذ أوامره بدقة كمالية متناهية ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[1]

و مع علمنا أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان حريصا على تبليغ الدعوة بل كان الله تعالى ينهاه في مواضع كثيرة عن محاولته إقناع الناس فقال:﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾[2]

و قال: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ ﴾[3]

رغم ذلك تفاجئنا الآيات السابقة (بلغ ما أنزل إليك) رغم أنها متاخرة في النزول لتفيد أن البلاغ والتبليغ لا يكون إلا ببلاغة الكلام، ولا يفيد الإصرار دون بلاغة.

غير أن البلاغة لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، والتركيب اللفظي والمعنوي هو بدرجة تدرج الألوان عند الرسام، فهناك من الألوان التي يمجها الذوق،فالأسود مثلا من الألوان الداكنة التي تضفي على النفس قطعة من لونها، غير أن الرسام إذا أضفى على نخلة شاطئية لونا ولو كان أسودا فإن المشهد يتحول إلى صمت وأنس وأصوات ليلية تتيح للنفس السباحة في عالم آخر والسياحة فيه، وإن كانت الألوان داكنة وفي نفس المصب أسمع قوله: "والليل إذا عسعس".

---

[1] المائدة/67

[2] القصص/56

[3] الغاشية الآية 22/21

و هناك ألفاظ لاتحسن موقعا إلا في حالات نادرة من ذلك أيضا لفظة(أيضا), فقد كره الأدباء هذه الكلمة وعدوها من ساقط الكلام فلم تجر بها أقلامهم في شعر أو نثر حتى ظهر من بينهم من قال:

رب ورقاء هتوف في الضحا ذات شجو صدحت في فنن

ذكرت إلفا ودهرا سالفا بكت حزنا فهاجت حزني

فبكائي ربما أرقها ولقد أشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها وهي **أيضا** بالجوى تعرفني

فوضع الشاعر (أيضا) هذه اللفظة المنبوذة في مكان لا يتطلب سواها ولا يتقبل غيرها، وكان لها من الروعة والحسن في نفس الأديب ما يعجز عنه البيان ، ونفس الكلام ينطبق على كلام فيه حسن في نفسه جاء في غير مكانه، والقرآن الكريم هو الوحيد الذي يأتي فيه الحسن بكل أنواعه من حسن لفظ وروعة مكان وجمال معنى وحسن موضع، وهذا ما نتطرق إليه- بإذن الله تعالى. ويحسن بنا هنا، ونحن نطرق الوحدة الموضوعية الكبرى, أن نشير إلى الأسلوب وأنواعه وحاجة المخاطب والمخاطب إلى تنوعه.

عدم شمولية تفسيرالسابقين لموضوع السورة:

مما هو جدير بالملاحظة أن الدراسيين لقضايا الإعجاز في القرآن الكريم لا تتجاوز أعمالهم- في معظمهم- آيات محدودة أو سور منها معدودة، درست حتى درست وقد يشارك المتأخر السابق الردى , وقد يوافقه على مستكره أوغث, حتى مل القراء والدارسون الطعم المتكرر لكلام واحد، اكتشفه واحد و حام حوله الباقون، فأصبنا بتخمة الإسراف من جهة ومخمصة التقتير من غيره الجديد من جهة أخرى، ونوافذ القرآن الكريم مفتوحة كما يقول عبد الله دراز-رحمه الله-.

فالقارئ محتاج إلى فائدة عقلية ومتعة وجدانية، ولا فائدة في متكرر إلا تذكرة ، ولا متعة فيه إلا ناقصة عن حالة جدتها، إن القرآن كل القرآن يمتاز بالجلال والجمال في بعضه، وفي كله فهو كالدرر، إن نظمتها سميت عقدا، وإن نثرت سميت لؤلؤا منثورا، أو كفص من قطعة ألماس

تغنيك زاوية نظر واحدة عن الكل، بل كلما حولت زاوية نظرك تهيأت لك رؤية جديدة وأشكال أخرى وألوان أزهى.

و أسلوب القرآن الكريم أوسع مجالا ودقة وتنوعا وتفاوتا, إنها أساليب تستهويك سلالتها تروق منها المسمع وتثير منك المدمع, إنها أساليب القرآن التي لم تتحول عبر العصور, فما اعتراها بلى ولا مجها سمع.

هل ترى كان هذا الكتب – المقدسة – الأخرى, هاهي التوراة أو أسفار موسى التي ينسبها اليهود إلى الله, لقد ظهر للمحدثين من الباحثين أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى- عليه السلام – وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن السابع قبل الميلاد, وأن سفر التثنية ألف في أواخر القرن السابع للميلاد, وهي تختلف كليا عن التوراة التي يذكر القرآن أنها كتاب سماوي, قال تعالى في شأنهم: "من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ".

ثم اذهب معي إلى أحد أسفار الفيدا التي يطلق عليها البرهميون اسم (veda) ويعتقدون أنه موحي بهام من الإله براهما نفسه وهم يطلقون عليه (vides) .

ثم ماذا عن أسفار الديانة الزرادشتية (الأبوستاق) وهي كلمة معربة عن(الأفستا) (Avesta) ومعناها الأصل أو السند وفي زعمهم أنه موحى بها من الإله (أهودا مزدا)(Mazda) .

ثم انظر في التاريخ وماذا بقي منها- ويا ليته ما بقي- وماذا تحمل من تراهات وخز عبلات هي أشبه بهذه الألفاظ التي لا أعرف لها أصلا في اللغة العربية نفسها، فما الذي تميز به القرآن الكريم وأقر به أعداؤه ومنكروه، فضلا عن لغته وإعجازه.؟

يقول الخطابي- رحمه الله- :" أعلم أن القرآن الكريم إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الكلام في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني".

وقد يسأل سائل ، أنا لست عربي ولا أعرف للحس العربي معنى، ولا البلاغة التي أنتم بها هائمون وعليها تتكئون، فهل لك أن تعمد إلى أيسر سبيل تصف فيه روعة القرآن ودقة الإتقان فيه؟.

يقول أبو زيد الدبوسي وهو أصولي حنفي:"المناسب هو ما لو عرض على العقول تلقته بالقبول، فهل هناك في القرآن أيها السائل ما لم تتقبله العقول؟ وهل فيه ما يخالف أمرا طبيعيا أو بديهة عقلية؟ لا والله.

وفي القرآن الكريم دقة في الأسلوب، إن عمل فيها الفكر وجد اتساقا وانتظاما وتناسبا لا يتأتي لغيره وربما تسرع بعض المتفقهين فرماه بعدم الاتساق أو الجمع.

ونشير مرة أخرى أن هذا النوع دعا إليه الكل وعمل فيه القليل وبرع فيه القلة في القليل من سور القرآن الكريم.

وخاصة القصيرة منها. وكذلك التوخي لوجه المناسبة بين مقاطع بعض السور..."[1]

وهذه هي الحقيقة فإذا استثنينا بعض ملاحظات الفخر الرازي في تفسيره الكبير، أو ما قام به البقاعي في نظم الدرر، وعبد الحميد الفراهي في كتابه نظم القرآن. فإنك لا تكاد تظفر بشيء من هذا النوع. أعني من يحصر موضوع السورة ويقوم بدراسته كما سيأتي لاحقا بإذن الله تعالى وتوفيقه.

أما في العصر الحديث فقد ذكرنا طائفة من الذين ألفوا في هذا الفن، كسيد قطب الذي كان مولعا بموضوعات السور القرآنية في ظلاله، وغيرهم ممن سبق ذكرهم، وهناك الكثير حتى من الدراسات الأكاديمية يقول الدكتور سعيد محمد ساداتي الشنقيطي: "و نحسب أن الإعلام هو أحد العلوم الإجتماعية. لاسيما في جوانبه الفلسفية والفكرية والثقافية، فهو – من ثم – يحتاج إلى التعامل معه بمقياس إسلامي ينتقي أحسن ما فيه أو يحرره من اللوثات أو الجنوح إلى الانحراف، ويضيف إليه من الأصول والمفاهيم ما يثريه و يرقيه"[2].

المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي الحديث

---

[1] المباحث في التفسير الموضوعي ص29

[2] وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، محد ساداتي الشنقيطي، دار شبيلية، الرياض، الطبعة الأولى،1997، ص5

عود على بدأ، قبل الخوض في الجانب التاريخي لنشأة هذا العلم يجدر الإشارة أن تعريف هذا الفن ليس محصورا بدقة فكل الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم التي تخص جانبا من جوانبه يطلق عليها تفسيرا موضوعيا سواء تعلق الأمر بغريب القرآن [1]أو مشكل القرآن أو الأشباه والنظائر أو خص موضوعا كالربا أو الخمر أو الإنسان من المواضيع الحيوية .

و لحصر هذا الفن ورجاله بات لزاما أن نلتزم بالتعريف الذي ارتأيناه وهو أن التفسير الموضوعي هو الذي يشمل موضوعا قائما بذاته مادته من القرآن الكريم بعيدا عن تتبع الألفاظ والتحليل، بهذا الحصر إذا تتبعنا التاريخ الإسلامي فإن باكورة هذا النوع من التفسير كان في العصر الحديث، بظهور جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ثم سيد قطب الذي شخص هذه النظرية بنوع من الموضوعية فكان يقدم لكل سورة أهدافها الرئيسية ثم تلاه تلامذته كسعيد حوى صاحب الأساس في التفسير، وعبد الله دراز الذي أنشأ قانونا موضوعيا حقيقيا استهل فيه بسورة البقرة وأنشأ نظرية لم تطبق إلى حد الساعة.

و في القرن الرابع عشر هجري قررت هذه المادة ضمن قسم التفسير بكلية أصول الدين بجامع الأزهر الشريف.

ثم توالت المؤلفات بالمعنى الموضوعي السائد اليوم، فألفت مؤلفات كثيرة تحت عنوان (الإنسان، المرأة، الأخلاق، اليهود، الرحم، الصبر... في القرآن الكريم) وكلما جد جديد على الساحة الحضارية ألفت تصانيف جديدة مساهمة كالبيئة، وحقوق الإنسان والطفل والطبيعة والسلم. وقد ساهم حتى المستشرقون في هذا الباب أمثال الفرنسي جول لابون (كتابة تفصيل آيات القرآن الكريم، وتحدث في أكثر من ثمانية عشر بابا شمل التاريخ، التوحيد، التجارة، النجاح، العقيدة... وغيرها من الأبواب كما فصلنا ذلك سابقا.

في هذا الخضم من التفاوت في تناول التفسير بالأنواع و الأنماط المذكورة يسطع نجم كان له الفضل الكبير في التنظير الحقيقي للتفسير الموضوعي وهو برهان الدين البقاعي (ت885 هـ) فعمل على إيجاد المناسبات داخل السورة الواحدة وإيجاد العلاقات بين السور المتجاورة فأنتج تفسيرا كاملا على شاكلة التفسير التحليلي أسماه (نظم الدرر في تناسب الآيات

[1] الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ).

والسور وحتى وإن كان في تفسيره نوع من التمحل و المبالغة في إيجاد هذه المناسبات فقد أوخذ عليه كثيرا كيف وهو يفسر البسملة بطريقة تختلف عن البسملة في سورة أخرى . و قد قرأت هذا التفسير من أوله إلى آخره وهو يضم ثمانية أجزاء من الحجم الكبير ففيه ما لم يسبقه إليه أحد وفيه ما لم يفهمه إلا القليل وفيه من التمحل والإسرائيليات ونصوص من التوراة ما يحق لأمثاله التنزه والترفع عنه، والظاهر أن للرجل إشراقات وومضات ربانية تهديه في كثير من الأحيان إلى ما لا يقدر عليه غيره والفضل للسابق وإن أحسن اللاحق. وإنما انصب اهتمامي على هذا الكتاب بالضبط بنوع من العرض والتحليل والنقد لأنه قبلة كل الذين تكلموا في المناسبة. و يجدر بالإشارة أني تعرضت إلى علم المناسبة في أطروحة الماجستير بنوع من التفصيل تحت عنوان (التناسب في القرآن الكريم) مما أغنى عن تكراره هنا.

كان ذلك تاريخ الاجتهادات الفردية و الجماعية لما يسمى بالتفسير الموضوعي ودون الاستدراك حول الاختلافات الاصطلاحية وكون كلمة موضوع نفسها ليست موضوعية يتبين أن المشترك أكثر من المختلف فيه وأن التنظير كان أكثر من النظرية وأن ليس هناك عمل جاد تقصى الموضوعية و الاصطلاحية كنموذج موضوعي ترسو عليه سفينة التفسير الموضوعي .

حقيقة لا يمكن بأي حال أن تكون هناك قاعدة مطردة منضبطة نتحاكم إليها لان النص القرآني نص إلهي وفوق كل ذي علم عليم ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾[1]

لكن من باب قوله تعالى وتيسيره للذكر" ولقد يسرنا هذا القرآن للذكر فهل من مذكر"[2]، فهناك قواعد موضوعية نسبية يمكن التحاكم إليها. نستجمعها كما عرفنا سابقا من مجموع التعاريف المتداولة قربا وبعدا من المهتمين بهذا الفن. و قد جعلوا شروطا للمفسر الموضوعي نجملها فيما يلي مع إضافة ما نراه لازما.

---

[1] البقرة 156

[2] وردت هذه الآية أربع مرات في سورة القمر في الآيات: 17،22،32،40

شروط المفسر لهذا النوع

وضع المهتمون بهذا الجانب شروطا متفقين على معظمها نجزها فيما يلي:

وقبل البدء في ذلك ينبغي التوقف عند المصطلحات التالية:

1- إن النص المتعامل معه نص رباني مقدس حتى وإن كان يخضع للتعامل البياني و الأدبي فلابد من هامش للقداسة.

2- أنه لا يمكن استنفاذ معرفته و الإحاطة به مهما لزم الأمر: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾[1]

3- من كان يؤمن بأنه من عند غير الله لا يمكنه أن يصل إلى شيء من ذلك إلا أن يكون حدثا تاريخيا أو اكتشافا علميا: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤ ﴾[2]

4- من تعامى عن النور فلن يضر النور ولكن يضر نفسه: ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦ ﴾[3]

5- قد يفتح الله تعالى لبعض عباده من الإشراقات ما لم يحصله الباحث المستميت، وقصة عبد الله بن عباس على حداثة سنه مشهورة لتفسيره سورة الفتح أنه نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

6- التوزيع القرآني الكريم لم يكن اعتباطيا، وسوره وترتيبها لم يكن كذلك. وهذا مدعاة للنظر والبحث.

7- السورة القرآنية الواحدة لها شخصيتها ومعالمها التي تميزها عن غيرها كأي دولة من الدول على سطح الأرض. و هذا لا يعني أن ليس لها علاقة جوار مع السور الأخرى.

---

[1] الكهف الآية 109

[2] فصلت الآية 44

[3] الإسراء الآية 46

8- كلمة الموضوع كمصطلح متعارف عليه ليس طرديا بالنسبة لسور القران الكريم فقد تشترك عدة سور كريمة في موضوع واحد كالحشر – الزمر لكن الاختلاف يكون في الكم و النوع و الطريقة و هذا ما نطلق عليه لاحقا (الذوق).

9- لا يتبادر إلى بعض الأذهان أن هذا كان يخفى على السلف الصالح بل كانوا يفقهون القرآن الكريم ويحسون هذه الفروق و كان منهم التساؤل حول التكرار و التشابه – مشتبه وغير متشابه، فلو كان كذلك لسجل التاريخ هذا التساؤل بل معظم أسئلتهم وتساؤلاتهم كانت متعلقة بالأحكام العملية.

10- كل عمل في هذا الميدان يعد عملا تقريبيا نسبيا يشترك فيه البحث والعبقرية و الإشراقات الربانية .

بعد هذه المقدمات بل القواعد الأساسية التي ينبغي أن يصطحبها العاملون في هذا الميدان في كل خطوة من خطواتهم تتضح المعالم الأساسية للبحث و المنهج على حد سواء.

السبب في عدم الاهتمام بالتفسير الموضوعي قديماً

من المعلوم: أن المفسرين جرت عادتهم . في موسوعاتهم ومختصراتهم . على تفسير القرآن الكريم – إجمالياً كان أو تحليلياً – على حسب ترتيبه الموجود بالمصحف فيفسرون الآية تلو الآية، والسورة عقيب السورة، قاصدين – في كل ذلك – الكشف عما في القرآن – من معان وأسرار، يغلب على كل منهم – كما قدمنا صبغة الفن الذي برع فيه، مما جعل التفسير يتنوع، و تتعدد ألوانه باختلاف ثقافات المفسرين و منازعهم.

و لم يهتموا خلال كل ذلك بتفسير القرآن موضوعياً لسببين:

الأول: أن التفسير الموضوعي ينحو بمنهجه ناحية الدراسة المتخصصة، التي تهدف – كما قدمنا – إلى دراسة موضوع واحد، بعد استقصاء آياته، و جمعها – دون ما عداه – ثم الانتقال إلى غيره، و هكذا.

و هم لم يكونوا يسلكون هذا السبيل "لأن مبدأ التخصص لم يكن – قديماً –، و هم لم يكونوا يسلكون هذا السبيل "لأن مبدأ التخصص لم يكن – قديماً – متجهاً إليه[1].

و الثاني: هو أن حاجتهم لم تكن ماسة لدراسة موضوعات القرآن الكريم على هذا النحو؛

---

[1] دكتور: أحمد مهنا: الإنسان في القرآن الكريم ص 10

فهم حفاظ للقرآن الكريم، ودرايتهم بالثقافة الإسلامية شاملة، وعميقة، ولهذا: فلديهم القدرة على ربط ما تفيده الآية المتعلقة بموضوع معين بما يوضحها من معلوماته الخاصة بالموضوع نفسه[1].

وفي الحقيقة: نجد أن السبب في ظهور هذا المنهج في أيامنا هذه، هو ضياع هذا العامل – الثاني – من أبناء المسلمين، و صعوبته على الأجانب – بل استحالته عليهم – مسلمين كانوا، أو غير مسلمين.

بواعث تجديد البحث في هذا النوع من التفسير الحديث (لما كان القرآن كتاباً سماوياً، تنزل على قلب أكمل الأنبياء، مشتملاً على معارف عالمية، ومطالب سامية، يجد المنقب عنها من الهيبة والجلال ما يكاد يحول بينه وبين الوصول إليها.

و لما كان مقصد القرآن الإنسان حيث يكون و إلى أي جنس ينتمي.

و لما كان دعوة عالمية تهدف إلى تطهير العادات، وتوضيح العقائد وإسقاط الحواجز العنصرية و الوطنية، وإحلال قانون الحق والعدل محل قانون القوة الغاشمة كما ذكرنا سلفا.

نقول: لما كان كل كذلك، سهل سبحانه الأمر علينا، فلم يطلب منا إلا الفهم و التدبر في كلامه، قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[2]

لأنه نزله نوراً و هدى للناس، وجعله حاوياً للشرائع والأحكام التي لا يمكن العمل بها إلا إذا فهمت حق الفهم، من حيث هي دين إلهي وهدى سماوي، ترشد الناس إلى ما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية.

أما ما سوى ذلك من وجوه البحث و النظر – التي وقف عندها كثير من المفسرين لا يتعدونها – فتابع لذلك، و وسيلة لها في التحصيل، و لا يعنينا العناية التي نهتم لها اهتمامنا بفهم شرائع القرآن الكريم و أحكامه، وكنوز أفكاره التي يكشف عنها أسلوبه الأدبي الرفيع.

و دراسته دراسة تكشف للناس عما فيه من تشريعات وقواعد تتصل بحياتهم مشاكلهم، وتبين لهم ما به من أحكام، ومبادئ تشعرهم بما للقرآن الكريم من اتصال وثيق بالنظم السياسية

---

[1] المرجع نفسه

[2] سورة القمر الآية 17

والاجتماعية والاقتصادية والحربية والسلوك الأخلاقي؛ فيحسون أن القرآن الكريم معهم في كل شأن من شؤون الحياة، و أن له حكمة الواضح في كل مظاهر السلوك الفردي. و طلاب المعرفة من المسلمين و غيرهم، في عصرنا الحاضر لا يمكنهم الوصول إلى هذا الغرض من كتب التفسير التحليلي التي تحوي بين سطورها التفسير و غيره.

وذلك لأنهم:

1- درجوا على الدراسة الموضوعية التي تلم بأطراف القضية، أو المشكلة وتربط بين أجزائها، لتعطي القراء وحدة متكاملة.

ولذا فلن يغنيهم المنهج التحليلي في الوصول إلى أهداف الموضوعات القرآنية، مع ما درجوا عليه.

2- أن كثيراً منهم ليس له إلف و معرفة - يعول عليها - بالقرآن الكريم و دراساته من قبل، حتى تمكنه من جمع أجزاء الموضوع، والربط بينها، بما يعطيه الصورة الكاملة لأبعاد الموضوع، وليس لديهم دراية بالثقافة الإسلامية، تشجعهم على محاولة الدراسة المستقلة الرائدة، ليصلوا عن طريقها إلى مرفأ أمين، ولذا يقف الآن أكثرهم حيارى لا يدرون أي طريق يسلكون هذا .. و قد وجد في عصرنا الحالي من قام من الأجانب مسلمين وغير مسلمين - تحت اسم العلم - بدراسات في موضوعات القرآن الكريم، وكانت دراساتهم هذه تنتج لهم - كما يبغون - دعاوى باطلة، وشبه واهية يقف أمامها من لم يتحصن بقدر كبير من الثقافة الإسلامية، أو من لم يتمرس على دراسة هذه الموضوعات التي يتحدثون فيها دراسة علمية موضوعية جادة، يقف أمامها موقفاً يغضب منه الله تعالى و رسوله.

لكل هذا - وغيره - كان واجباً على العلماء، و أئمة المفسرين في عصرنا: أن يجددوا الاتجاه إلى دراسة القرآن الكريم دراسة موضوعية. تكشف للناس أهداف القرآن الكريم بطريقة تتناسب و أفهام أهل هذا العصر..

و أيضاً: تقضي على الدعاوى الباطلة التي يتفوه بها المستغربون، و المستشرقون نتيجة لدراستهم للقرآن الكريم دراسة غير موضوعية، أو دراسة موضوعية مبتورة، أو دراسة موضوعية مضللة.

جاهد الرسول و أصحابه بسيوفهم، و بذل الكثير من الأصحاب دماءهم في سبيل الله فليس كثيراً أن نقوم بهذا الأمر لإعلاء كلمة الله. و لهذا، فإن أبحاث هذا النوع من التفسير إن كانت مفيدة و لازمة، فلسنا بأحوج إليها، و تجديدها، و تشجيعها، حاجتنا إليها في هذا

العصر، الذي نحن فيه أحوج ما نكون إلى تجديد أساليب الدعوة الإسلامية؛ كي نجاري الحالة الراهنة، وقد فتح الله أمامنا آفاقاً عريضة، و وقع على كاهلنا الأخذ بيد كثير من أهل هذه الآفاق، وحق علينا أن نكون رواداً لهذه الشعوب، و دعاة لهم إلى الله تعالى، و هداة لهم إلى الإسلام. و هذا اللون من التفسير يخدمنا في تحقيق هذا الهدف إلى حد كبير.

منزلة منهج التفسير الموضوعي بين مناهج التفسير الأخرى

إن للتفسير الموضوعي – كما تبين – منهجاً خاصاً، لا يشاركه فيه منهج آخر، و بعد وضوح هذا المنهج، و معرفة بواعث الاهتمام بهذا النوع من التفسير.

نقول: بعد ذلك، ما تظن أحد يماري في فائدة هذا المنهج وجدواه، واستقلاله من حيث الطريقة والغرض، في إعانة سالكه إلى طريق الصواب في فهم الموضوع الذي يعالجه، دون ما عداه من المناهج الأخرى للتفسير.

فضلاً عن أن: قوام هذا المنهج، هو تفسير القرآن بالقرآن . ما أمكن ذلك . وهو أحسن طرق التفسير بلا جدال.

يقول الحافظ "ابن كثير" في تفسيره:

فإن قال قائل: ما هي أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك، أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل منه في مكان، فإنه قد بسط في موضع آخر .. الخ[1]

ويقول الإمام السيوطي في "معرفة شروط المفسر وآدابه":

قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان، فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فقد بسط في موضع آخر.

ولهذا نجد . كما يقول الدكتور أحمد مهنا . كثيراً من الباحثين في السنين الأخيرة يكتب في التفسير الموضوعي، ملتزماً هذا المنهج، وأيضاً: نجد الأبحاث تقرب من ساحته يوماً بعد يوم.

و هذا المنهج – دون بقية المناهج – هو الطريقة المثلى – كما يقول للشيخ شلتوت – خصوصاً في التفسير، الذي يراد إذاعته على الناس، بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع

---

[1] تفسير ابن كثير، دار طيبة، ج1، ص8

الهداية، وإلى أن موضوعات القرآن، ليست نظريات بحته، يشتغل بها الناس، من غير أن يكون لها مثل واقعية، فيما يحدث للأفراد والجماعات من القضايا، و ما يتصل بحياتهم من شؤون.

لقد سبق ذكر ما ورد عن النبي من تفسيره للظلم في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]

والشرك الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

و يقول: الدكتور علي خليل تعقيباً على ذلك، "بهذه اللفتة الذكية، قد وجه – أصحابه – إلى أن جمع المتشابهات من الآيات، يوضح المقام، ويرفع اللبس".

و نقول: بهذا، يشير الأستاذ الدكتور إلى البذرة الأولى في الحقل الطاهر لهذا النوع من التفسير. فضلاً عن أنه يمكن لنا قياساً على ذلك أن نقول إن كل ما فسر من القرآن بالقرآن . وهو من التفسير بالمأثور – هو من التفسير الموضوعي، و هو – في نفس الوقت – بدايات قديمة لهذا المنهج ومن ذلك تفسير لفظ "كلمات" في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[3] بقوله عز وجل: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4]. وتفسير المستثنى في قوله تعالى:

﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾[5] بقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ ﴾[6] .

ثم نجد بعد ذلك بذوراً أخذت تظهر في كثير من صفحات الكتب المطولة، التي عنت بتفسير القرآن الكريم، ولكن بشكل ثانوي، لم يقصد إليه كمنهج مستقل، وفي شكل موجز في

---

[1] الأنعام الآية 82

[2] لقمان الآية 13

[3] البقرة الآية 37

[4] الأعراف الآية 23

[5] المائدة الآية 1

[6] المائدة الآية 3

كثير من الأحيان كالفخر الرازي، و القرطبي و ابن العربي، و نجد – مع ذلك – من ينهج منهجاً قريباً من التفسير الموضوعي، مثل ابن القيم: الذي أفرد كتاباً من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن وسماه البيان في أقسام القرآن وأبو عبيدة: أفرد كتاباً للكلام عن "مجاز القرآن والراغب: أفرد كتاباً في "مفردات القرآن وأبو جعفر النحاس: أفرد كتاباً في "الناسخ والمنسوخ من القرآن و الواحدي: أفرد كتاباً في "أسباب النزول و الجصاص: أفرد كتاباً في "أحكام القرآن والناظر فيما كتبه هؤلاء الأعلام، يرى أنه :من كتب في "أسباب النزول" تحرى جميع الآيات التي نزلت على أسباب خاصة، فذكرها وذكر أسبابها، و بين المراد منها.

ومن كتب في الناسخ والمنسوخ: أورد جميع الآيات التي قيل بنسخها و ذكر الناس لها من القرآن الكريم.

و كذلك من كتب في "مجاز القرآن" تحرى جميع الألفاظ المجازية في القرآن، و بين أنواع المجاز فيها يركز الدكتور الفرماوي [1]على ذلك نلخصه فيمايلي:

و من كل هذا: أن نشأة هذا النوع من التفسير: قديمة بهذه البدايات، التي لم يقصد معها أن يكون لها طابع المنهج المستقل.

ولكنها تثبت لنا ـ على الأقل ـ أن هذا النوع من التفسير، ليس بجديد على بساط الدراسات القرآنية، وإنما الجديد: هو اهتمام الباحثين به على هذا النحو الذي جعله يأخذ من المعالم والملامح، ما يوضحه ويميزه عن مناهج التفسير الأخرى، بل يبرزه بينها كمنهج فريد مستقل.

تاريخ البحث في التفسير الموضوعي للسور القرآنية

هراك من يطلق عليها الوحدة العضوية

قد حاول بعض المفسرين والمشتغلين في علوم القرآن أن يقفوا على موضوع السورة وذلك لم يتعدى المحاولات كما وكيفا وهذا حسب ما نحاول إيضاحه فيما يلي :

---

[1] . د . عبد الحي حسين الفرماوي مواليد رجب 1362 هـ- الموافق يوليو 1942 م- بجمهورية مصر العربية – محافظة المنوفية

- ·وكيل كلية أصول الدين السابق – جامعة الأزهر – القاهرة (من2004/8/18م حتى استقالته في 2005/6/12م)
- ·رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن – السابق – بجامعة الأزهر الشريف كلية أصول الدين بالقاهرة

1- قد بدأ الإمام أبوبكر النيسابوري (ت 324هـ) في البحث عن المناسبة بين آيات القرآن الكريم التي تعتبر أساسا في التفسير الموضوعي للسورة القرآنية حيث يقول :"لما جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ! وما الحكمة في جعل هذه إلى جنب هذه السورة!"[1]

ومن الذين تكلموا في موضوع السور القرآنية الفخر الرازي في مقدمة تفسيره لسورة النساء قال (اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتلطف على الأولاد والنساء والأيتام والرأفة بهم، وإيصال حقوقهم لهم وحفظ أموالهم عليهم وبهذا ختمت السورة وهو قوله تعالى:يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة"[2].

كانت إشارة منه للعلاقة بين بداية السورة وخاتمتها. وهو عين الدراسة الموضوعية للسورة القرآنية.

كما تحدث أبو جعفر أحمد بن الزبير الأندلسي (ت 708) في كتابه البرهان في ترتيب سور القرآن[3]ولقد اهتم فعلا بالمناسبة بين السور القرآنية دون التطرق إلى المناسبة بين الآيات الكريمة.

ثم تكلم في هذا الموضوع الإمام الشاطبي (ت790) في كتابه الموافقات قائلا:"إن الكلام المنظور فيه يكون تارة واحد بكل اعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت وعليه أكثر سور المفصل ،وتارة يكون متعددا في الاعتبار بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة ،كسورة البقرة وآل عمران والنساء واقرأ باسم ربك الذي خلق وأشباهها ولا علينا
أنزلت السورة بكاملها دفعة واحدة أم أنزلت شيئا بعد شيء....فسورة البقرة مثلا كلاما واحدا باعتبار النظم واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها.[4]

ثم جاء برهان الدين البقاعي (885ت) في كتابه نظم الدرر قال:"وقد ظهر لي أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ،لأن اسم كل شيء تظهر المناسبات بينه وبين مسماه وعنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه....ومقصود كل سورة هادي إلى تناسبها...."[5].

---

[1] مباحث في التفسير الموضوعي، ص66

[2] التفسير الكبير ، الفخر الرازي، ج9 ص157، مطبعة البهية المصرية 1938

[3] قام بتحقيقه ودراسته الأستاذ محمد شعباني المغربي لنيل شهادة الماجستير من دار الحديث الحسنيةسنة1990

[4] الموافقات ، الشاطبي، 279/3 مكتبة محمد علي صبيح ،القاهرة

[5] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، برهان الدين ألبقاعي،19/1،18

ثم جاء الإمام السيوطي (ت911هـ) في كتابة تناسق الدرر في تناسب السور مبينا العلاقة بين السور القرآنية ،حيث يقول :"الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القريب والبعيد..."[1]و في عصرنا الحديث نرى من يتحدث عن الموضوع الواحد للسورة القرآنية ويحاول تطبيق ذلك على بعض سور القرآن الكريم ومنهم:

7- الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابيه: النبأ العظيم والمدخل إلى القرآن الكريم.حيث يقول في النبأ العظيم :"أن هذا لمعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان ... بل أنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان،فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما،كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا على أداء غرض واحد مع كما يأخذ الجسم قواما واحدا ويتعاون بجملته اختلاف وظائفه العضوية "[2].

و في كتابه المدخل إلى القرآن الكريم بيَن أن ا لسورة لها موضوع واحد حيث قال: "فالواقع أننا وجدنا أكثر مما كنا يتطلب من بحثنا ، فقد كنا نبحث عما إذا كان هناك نوع من الترابط في الأفكار التي تتناولها السورة الواحدة، ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطا حقيقيا ومحددا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع التي ستعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع في نظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة ".[3]

8- ثم تحدث الدكتور أحمد بدوي في كتابه "من بلاغة القرآن الكريم " عن هذا الموضوع فقال:"ولكل سورة في القرآن الكريم هدف ترمي إليه. فنجد سورة الأنعام تتجه إلى إثبات توحيد الله ونبوة رسوله، و إبطال مذاهب المبطلين، وما ابتدعوه من تحليل حرام أو تحريم

---

[1] تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، ص05

[2] النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ، ص:154،155،دار القلم، الكويت ،ط4، 1977

[3] المدخل، محمد عبد الله دراز، دار القلم، ص

حلال...وهكذا نجد هدفا عاما تدور حوله السورة وتتبعه معان أخرى تؤكده و يستتبعها، ويخلص الإنسان في السورة من معنى إلى آخر خلوصا طبيعيا لا عسر فيه ولا إقتسار.[1]

9- ثم تكلم الدكتور محمد محمود حجازي في كتابه "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم"عن الوحدة الموضوعية حيث قال"ألست معي أن السورة القرآنية احتوت على معان كثيرة بعضها متعلق بالبعض في وحدة لأنها تعتبر قضية واحدة نازلة لغرض خاص ،فلا محيط لمن أراد الفهم أن يرد آخر الكلام على أوله ،و أوله على آخره".

10- أما سيد قطب فقد ذهب في ظلاله رأسا إلى أن للسورة القرآنية موضوعا واحدا لا تتعداه قال:"يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة شخصية مميزة ، شخصية لها روح يعيش معها القلب، كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها محور خاص، ولها جو يظلل مجموعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسب وفق هذا الجو"[2].

وقفة مع هذا التعريف:

على الرغم من أن سيد _ رحمه الله _ لم يعمل على تحقيق هذا التعريف إلا أنه أصاب الهدف، بدقة متناهية فشمل تعريفه ما يلي:

_ وجوب (العيش في ظلال القرآن الكريم)؛ لأن نية التعبد بقراءة القرآن، هي الإشراقة التي تنير درب السورة للباحث. بخلاف غيره، وقد اشترطنا هذا في شروط من يتناول التفسير الموضوعي بالدراسة.

- تكلم عن ما أسماه "شخصية السورة" وهذا أجمع ما يمكن قوله، فقد شبه السورة القرآنية بالشخص الذي يختلف عن غيره في كل شيء إلا أنه بشر.

- أثبت أن للسورة (روح يعيش معها القلب) وقد قال الله تعالى﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[3]

---

[1] أحمد بدوي، بلاغة القرآن الكريم ط1، ص

[2] في ظلال القرآن،ص1/28 دار الشروق.

[3] يس الآية 80

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

– (لها محور خاص) و هذا ما أجمع عليه كل المهتمين بهذا الجانب الخاص بالسورة القرآنية ذات الكيان الواحد.

– "أن لها جو" و هذا الذي لم يُسبق إليه رحمه الله، وهو ما أطلقنا عليه الذوق كما سيأتي لاحقا.

11– ثم تناول الشيخ محمد الصابوني هذا الموضوع في كتابه المعنون "إيجاز البيان في سور القرآن "حيث تحدث فيه عن محور كل سورة وموضوعها الأساسي.

12–ثم تكلم السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره "الميزان في تفسير القرآن" حيث قال: "ثم إنه كرر ذكر السورة في كلامه كثيرا، كقوله تعالى: "فأتوا بسورة مثله"، وقوله: "سورة أنزلناها وفرضناها" فبان لنا من ذلك أن لكل طائفة من هذه الطوائف من كلامه نوعا من وحدة التأليف، وإلمام لا يوجد بين أبعاض من سورة ولا بنِيِة سورة، ومن هنا يعلم أن الأغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة، وأن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص، ولغرض محصل لا تتم السورة إلا بتمامه، وعلى هذا فالبسملة في مبدأ كل سورة راجعة إلى الغرض الخاص من تلك السورة"[2].

13–ثم تناول كل من أبي الأعلى المودودي والدكتور محمد البهي والأستاذ سعيد حوى هذه المسألة في كتبهم وهي على التوالي :"تفهيم القرآن"و"التفسير الموضوعي للقرآن"و"الأساس في التفسير".

أما الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد فيقول عنه الدكتور منصور كافي:"أنه لا يرى البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من ألوان التفسير الموضوعي.[3]و الحقيقة أن عبد الستار السعيد أشار إلى هذا في كتابه المدخل بل حدد معالما للسورة.

ويقول عبد الرحمان حسن الميداني:"واستبان لي أن مثل السورة من القرآن كمثل الشجرة من الأشجار البديعة، المثمرة المشبعة بالتنسيق الجمالي، وبالعناصر الجمالية المعجبة السارة الممتعة،

---

[1] الرَعد الآية 28

[2] محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ص

[3] التفسير الموضوعي، دراسة نظرية وتطبيقية، د/منصور كافي،دار الخلدونية للنشر و التوزيع، ط1/2004

أو كمثل حي من الكائنات الراقيات، فالشجرة مهما اختلفت صفات أجزائها مجتمعة على أصل واحد، ومشتقة منه، والكائن الحي مهما اختلفت صفات أعضائه مجتمع على أصل واحد ومشتقٌ منه"[1]

و أما بقية الدكاترة و هم: الدكتور أحمد السيد الكومي، و الدكتور عبد الحي الفرماوي، و الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، فلم يسجلوا الخطوات الواجب إتباعها في السير مع السور القرآنية.

خطوات تفسير السورة القرآنية

قبل الولوج إلى خطوات السير في هذا التفسير التي عرضها المختصون ينبغي التذكير أن معظم النقاط مشتركة بينهم، ثم إن معظم الشروط هي في الحقيقة غاية مرجوة وليست وسيلة، فحين يقول – مثلا– الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في خطوته السادسة: "التعرف على شخصية السورة وموضوعها الرئيسي ثم التعرف على محاور السور وخطوطها الرئيسية وربط هذه المحاور مع موضوع السورة"[2]. فعلينا أن نتبع خطوات للتعرف على موضوع السورة أما إذا تعرفنا على موضوع السورة فلسنا بحاجة إلى كل هذه الخطوات. وهذا أشبه بمن قال من عرف ما بكمي أعطيته منه عنقودا.

ثم إن معظم شروط الخالدي شروط قياسية تشمل كل بحث أكاديمي ولا تخص موضوعنا هذا فحين يقول – مثلا– الحرص على دقة السياقة وأن تكون خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية... والإخراج الفني المقبول... و توزيع المادة على فصول و مباحث..."[3] هذا حشر لشروط لا يتسع لها هذا المقام مع كامل احتراماتي.

و إليك هذه الشروط التي وضعها الدكتور الخالدي بنوع من التصرف والاختصار

---

[1] قواعد التدبر الأمثل ص28

[2] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق،د/ص74

[3] المرجع نفسه، ص102

1- ذكر اسم السورة التوقيفي.. ويبين حكمة تسميتها بذلك الاسم ويلاحظ الصلة بين اسمها وبين موضوعها العام ويستعين في ذلك بكتاب نظم الدرر للإمام برهان الدين البقاعي.

2- معرفة اسم السورة الاجتهادي سواء أطلقه عليها علماء سابقون أو تمكن هو من إدراكه و الربط بين اسمها الاجتماعي وبين موضوعها.

3- تحديد الزمان والمكان لنزول السورة وهل هي مكية أو مدنية وهل كلها مكي أو مدني أم أن فيها آيات مكية ضمن مجملها المدني أو العكس، ومحاولة تعليل ذلك.

4- بيان جو نزول السورة سواء كانت مكية أو مدنية وهل نزلت في المرحلة المتقدمة أو المتوسطة أو المتأخرة من مرحلة الدعوة الإسلامية سواء عهدها المكي أو عهدها المدني ويستعين في هذه الخطوة بالتقديم الرائع الذي كان يقدم به سيد قطب في تفسيره.

5- تحديد أهداف السورة الأساسية ومقاصدها الرئيسية، واستخراج هذه الأهداف والمقاصد من خلال القراءة الواعية المتدبرة لآيات السورة عدة مرات، ويستعين في هذه الخطوة بتقديم سيد قطب للسورة، وبكتاب البقاعي وبكتاب الفيروزآبادي بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وبتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور.

6- التعرف على شخصية السورة وموضوعها الرئيسي.

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي من خلال الموضوع و المصطلح

المبحث الأول

التفسير الموضوعي من خلال الموضوع القرآني

المطلب الأول: ألوان التفسير الموضوعي

المطلب الثاني: إطلاقات الصبر في القرآن الكريم

المبحث الثاني

التفسير الموضوعي لمصطلح قرآني

المطلب الأول: مظان مادة الجهل في اللغة و الحقل القرآني

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي من خلال المصطلح القرآني

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي من خلال الموضوع و المصطلح

المبحث الأول: التفسير الموضوعي من خلال الموضوع القرآني

المطلب الأول: ألوان التفسير الموضوعي

من خلال الاستعراض التاريخي لنشوء التفسير، وجرد للمؤلفات نستطيع أن نصنف هذا العلم إلى ألوان ثلاثة من التفسير الموضوعي فقط. كما ذكرنا سابقا أن عدم تحديد التعريف جعل السابقين يطلقون التفسير الموضوعي على عدة أشكال من الدراسات القرآنية، ولم يراع فيها أصحابها التقيد بالمصطلح الحقيقي للتفسير الموضوعي. وبذلك تعددت أصناف التأليف في هذا الغرض ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة ألوان.

اللون الأول: الكلمة تصير موضوعا

في كثير من الأحيان ما يتتبع الباحث لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم ينشأ بعد ذلك حقلا من هذه الكلمات

ويجوب القرآن الكريم كله بما يشبه تواجد هذه الكلم، وهذا يشبه المباحث القديمة التي أشرنا إليها سلفا ككتب غريب القرآن، وكتب الأشباه و النظائر وغيرها.

ومن أشهر الكلمات التي دارت حول هذه المباحث: الأمة، الصدق، الجهاد، الكتاب، الذين في قلوبهم مرض، المنافقون، أهل الكتاب، وكل هذه الدراسة تنجم عن استخدام مادة هذه الكلمة ودلالتها حسب موضعها من القرآن الكريم.[1]

يقول الدكتور مصطفى مسلم: "والفرق بين السابقين والمعاصرين– يقصد في هذا اللون – أن السابقين يتعرضون إلى كلمة في موضعها من كل سورة، دون الربط بينها وبين أختها في سورة أخرى، أما المعاصرون فقد تتبعوا الكلمة، وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواضع "[2].

نماذج لهذا اللون من التفسير:

من خلال اختيار كتاب " إصلاح الوجوه و النظائر" للدمغاني، واختياره مادة "خ.ي.ر"فإنه يقسم هذه المادة إلى ثمانية أوجه: المال، الإيمان، الإسلام، الفضل، العافية، الأجر، الطعام، الظفر، و الغنيمة[3].

فوجه منها الخير بمعنى المال، قوله سبحانه في سورة البقرة في قوله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾[4]

وكقوله تعالى في سورة البقرة كذلك ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾[5]

أي مالا، وقوله تعالى فيها: "وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم" يعني من مال، وقوله تعالى في سورة (ص): ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾[6]

---

[1] هذا الذي ذكرت عناوين لكتب بل هناك مؤلفات بنفس العنوان كتب فيها أكثر من واحد، منها اليهود في القرآن.

[2] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ص23

[3] المرجع نفسه، ص25/24

[4] البقرة الآية215

[5] البقرة الآية272

[6] ص الآية 32

أما قوله تعالى في سورة النور:

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

يقول ابن كثير: " قال بعضهم أمانة، وقال بعضهم صدقا، وقال بعضهم حيلة وكسبا، روى أبو داوود في المراسيل عن يحي بن أبي كثير قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا قال إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس[2].

الثاني: الخير يعني الإيمان، منه قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]

يعني لو علم الله فيهم إيمانا، كقولهتعالى في نفس السورة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[4] " يعني إيمانا، كقوله تعالى في في سورة هود: "ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا"، يعني إيمانا.

الثالث: الخير يعني الإسلام قوله تعالى في سورة البقرة:"﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾[5] يعني الإسلام، نظيرها في سورة

---

[1] النور الآية 33

[2] تفسير ابن كثير ج5 ،ص57 دار الثقافة الجزائر،ط 1\1990

[3] الأنفال الآية23/22

[4] الأنفال الآية70

[5] البقرة الآية 105

سورة (ق):﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] " يعني الإسلام نزلت في الوليد بن المغيرة منع ابن أخيه أن يسلم و نظيرها في سورة (ن) ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

الرابع: خير يعني اسم التفضيل **أفضل** منها قوله تعالى في سورة المؤمنون ﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[3]، وقوله في سورة الزخرف" ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[4] ، و هذا النموذج كثير في القرآن الكريم، بل إن خروج إبليس من الجنة كان بسبب كلمة أنا خير منه، وقال فرعون نفس المصطلح، في المثال السابق : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[5].

الخامس: البر يعني العافية، منها قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[6] يعني بعافية.

السادس: الخير يعني الأجر، منها قوله تعالى "﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾[7] يعني لكم فيها أجر يعني البدن.

السابع: الخير يعني الطعام، والعافية بعد أن أدرك موسى عليه السلام الماء والظل والأنس من قوله تعالى في سورة القصص ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[8] .

---

[1] ق الآية 25

[2] القلم الآية 12

[3] المومنون الآية 118

[4] الزخرف الآية 52

[5] الزخرف الآية 52

[6] يونس الآية 107

[7] الحج: 33

[8] القصص الآية24

الثامن: الخير يعني به النصر والغنيمة والطعن في القتال، قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾[1] يعني ظفرا و غنيمة.

و نلاحظ أن المؤلف لم يربط بين أصل الكلمة واستعمالاتها وسياق الآيات التي وردت فيها الكلمة، ليبني عليها هداية قرآنية، أو ليستنبط من دلالات اللفظة وسياق استعمالاتها توجيها قرآنيا معينا ...وإنما بقيت الكلمة حيث وردت في نطاق الدلالة اللفظية المفردة.[2]

نموذج الأمة للأصفهاني

من كتاب المفردات في غريب القرآن لراغب الأصفهاني (ت502)-رحمه الله- يقول الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء أكان الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا، وجمعها أمم.[3]

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾[4]؛ أي كل نوع منها على طريقة قد سخرّها سخرّها الله عليها بالطبع، فهي بين ناسجة كالعنكبوت، وبانية كالسرفة، ومدخرة كالنمل، ومعتمدة على قوت وقته كالعصفور والحمام إلى غير ذلك من الطبائع التي تخصص بها كل نوع.

فقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

---

[1] الأحزاب الآية 25

[2] مباحث في التفسير ص25 (بتصرف)

[3] جاء في مسند الإمام أحمد حدثنا أحمد بن منيع حدثنا هشيم أخبرنا منصور بن زاذان و يونس بن عبيد عن الحسن عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم"، قال وفي الباب عن ابن عمر و جابر و أبي رافع و أبي أيوب

قال أبو عيسى: حديث عبد الله بن مغفل حديث حسن صحيح ويروي في بعض الحديث أن الكلب الأسود البهيم شيطان والكلب الأسود البهيم الذي لا يكون فيه شيء من البياض وقد كره بعض أهل العلم صيد الكلب الأسود البهيم قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر ج4 ص85

[4] الأنعام الآية38

ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾[1]

أي صنفا واحدا وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر.

وقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[2]

أي في الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3] أي جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم.

ومنها: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[4]،

أما قوله تعالى:

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[5]؛ أي على دين مجتمع، قال الشاعر: وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع.

---

[1] البقرة الآية 213

[2] المائدة الآية 48

[3] آل عمران الآية104

[4] التوبة الآية 122

[5] الزخرف الآية22

قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]؛ أي حين و زمن مضى على تلك الحال.

و قوله تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2]؛ أي قائم مقام الجماعة.

و قد روي أنه يحشر زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة [3]، ثم انتقل إلى لفظة" أمي " و دلالات الكلمة، ثم إلى كلمة "إمام "، ثم إلى كلمة "الأم" بمعنى القصد، وختم المادة بالحديث على حرف أما.

و في كل ذلك لم يتعرض لسياق الآيات التي استخدمت فيها كلمة "أمة"، و إنما تعرض لها في مواطنها.

فإذا قارنا ذلك بما كتبه الدكتور أحمد حسن فرحات حول مصطلح الأمة، ودلالاتها اللغوية والفكرية و الشرعية نجد تميزا و تفاضلا بينا بين الطرحين، فالأول يتعرض للفظة في موطنها، و الثاني يتعرض لها كمشروع، أو موضوع يستجمع أطرافه من كل القرآن.

اللون الثاني: اختيار الموضوع المراد دراسته

و هذا اللون من التفسير هو الذي ينصرف إليه الذهن إذا أطلق. فبعد أن يحدد الباحث موضوعا يرى أن القرآن الكريم قد تعرض له، يبدأ في عرض واستخراج الآيات التي تناولت الموضوع من القرآن الكريم كله، وبعد جمعها والإحاطة بها يضع خطة من أبواب وفصول يعمد من خلالها إلى إثراء الموضوع وإخراجه في قالب أكاديمي دون التطرق إلى معنى المفردات، أو اللجوء إلى التفسيرات التحليلية التي من شأنها أن تشوش عن المقصد الحقيقي لسريان البحث

---

[1] يوسف الآية45

[2] النحل الآية 120

[3] أسد الغابة في معرفة الصحابة /143

ومفعوليته، إلا بالقدر الذي يحتاجه الموضوع من بيان لمعنى أو سبب نزول يوجه النص أو غيره من الروافد التي لابد من اصطحابها.

و المؤلفات في هذا اللون كثيرة جدا، قديما وحديثا كالناسخ والمنسوخ، والإعجاز، وأحكام القرآن، وأمثال القرآن، ومجاز القرآن.

و قد أسندنا في بداية البحث جمّاً من هذه المؤلفات إلى أصحابها وتاريخها ما أغنى عن إعادته هنا.

أما المعاصرون فقد تطرقوا إلى مثل هذه حسب تصنيفات علمية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو اقتصادية، بل وحتى ما يتعلق بجانب الإنسان خلقه, تكوينه, عواطفه[1]، وغرائزه.

و هذه الموضوعات، لا تكاد تنتهي؛ فالعلوم اليوم متجددة ومتفرعة، كالبيئة وحقوق الطفل وحقوق المرأة السياسية، بل هناك من تطرق إلى الزراعة، الأحوال الجوية وغيرها.

اللون الثالث: السورة هي الموضوع

الخلاف الوحيد بين هذا اللون واللون السابق، أن هذا اللون أضيق حيزا من السابق، فاللون السابق يشمل جميع الموضوعات المتعلقة بالموضوع المختار من طرف الباحث، أما هذا اللون؛ فإنه يهتم بموضوع السورة القرآنية الواحدة، وينهج صاحبها مراحل معينة ومحددة لدراسة موضوعها، نجمله في النقاط التالية، ومن الجدير بالملاحظة أن هذا اللون سيشغل أكبر مساحة تنظيرا وتطبيقا في الباب الثالث من هذه الدراسة، من أجل ذلك أوجزنا هذه المراحل في هذا المبحث.

1 أن يحاول الباحث استيعاب موضوع السورة القرآنية الأساسي وأهدافها الرئيسية.

2 يستعين بسبب النزول إن صح أو وجد

3 البحث عن ترتيب السورة وحسن جوارها مع غيرها من السور

4 معرفة مكيها من مدنيها، وهل هي مكية أو مدنية، ونسبة كل منهما، ومن الغالب على جو السورة.

[1] هناك كتاب من الحجم الكبير للشيخ محمد الغزالي (الجانب العاطفي) توسع فيه في هذا الجانب

5 يتعرف على الأسلوب الذي تسلكه السورة، إنشائيا كان أم خبريا، جاء بطريقة جدلية، تقريرية، أم استفهامية وغيرها من الأساليب القرآنية.

ملاحظة:

لا يمنع المفسر لهذا اللون من التفسير الموضوعي أن يستشهد ويستعين بآيات قرآنية من باقي المصحف الشريف، استدلالا، أو تضمينا، أو تأكيدا. و قد يسأل سائل ما الفرق بين هذا اللون واللون السابق إذا ما دام يشمل جميع القرآن الكريم؟ والفرق واضح، فاللون السابق يجمع للموضوع الآيات القرآنية تطعيما ودعما لهذا الموضوع المراد دراسته، بخلاف هذا اللون الذي موضوعه هو موضوع السورة القرآنية؛ فإن الباحث أو المفسر لا يخرج عن موضوع السورة ويجمع ما يدعمها كما ذكرنا سابقا من القرآن الكريم كله بحسب حاجته إلى ذلك.

وهذا النوع من التفسيرلم يكن الاهتمام به واردا وكانت العناية به قليلة . يقول الدكتور مصطفى مسلم :"ولم يظفر هذا اللون من التفسير الموضوعي بعناية المفسرين القدماء بل جاء في ثنايا تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السورة وخاصة القصيرة منها. وكذلك التوخي لوجه المناسبة بين مقاطع بعض السور..."[1]

وهذه هي الحقيقة فإذا استثنينا بعض ملاحظات الفخر الرازي في تفسيره الكبير، أو ما قام به البقاعي في نظم الدرر، وعبد الحميد الفراهي في كتابه نظم القرآن . فإنك لا تكاد تظفر بشيء من هذا النوع. أعني من يحصر موضوع السورة ويقوم بدراسته كما سيأتي لاحقا بإذن الله تعالى وتوفيقه.

أما في العصر الحديث فقد ذكرنا طائفة من الذين ألفوا في هذا الفن، كسيد قطب الذي كان مولعا بموضوعات السور القرآنية في ظلاله، وغيرهم ممن سبق ذكرهم، وهناك الكثير حتى من الدراسات الأكاديمية، فقد وقعت يدي على رسالة بعنوان (وظيفة الإخبار في سورة الأنعام) للدكتور سعيد محمد ساداتي الشنقيطي يقول: "ونحسب أن الإعلام هو أحد العلوم الاجتماعية، لاسيما في جوانبه الفلسفية والفكرية والثقافية، فهو – من ثم – يحتاج إلى التعامل معه بمقياس

[1] المباحث في التفسير الموضوعي ص29

إسلامي ينتقي أحسن ما فيه أو يحرره من اللوثات أو الجنوح إلى الانحراف، ويضيف إليه من الأصول والمفاهيم ما يثريه ويرقيه".[1]

و نشير مرة أخرى أن هذا النوع دعا إليه الكل وعمل فيه القليل وبرع فيه القلة في القليل من سور القرآن الكريم.

المطلب الثاني: إطلاقات الصبر في القرآن الكريم

تمهيد تعريفي:

ذكرنا سلفا أن المقصود بالتفسير الموضوعي يعني طرق موضوع معين رأسا من خلال القرآن الكريم. و قد يكون مصطلحا قرآنيا كالجهاد أو الصلاة أو السلم، وقد يكون مصطلحا انتقائيا حديثا، كحقوق الطفل أو البيئة أو غير ذلك، وهناك ما يسمى بالتفسير الموضعي، و هو اختيار موضع معين من القرآن الكريم، كآيات محددة تخص موضوعا معينا ويتم تفسيرها ومقارنتها بما يماثلها، وهو أشبه بآيات الأحكام .

ومنه الاهتمام بسورة واحدة دون الخروج عنها إلى حين توضيح معالمها وربط أولها بآخرها، وقد تساهم معظم التفاسير، و تدخل في تعضيد معالمها.

أما هذا المبحث فنخص به الجزء الأول الذي هو التفسير الموضوعي لموضوع قرآني معين.

ونشير أن آيات القرآن الكريم لم تستقرأ بعد قراءة حضارية، من شأنها أن تحدد المعالم الحقيقية التي ترسو عليها القيم الأبعاد المثلى التي ينشدها هذا الدين من خلال استقراء هذا القرآن المجيد. يقول الأستاذ عبد الغني عبد الله[2]: "حول قوله تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾[3].

إن هذه الآية الكريمة تدل بصورة مباشرة على جواز غزو الفضاء الخارجي ودراسته؛ لأنه حتى حلول عصر الفضاء، لم تعرف البشرية ماذا تطويه السماوات من المواد، أما الآن وبفضل

---

[1] وظيفة الإخبار في سورة الأنعام.ط1.دار اشبيليا 1417 ص5

[2] رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى و كازاخستان ، طشقند، سنة 1983

[3] الجاثية الآية 13

الاكتشافات الجديدة، فقد تبين أنه يوجد في السماوات مختلف أنواع المركبات الكيميائية مثل التي هي موجودة على الأرض."[1]

هذا في الزمن الذي لا يزال المسلمون، مترددون، إن لم أقل مختلفون، بل قل مقتتلون حول هلال رمضان، أو قيادة المرأة للسيارة، بل ولا زالت الأغلبية من أمة الإسلام تعتقد أن الأرض ليست كروية، وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض. فكيف ومتى ننطلق بهذا القرآن، بل ينطلق بنا إلى مستوى الحضارات الراقية، ومصاف الدول التي تتميز بأستاذية العالم، وكنا خير أمة أخرجت للناس.[2]

التفسير الموضوعي لموضوع قرآني معين

تمهيد:

هناك ما لا يحصى من الموضوعات التي طرحت، و التي يمكن أن تطرح، من أهم هذه الموضوعات التي كان لها سبق قرآني، أو أن عنوانها مصطلح ذكر في القرآن و تكرر كثيرا، فهناك مصطلحات قرآنية ذكرت مرة واحدة، و هناك ما ذكر أكثر من مرة، و هناك ما تكرر كثيرا كالرحمة، و الجهاد، و الزكاة، و الصلاة، و الإنفاق، و..، لذلك لسنا ملزمين بذكر كل ذلك مع استحالته طبعا، و إنما اقتصر بحثنا على نموذجين اثنين بارزين[(3)]، نتعرض و نتعرف من خلالهما كيف يتم التطرق إلى موضوعاتهما بالطرق، و الكيفية التي سبق و أن ذكرها الباحثون و المهتمون بهذا النوع من التفسير، والخطوات المتبعة في ذلك.

---

[1] مجلة ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر لسنة مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية الجزائر1983 ص 97

[2] في سنوات الأربعينات أصدرت المملكة السعودية حكما بتحريم ركوب السيارة، قد يكون هذا قريبامن الغريب، غير أن الغريب حقا هو أنه في سنة 2011 وعلى مرأى من العالم، يقوم أحد الدعاة يدعوا الله ضد أي امرأة تقود السيارة ويلعنها لعنا كثيرا

(3) اعتمدنا في هذه الدراسة نماذج من هذا التفسير، من القديم والحديث، أما التفسير الموضوعي بالمعنى القديم، فيعمد إلى لفظة معينة، فيتتبع موطنها من القرآن الكريم، ويعطي معناها في كل موضع من كل آية، فاللفظ الواحد قد يعني هنا معنى ليس الذي يعنيه في موطن آخر.كالأمة ، أو الخير . و حتى في العصر الحديث هناك عمل على هذا النسق فهناك من ألف في معنى السماء في القرآن الكريم وهناك من ألف في معاني الحروف في القرآن الكريم. وهولا يعني موضوع معينا كما يظهر من العنوان.

هناك فرق دقيق فيه نوع من التفاوت البسيط بين التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني و بين التفسير الموضوعي للموضوع القرآني ..، ويفرق بينهما الدكتور الخالدي بقوله: [فالباحث في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني يبقى مع المفردة القرآنية التي اختارها، ويتابع معناها في معاجم اللغة و اشتقاقاتها و تصريفاتها في القرآن، ويلاحظ ما طرأ على وضع هذه اللفظة القرآنية من تفسيرات في آيات القرآن، و يحاول أن يعلل الدلالات العامة ذات الأبعاد الواقعية التي تهم مسلمي هذا العصر. أما الباحث في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، فإن بحثه أعم و أشمل من الأول، وميدانه في البحث أوسع، ووقفاته الفكرية معه أكثر،..][1]

دراسة موضوعية لموضوع الصبر في القرآن

الصبر من الصفات التي ينبغي أن يتميز بها المؤمن، ومن صفات الأنبياء والدعاة إلى الله، وقد أطلق الله تعالى على نفسه صفة الصبور، لهذا عدت موضوعا ينبغي دراسته وتتبع تواجده في القرآن الكريم لعل الدكتور يوسف القرضاوي – حفظه الله – من الذين اهتموا بهذا النوع من المصطلحات الموضوعية، و إن كان يعتبره من التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، ففي كتابه" الصبر في القرآن الكريم"، قسم الموضوع إلى عدة فصول مهتما و متتبعا لهذه اللفظة، أو المصطلح في أماكنها من القرآن الكريم، في فصول ممتعة للغاية جاءت كالتالي:

الفصل الأول: حقيقة الصبر في القرآن الكريم، متتبعا ورود اللفظة و أنواع الصبر و حكمة تكرارها.

الفصل الثاني: مجالات الصبر في القرآن الكريم، وقد عرض فيه إلى ست مجالات مصيرية عرضها القرآن الكريم، الصبر على البلاء، الصبر على مشتهيات النفس، الصبر على طاعة الله، الصبر على مشاق الدعوس إلى الله، الصبر حين البأس، الصبر في مجالات العلاقات الإنسانية.

الفصل الثالث: خصه لمنزلة الصبر و الصابرين في القرآن الكريم، و علاقته بالقيم الروحية العليا في الإسلام .

الفصل الرابع: ما يعين على الصبر، و عد فيه سبع وسائل تعين الصابر على الصبر وهي:

– معرفة طبيعة الحياة

– معرفة الإنسان طبيعة نفسه

---

1 التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق، ص54، 55.

- اليقين بحسن الجزاء عند الله
- اليقين بالفرج
- الاستعانة بالله
- الاقتداء بأهل الصبر و العزائم.
- الإيمان بقدر الله و سننه.

و يعقب الدكتور الخالدي على هذا العمل القرضاوي الجميل بقوله: [لقد قام الدكتور يوسف القرضاوي في تفسيره " الصبر في القرآن الكريم" بجولة في آيات القرآن، بقي مع آيات الصبر ناظرا فاحصا محللا متدبرا، ولم يخرج عن موضوع الصبر إلى غيره.] [1]

وهناك دراسات موضوعية كثيرة معاصرة تمثل هذا اللون من التفسير الموضوعي منها.

-" الضالون كما يصورهم القرآن" لعبد المتعالي الجبري.

-" ظاهرة النفاق و خبائث المنافقين" لعبد الرحمن حنبكة الميداني.

-" الوسطية في ضوء القرآن"، و" الميثاق في القرآن" للدكتور ناصر العمر.

وقد حظيت الدراسات القرآنية بسلسلة من هذا النوع منها: " من كنوز القرآن" التي يمكن أن تكون من هذا اللون مثل" الشخصية اليهودية من خلال القرآن " " حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية" " مع قصص السابقين في القرآن".

أما ما يتعلق بالتفسير في العهود الماضية، فقد تكون هناك مواضيع تشبهها، كما فعل ابن قيم الجوزية في كتابه الأمثال في القرآن الكريم. فكان يتعرض، إلى المثل القرآني، وكل آية يراها تصلح أن تكون كذلك، ويقوم بتفسيرها وتوضيح ما ترمي إليه، وبالتأكيد لا يربط بين هذه الأمثلة، إذ لا علاقة بينها، و لهذا لا تعد من هذا القبيل من التفسير الموضوعي.[2]

والفرق بينهما شاسع جدا فالصبر واحد إلا أنه يختلف من موضع إل آخر ومن فرد إلى فرد ومن حالة إلى حالة، فهو عملية نفسية تضم كظم الغيظ والتجاوز على الظالم بل الإحسان إليه،قال

---

[1] التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق، ص56.

[2] قام بتحقيق هذا الكتاب سعيد محمد نمر الخطيب، و هو كتاب يقع في حوالي 287 صفحة مع التراجم. أما المتن الحقيقي فلا يتعدى ثلاثين صفحة.

الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[1]

لهذا يصلح أن يكون موضوعا قرآنيا بخلاف المصطلح القرآني الذي يختلف من موضع إلى آخر، كما سيأتي في المطلب القادم حول مادة الجهل.

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي لمصطلح قرآني[2]

المطلب الأول: مظان مادة الجهل في اللغة و الحقل القرآني:

تعريف تمهيدي:

المصطلح القرآني يختلف عن الموضوع القرآني شكلا ومضمونا، فمن ناحية المضمون، لا يمكن أن نضم هذه المصطلحات إلى بعضها البعض، لنشكل بها موضوعا معينا له هدف واحد، و أما من ناحية الشكل، فإن هذا المصطلح يختلف من موضع إلى آخر والنموذج الذي اخترناه "مادة الجهل" يفي بهذا الغرض.

تطبيق التفسير الموضوعي على مصطلح الجهل في القرآن الكريم

---

[1] آل عمران الآية 134

[2] قد يتساءل سائل مرة أخرى قائلا ما الفرق بين الموضوع القرآني ، والمصطلح القرآني؟ أو ما الفرق بين الصبر مثلا والجهل، وكيف عد هذا مصطلحا وذاك موضوعا؟

و الإجابة هي أن الموضوع يتكامل لإعطاء صورة كاملة له، بدون تعارض، كالصبر في السراء والضراء و جزاء الصابرين. بخلاف المصطلح، فإنه يختلف من موضع إلى آخر، فمادة الجهل تختلف من موضع إلى آخر، ومادة الجاهلية إذا لم يحدد بالضبط معناها قد يكون لها معنى عقديا، وتعني الكفر، وهكذا..ولا تتعاضد هذه المواقع لإبراز موضوع واحد إلا بنوع من التكلف.

لأهمية هذه المادة تعرضنا لها عرضا وجدولة وتفصيلا حتى يتضح جيدا مدى الفرق بين المصطلح والموضوع القرآني.

معاني الجهل في اللغة

جاءت المادة على الصيغ التالية:

1. تجهلون و يجهلون
2. الجاهل و الجاهلون و الجهول
3. الجهالة
4. الجاهلية

سنعرض هذا المصطلح " الجهل " عرضا موضوعيا وفق القواعد المحكمة سابقا.

فإذا عدنا إلى القرآن الكريم حيث أن "جهل" مصطلح ورد في القرآن، نجد أن لها مفردات واشتقاقات في القرآن الكريم و هي على الصيغ التالية:

الفعل المضارع: تجهلون – يجهلون

اسم الفاعل مفرد وجمع: جاهل –جاهلون

صيغة المبالغة: جهول

مصدر سماعي: جهالة

اسم: جاهلية

فقد استنفذت هذه الكلمة معظم الصيغ. و هي بهذا التنوع تضفي على الدراسة نوع من الدقة في التناول، والاحتراز من التعميم وهي التساؤلات التي يصطحبها المفسر الموضوعي لماذا وكيف؟

لهذا علينا تتبع كل لفظة حسب موقعها من كل آية، ومقارنتها بمثيلتها في المواضع الأخرى.

معنى جهل في اللغة

معناها عند ابن فارس:

قال ابن فارس في "مقاييس اللغة": [الجيم و الهاء و اللام أصلان: أحدهما: خلاف العلم، والآخر: الخفة و خلاف الطمأنينة.

فالأول: الجهل نقيض العلم، ويقال للمفازة التي لا علم لها : مجهلة.

و الثاني: قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر: مِجْهل، ويقال: استجهلت الريح الغصن: إذا حركته فاضطرب.

ومنه قول النابغة:

دعاك الهوى و استجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء و الشيب شامل

و المجهلة: الأمر الذي يحملك على الجهل.[1]

من خلال هذه المقارنات نجد أن العلم الذي هو ضد الجهل يدعو على الطمأنينة والسكون ، و هو عكس ما يحدثه الجهل من الاضطراب و الطيش، كما تفعل الريح بالغصن و يفعل الهوى بالعجوز المتصابي فيجعله مراهقا حقيقيا، خلاف السبب الذي يفيد الوقار و السكون و هو ما يميز العالم المتسلح بالعلم بالرزانة و الوقار.

و الشيء نفسه بالنسبة لصحراء التي لا معالم لها ،كالجبال أو الفجاج فإن التيه فيها نوع من جهل سالكها، أين وجهته و أين خلاصه في هذه المفازة شأنه شأن الذي يجهل نفسه وربه و دينه و مصيره.

تعريف الراغب الأصفهاني

[1] مقاييس اللغة: 489/1، 490.

قال الإمام الراغب: [الجهل على ثلاثة أضرب: **الأول**: خلو النفس من العلم،
الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه
الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل.[1]
و من خلال هذا التقسيم للراغب نجد أنه في حقيقة الأمر قسمين: جهل بالاعتقاد، و جهل بالأعمال و السلوك.
فإن الذي لا يعتقد وجود الله قد جهله، و إن الذي لا يعرف الشرع يجهل تطبيقه فعلا أو تركا، فعلا لمحظور، أو تركا لواجب.
أما عند الحلبي في " عمدة الحفاظ" فإضافة إلى ما سبق، فإنه يقسم الجهل إلى قسمين: جهل بسيط و مركبا، والمركب عنده أشد. لأن صاحبه يجهل أنه يجهل.[2]
أما ابن منظور فإضافة إلى ما سبق ذكره فإنه يضيف أن:
التجهيل: أن تنسبه إلى الجهل
و الجاهلية: لأن تفعل فعلا بغير علم.
و المجهلة: ما يحملك على الجهل.[3]

و خلاصة القول من كل ما سبق أن كل ما من شأنه أن يجعل الأمر مضطربا يكون جهلا، فإذا اشتد غليان القدر، قلنا" جهلت القدر": بمعنى أنها تلقي ماءها من فوهتها بغير نظام؛ لأن النار أفقدتها تحملها. كذلك الغضن و كذلك المفازة و كذلك الإنسان الجاهل، وقد قيل: يفعل الجهل بصاحبه ما لم يفعله العدو بعدوه.[4]

جدول ورود مادة الجهل في السياق القرآني:[5]

---

[1] مفردات ألفاظ القرآن ص209
[2] العودة إلى عمدة الحفاظ، ص407، 408
[3] ينظر بن منظور: لسان العرب 230/11
[4] ينظر الكليات لأبي ابقاء الكوفي ، ص350، ففيه تفصيلات.
[1] محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، 1988/1408 مادة جهل، انظر الخالدي، ص63

الكلمة	طبيعتها	عدد المرات
تجهلون	فعل مضارع بتاء الخطاب	أربع مرات
يجهلون	فعل مضارع بياء الغائب	مرة واحدة
الجاهل	اسم الفاعل	مرة واحدة
جاهلون(الجاهلون، جاهلين، الجاهلين)	اسم فاعل للجماعة (رفعا ونصبا وجرا)	تسع مرات
جهول	صيغة مبالغة	مرة واحدة
جهالة	مصدر سماعي	أربع مرات
الجاهلية	اسم خاص	أربع مرات

ملاحظة: ذكرت أربع وعشرون مرة

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي من خلال المصطلح القرآني

تختلف معاني الجهل من موضع إلى آخر ،حسب تواجدها في السورة وحسب المخاطب والمخاطب،فهي بهذا تتحمل شحنات دلالية واسعة وشاسعة،وهذه الميزة هي التي أكسبتها هذه الصفة وجعلتها تتميز عن موضوع الصبر وغيره من الموضوعات القرآنية الكثيرة، وقلما نعثر على مصطلح بهذه القيمة الدلالية المتنوعة. فالسماء مثلا لا تعني في القرآن الكريم دوما السماء الزرقاء التي فوقنا ففي معظم الأحيان كل ما علاك فهو سماء .ولنظر إلى قوله تعالى﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾[1]

فالسبب هنا يعني سقف البيت قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ما يلي:

قال ابن عباس من كان يظن أ لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فاليمدد بسبب أي بحبل-إلى السماء –أي سماء بيته –ثم ليقطع –يقول ثم ليختنق به وكذا قال مجاهد بن عكرمة وعطاء أبو الجوزاء وقتادة وغيرهم وقال عبد الرحمان بن زيد بن اسلم –ثم ليقطع –ذلك عنه إن قدر على ذلك ويقول ابن عباس وأصحابه أولى واظهر في المعنى وابلغ في التهكم فان المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمد ا وكتابه ودينه فليقتل نفسه ان كان ذلك غائضه فان الله ناصره لا محالة قال الله تعالى – إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الإشهاد – الآية ولهذا قال – فالينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ –قال السدي يعني من شان محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء الخرساني فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من غيظ وقوله تعالى –وكذلك أنزلناه –أي القرآن- الآيات بينات - أي واضحات في لفظها ومعناها حجة من الله على الناس –وان يهدي من يريد –أي يضل من يشاء ويهدي من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك –لا يسأل عما يفعلوهم يسألون -ا ما هو فلحكمته ورحمته وعدله وعلمه وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.[2]

اللون الأول:

الغفلة السريعة، قوم موسى يتناسون من أنجاهم منذ لحظات ويتعلقون بالسراب

---

[1] الحج الآية 15

[2] تفسير بن كثير ج4 ص256

قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[1]

دون الحاجة إلى تحليل بالعودة إلى الآيات السابقة لهذه الآية التي تضمنت مادة الجهل نجد ما يلي: بعد الطوفان، الجراد، القمل ، الضفادع، الدم، السنين ،كلها آيات مفصلات لصالح بني إسرائيل ضد عدوهم فرعون ومن معه، ثم بعد ذلك يأتي الحدث العظيم "﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[2]، بعد هذا الحدث العظيم، وقبل بلحظات قال بنو إسرائيل:" إنا لمدركون"، غير أن إيمان موسى عليه السلام الثابت ردعهم بقوله: ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[3] ، وهداه، وانفلق البحر، بل و آمن فرعون الذي كان سبب البلاء كله،﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4]، و السؤال، هل آمن بنو إسرائيل الذين جاوزوا البحر بهذه المعجزة.. ما أروع تصوير القرآن.. و لولا أن الله تعالى يريد أن ينجي هذه الفئة الضالة؛ كي تكون مثلا للعالمين في الضلال و المكر و الكفر لكانوا أولى بالغرق.

بعد هذا كله يقول الله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ ﴾[5]

هؤلاء الذين أنجاهم الله منذ لحظات " فأتوا" و الفاء تفيد التعقيب و تسلسل الأحداث عن قرب، كان الواجب أن يقولوا: آمنوا بالله مثلنا، فقد نجانا .. و انظروا ماذا يحدث وراءنا في البحر .. ولابد أن فرعون كان مشهورا.وانظروا ماذا فعل الله به بعد أن كان يدعي الربوبية وهو

---

[1] الأعراف الآية 139/138

[2] الأعراف الآية 136

[3] الشعراء الآية 62

[4] يونس الآية 90

[5] الأعراف الآية 138

رجل حي متحرك فكيف بأصنام و أحجار ..كان هذا هو منطق العقيدة والدين و الإيمان و الواقع الذي ينبغي أن ينهجه بنو إسرائيل خلاف ذلك تماما ..قالوا: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾، لو أنا فتشنا كل القواميس و بكل اللغات العالمية ما وجدنا لفظة و لا جوابا أقوم و أردع و أكفى من قول موسى عليه السلام بعد كل الذي حدث ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾، فالجهل هنا بمعنى: لا منطق و لا عقل لكم ولا ميثاق، فالمؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين وأنتم مرت عليكم تسع آيات و آية البحر هي العاشرة ثم أنتم تنكسون. و الإطلاق وصف معمول تجهلون، ولم يقيد بجهل شيء معين كجهل عظمة الله تعالى وهو دليل على العموم و الشمول، وهو الوصف الدائم والشامل مكانا وزمانا لبني إسرائيل و صدق الله العظيم.

يعقب الدكتور الخالدي عن هذا الجهل بقوله: [..هذا جهل اعتقادي؛ لأن موضوع الآية هو العقيدة و المراد بالجهل هنا هو السفه و الخفة و الطيش الذي أنساهم معلوماتهم النظرية عن النصوص] [1]

لكن هذه المعاني الأدبية و التوبيخية تفيد المعنى أكثر إذ ليس أجهل ممن رأى كل هذه الآيات الغيبية و المعجزات الربانية التي كانت تتنزل تترى أن يكون جاهلا بالعقيدة بل العناد و السفه و التعالي على الله تعالى فهم الذين قالوا: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]

اللون الثاني

نوح : ..و لكني أراكم قوما تجهلون(البهتان في الوصف و الاستخفاف بالنبي)

---

[1] الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص 94، بتصرف

[2] المائدة الآية 24

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ ﴾[1]

أربع بأربع فأربع

	قوم نوح	نوح عليه السلام	الحلول المقترحة
1	قالوا:نراك بشرا مثلنا	قال: لا أسألكم عليه مالا	وقال: من ينصرني من الله إن أخذت برأيكم
2	قالوا: اتبعك أراذلنا بادي الرأي	قال: وما أنا بطارد الذين امنوا	ال: وقلا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا
3	قالوا: ما نرى لكم علينا من فضل	قال: و أتاني رحمة من عنده	وقال: ليس عندي خزائن الله
4	قالوا: بل نظنكم كاذبين	قال: أنا على بينة من ربي	وقال: ولا أقول إني ملك

ما أروع هذه المقابلات، فحين قلتم عني بشرا[2] فأنا لم أنكر ذلك، بل و لم أقل حتى أني ملك. بل بشر مثلكم لا يملك من الأمر شيئا، أما التخلي عن أتباعي ووصفكم إياهم ببادي

[1] هود الآيات 28.29.30.31

[2] و هذه الحقيقة التي أجاب بها جميع الأنبياء، حتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ﴾ فصلت 6.

الرأي، فليس بين الله و بين عباده حجاب. ورحمته يصيب بها من يشاء. فإن قلتم أنتم ذلك فأنا لا أقول إن الله لن يوتيهم خيرا. فإن طردتهم أنا فهذه خيانة مني لهم وإن فعلت فمن يتحمل الدفاع عني من الله ؟

وبمجرد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم –رضى الله عنه – لمقابلة المشركين، للحظات يسيرة عاتبه الله تعالى وأنزل سورة قرآنية بخصوص ذلك[1].

أما قولكم ما نرى لكم علينا من فضل، فليس عندي خزائن الأرض. و أما قولكم عنا كاذبين فالكاذب يكذب لمصلحة و أنا لم أطلب منكم مالا ولا ملكا، ولم أعدكم كذلك لا بمال و لا نعمة، فدعوتي مجردة و أتباعي مجردين من كل ما يحتمل أن لنا غرضا غير الله، بعد هذا البيان ما تستحقون أن توصفوا به إلا:

﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ ﴾[2]، أي تتحاملون وتتعمدون وصفنا بهذه النعوت بل إنها الحماقة و الكبر فقط.وانظر ماذا قال عليه السلام (أراكم) أي أن معايشتي لكم، ومعرفتي بكم، ومعرفتكم بي تجعلني أقول أنكم تجهلون.

و يعقب الدكتور الخالدي على هذا الجهل بقوله: [الجهل الذي وقع به على هذا هو جهل بالقيم الحقيقية التي يوزن بها الناس و هذا الجهل أدى بهم إلى استخفاف الملأ وازدرائهم] [3].

نعم إن من أعظم الجهل الذي لا يمكن أن يتصوره أي فرد هو أن يتخلى أحد عن أنصاره و أتباعه فضلا عن أنصار العقيدة و الإيمان ..حقيقة " إنكم قوم تجهلون".

اللون الثالث

حين تنقلب الموازين وتُمسي العفة عارا والعار وقار

---

[2] هذه السورة هي سورة (عبس) وجميع المفسرين مجمعين على أن هذا هو سبب نزولها

[3] هود الآية 29

[4] الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص 95

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]

نظمت الآيات الكريمة ثلاثة أوصاف

1. إتيانهم الفاحشة وارتكابهم لها، واستعباد الشهوة لهم.
2. إتيانهم الرجال دون النساء وهو شذوذ ممقوت، ولم تتصف بهذا حتى الحيوانات.
3. المجاهرة و المباهات، فقد ينحرف أناس و يرتكبون الفاحشة و لكنهم يفعلونها سرا، لشعورهم بشيء من الحياء و التحرج بل وحتى في الحلال، أما أن يزول ذلك و يصير الشذوذ عرفا اجتماعيا مقبولا مرخصا، فهذا لا يمكنك أن تسميه إلا جهلا بصفتك آدمي .

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2]، ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾[3]، أي علنا، والنوادي مجتمع بشري، فكيف إذا اجتمعت كل هذه الصفات في الجرائم في فئة أو قوم، لا صفة ولا نعت يضمهم إلا لفظة " تجهلون" بل تعدى جهلهم أن يسخروا من آل لوط وأنهم أناس يتطهرون، ويجب إخراجهم حتى لا تصيبهم طهارتهم .

نعم ذلك حين تنقلب الموازين فقد قال فرعون ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[4]

فالله نور السموات و الأرض لا يرى أما فرعون فإن جميع من في الأرض يراه.

كالغراب اعتلا في الشجرة يحسب كل الناس تحته غربان

---

[1] النمل الآيات 54.55.56

2 النمل: 54

3 العنكبوت: 29

4 الزخرف: 52

هكذا في كل زمان فباسم حقوق الإنسان يموت الإنسان، وباسم الإنسانية تمزق الدول، وباسم الحرية تسود الفواحش ويروج لها، ولا يصدق علينا إلا القول المشهور

ما بقي في الأذهان شيء إذا طلب للشمس دليلا

اللون الرابع

عنادهم و هود عليه السلام

﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣ ﴾[1]

إن القارئ لهذه الآيات يتمعن ..وكأني بهود عليه السلام يتكلم بنبرة حزينة مؤسفة مشفقة على قومه ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ ﴾[2] كان ردهم الوقح قبل الاستعجال أن لنا آلهة تمنعنا.﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا ﴾[3]، نعم لنا آلهة تمنع وقوع ما تحذر منه، ثم ينصحون بكل جهل عن المتوقع ﴿ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ ﴾[4] وكأني به يقول: أيها الجاهلون، أولا: لست أنا الذي أقدر على ذلك.

ثانيا: هذا الأمر علمه عند الله أيها الجاهلون، و لو كان من عندي لادعيت أنا الألوهية لنفسي أيها الجاهلون.

ثالثا: أيها الجاهلون: أنا مجرد مبلغ، وكأني به يردد قول رسولنا عليهما السلام: ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[5]

---

[1] الأحقاف الآيات21.22.23

[2] الأحقاف الآية21

[3] الأحقاف الآية 22

[4] الأحقاف الآية 22

[1] الأعراف الآية 188

رابعا: اللاحق: أن الجاهلون بعد هذا الاستخفاف الذي نبأ به ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾[1]

لقد تعدد الجهل هنا: -كان جهل العقيدة ..وهو جهل الاختيار فقد.تشبثوا بآلهتهم دون الله - وجهل الاستخفاف ..فلم يتفاعلوا مع تهديده ولا شفقته عليهم، بل طلبوا ذلك حاضرا. ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾[2]، ثم إنهم نسبوا ذلك إلى هود عليه السلام كما ذكرنا .

- وجهل الطيش والثقة الزائدة بالنفس وإملاءات الشيطان تجعل منهم لا يتوقعون الأسوأ بل وحتى لا يعطون لأنفسهم أقل نسبة أنهم ممكن يكونوا مخطئين وأن نبيهم كان مصيبا هذا ما جعلهم لا يتوقعون عذابا. فإن المهدد من شأنه أن يخاف من أي حركة غير عادية، وهؤلاء بجهلهم وحماقتهم واستخفافهم و ظنهم بآلهتهم فرحوا و غبطوا و قالوا﴿ ... هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾، فيرد عليهم الله تعالى ماذا قلتم سابقا لهود؟ ألم تقولوا: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

إذن هذا ما استعجلتم به أيها الجاهلون ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[3] ، فماذا يستحق هؤلاء من غير وصفهم بالجهل المركب " أيها الجاهلون ... المغفلون...".

خلاصة:

جرد و تقصي مواضع "تجهلون" في المواضع السابقة

---

[1] الأحقاف الآية 24

[2] ص الآية 16

[4] الأحقاف 24

تحقق هذا لجهل في المرات الأربعة: قوم نوح، وقوم هود، وقوم لوط، وقوم موسى بمعانيه التي فصلناها ، غير أنه من الواجب رصد هذه المواضع من حيث مواقعها وصورها ومصدر ناطقها.، فكانت الحيثيات التالية:

1. كل السور الأربعة سور مكية: الأعراف، هود، النمل، الأحقاف.
2. وردت المرات الأربع في سياق القصص القرآني حول الأنبياء مع أقوامهم، قوم نوح، قوم لوط، قوم هود، قوم موسى.
3. كان الجهل مطلقا ولم يقيد بجهل شيء معين، فهو جهل شامل مطلقا.
4. جاء اللفظ في المرات الأربع على لسان الأنبياء السابق ذكرهم، وهو يعني أنهم عالمون وقومهم جاهلون.
5. جاءت اللفظة في المرات الأربع بصيغة الخطاب " تجهلون" وهذه المصارحة من شأنها أن تهز المستمع الذي تمادى في غيه و غطرسته.
6. جاءت كلها بعد حوار وخطاب مباشر للقوم، فبعد استنفاذ وسائل الإقناع، يلجأ إلى هذا النوع من التعنيف وهو جائز شرعا.[1]
7. ومع أنا ذكرنا تفصيل معاني "تجهلون" في كل موضع و أنها تختلف من قولة نبي إلى آخر، إلا أن الدكتور الخالدي يرى قريبا من ذلك فهو يقول: [أن كل قوم من الأقوام الأربعة تفردوا بصورة صارخة من الجهل، جهل بني إسرائيل جهل تأثيري، وجهل قوم نوح جهل تقويمي، وجهل قوم لوط جهل جنسي، وجهل قوم عاد جهل اختياري طلبي تحليلي] [2]

غير أن الخالدي لم يفصح ولم يشرح معاني هذه المصطلحات(تأثيري ،تقويمي، جنسي، اختياري طلبي) .

مادة: "يجهلون"

---

[1] ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ النساء 148 . وثبت في السيرة النبوية أن أبا بكر الصديق . رضي الله عنه . عير كفار قريش في غزوة أحد بألفاظ نابية وأقر عليها، وكان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول لحسان ابن ثابت اهجهم وروح القدس معك سنن البيهقي ،باب شهادة الشعراء، ج10، ص238

[2] التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق، ص 101.

لم يرد لفظة الجهل بهذه الصيغة " يجهلون" إلا مرة واحدة في سورة الأنعام، وخص هذه المرة بقريش و العرب الذين طلبوا معجزات مادية من نبيهم الأمين عليه الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1] كل يتمنى لو أنه شاهد معجزات حسية حتى يزداد إيمانه، حتى إبراهيم الخليل ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[2]، هذا طلب من أجل الاطمئنان أم من أجل التصديق، فإذا كان الكافر مصمم على كفره منكرا لنبيه واصفا إياه كذبا بالسحر و الكهانة والجنون مع أنه عاشره و لقبه قبل ذلك بالأمين. فإنها لا تنفع مع ذلك المعجزات ولا الآيات.

فلو أن الله تعالى استجاب لطلباتهم فبعث الملائكة في أوساطهم يحدثونهم بصدق محمد ورد إليهم آبائهم و نشرهم من قبورهم فقالوا يا أبناءنا إن هذا نبي حق ، وحشر إليهم المخلوقات من حيوانات ونباتات و زواحف و طيور[3] فقابلتهم وقالت هذا محمد رسول الله ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾[4]، لو قدم لهم كل هذه الآيات كلها فإنهم لن يؤمنوا بالله و رسوله و لن يدخلوا في دينه إلا إذا شاء الله إيمانهم.

أولا : من المقصود بـ (أكثرهم يجهلون)

---

[1] الأنعام الآية 109-111

[2] البقرة الآية 260

[3] و قد حدث أحمد البيهقي بإسناده صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير الذي شكا إلى النبي أهله وقد ورد في كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل

[4] النمل الآية 82

تفرع هذا المعنى عن أهل التأويل إلى ثلاثة أضرب، منهم من قال المقصود هم الصحابة ومنهم من قال المقصود هم الكفار، ومنهم من قال المقصود هم الفئة الأكثرية من مستضعفي الكفار.

وسبب الخلاف يعود إلى ما يلي:

أن الصحابة أو بعض الصحابة لما رأوا الأيمان المغلظة من الكفار طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات[1]، طمعا في إسلام و إيمان هؤلاء.

و الحقيقة ليس في الآية ما يخص هذه الفئة ؛ لأن الخطاب ب: يجهلون جاء مؤخرا عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]

أما الفئة الثانية وهم المستضعفون من الكفار وهم الأتباع فهم معدودون، فلو صارحوهم بمعاداة النبي صلى الله عليه وسلم لنقلوا عنهم ولكن يقولون لهم " لو جاءنا بآية لآمنا" فهم يصدقوهم في ذلك.

ولكن بقراءة متأنية يتضح أن هؤلاء الكفار الذين يطالبون بالآيات إنما هو إغال في الكفر وتثبيتا للحجة ضدهم، فلو كانوا يعلمون أو يعقلون " لا يجهلون" لتوقفوا عند هذا الحد، ولذلك قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[3]

ثم ما ثبت في كتب التفسير أنهم طالبوا بأن يكون الصفا ذهبا.[4]

فالجهل هنا جهل بالمطلوب، وجهل بمن يطالبونه بالآية، وجهل بمنزل الآيات، وجهل بما حاق بالأمم السابقة التي طالبت بمثل هذا أو أكثر كرؤية الله تعالى جهرة[1].

---

[1] ينظر كتب التفسير التالية: الجواهر الحسان للثعالبي، تفسير الطبري، تفسير ابن كثير، تفسير الألوسي، تفسير الآيات 109، 110 .

[2] الأنعام الآية 109

[3] جاء في تفسير الجواهر الحسان:[حكي أنهم اقترحوا أن يعيد الصفا ذهبا وأقسموا على ذلك فقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في ذلك فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهبا فإن لم يؤمنوا هلكوا عن آخرهم معجلة كما فعل بالأمم المقترحة ، وإن شئت أخروا حتى يتوب تائبهم، قال عليه الصلاة والسلام: " بل حتى يتوب تائبهم" ونزلت الآية.

[4] الإسراء الآية 59

مادة: الجاهل و الجاهلون (اسم الفاعل)

ورد اسم الفاعل " جاهل" عشر مرات في القرآن الكريم

1. اسم الفاعل للمفرد: الجاهل مرة واحدة
2. اسم الفاعل للجماعة: الجاهلون" في حالة الرفع ثلاث مرات.
3. اسم الفاعل للجماعة الجاهلين" في حالة النصب مرة واحدة.
4. اسم الفاعل للجماعة الجاهلين في حالة الجر خمس مرات.

نلاحظ أن هذه الصيغة تكررت عشر مرات تختلف من موقع إلى آخر، حسب السياق القرآني وحسب الاصطلاح المنسوب إليها ، وهذا الذي يفرق بينها وبين الموضوع القرآني كما أسلفنا الذكر مع موضع الصبر في المبحث السابق.

معانيها حسب مواقعها:

الجاهل بمعنى " غير المطلع"

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) ﴾[2]

هناك تقابل عجيب بين جهل في هذه الحالة وبين المعرفة، والسبب الحاجز بين الجاهل والعارف في هذه الحالة هو شيء لطيف يسمى " التعفف" ورافع الحجاب كذلك سهل ميسر لمن كان قلبه رحيما ونظره ثاقبا، وحد التعفف ..يقول الخالدي : [فعلى الرغم مما يظهره هؤلاء الأعزاء المتعففون من مظاهر التجمل و الغنى، ورغم ما يحرصون على إخفائه من الحاجة و

---

[1] طالب بنو إسرائيل نبيهم موسى فقلوا ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣) ﴾ النساء153 وسبحان الله فقد طالب عوهم فرعون بذلك فقال:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) ﴾ القصص 38.

[2] البقرة: 273

الفقر، إلا أن لهم سمات و علامات و إشارات تنبئ عن حاجتهم، ويدرك هذه العلامات وينتبه إلى هذه اللمسات أصحاب النظرات الثاقبة و البصائر النافذة و الفراسات الكاشفة] [1]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفسر بطرق غير محرجة ليتعرف على مستوى الناس المعيشي كما فعل مع جابر ابن عبد الله.

وبهذا بإمكاننا صياغة الآية بالمعنى التالي : هؤلاء فقراء لا عن عجز بل بسبب أنهم أحصروا في سبيل الله فليس لهم وقتا ليضربوا في الأرض بحثا عن أرزاقهم وبسبب تعففهم فهم عزيزوا النفوس ، يلبسون أجود ما عندهم و يظهرون بمظهر الأغنياء بسبب تعففهم فيحسبهم الجاهل أغنياء بسبب ذلك، كيف وأن المعروف على الفقير أن يسأل الناس إلحافا، و هؤلاء لا يسألون . لكن هذا ليس سببا في ضياع هذه الفئة الفقيرة العزيزة النفس الذي أحصرت في سبيل الله فهناك سمات للفقراء و للحاجة مهما كان هذا التعفف وهذا التجمل على حد قول الشاعر:

إذا كان الجميل يحب طبعا فإني أكره الصبر الجميل

فعلى المنفق أن يتريث في دفع صدقاته لمن يستحقها.

فالجهل هنا في مقابل المعرفة و السمة في مقابل التعفف، فجهل الجاهل بحالهم هو سبب تعففهم، وعلم العالم بحالهم هو سبب معرفة سماتهم الدالة على فقرهم وحاجتهم.

1: الحسد و الطيش أورث جهل الحال و المآل

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) ﴾[2]

---

[1] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الخالدي: ص108

[1] يوسف الآيات 88~92

قصة يوسف مع إخوته غنية عن إعادتها هنا، فمن أولها قال يعقوب عليه السلام محذرا ابنه الأصغر الجميل يوسف ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾[1] وكانت المكيدة، ومحاولة القتل أو الطرح في الأرض و النفي، ثم التنازل بالإلقاء في الجب، وتمر السنون ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾[2].

وتتوالى السنون العجاف، ويتردد إخوة يوسف على عزيز مصر، صاحب المهابة و الوقار لعدة مرات و يوسف ينظر إلى هؤلاء الذين آلوا إلى التوسل و المقايضة ببضاعة مزجاة، تدل على الحاجة و الفقر و تذكره بأبيه العجوز الذي حرقته السنون و أذهب بصره الحزن ، ينظر إليهم وهو يلف شريطا طويلا من المآسي و المكدرات دام لأكثر من ثلاثين سنة كأنه يقول: " ارفعوا رؤوسكم ، تذكروا ملامح أخ لكم قد رميتموه في الجب ، تذكروا صورة أبيكم المتمثلة في الجاثم أمامكم ، نعم ليس هناك من علم بجريمتكم غير الفاعل أنتم و المفعول به يوسف ، و الله :

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ ﴾[3]:" ما فعلتم بيوسف"، هنا يتأكدوا من هذا، هذا العزيز له علم بهذا السر ، فيحدقوا جيدا ، فإذا به نفسه الطفل المرمي في الجب صار عزيزا ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ ﴾، نعم إنها شهقة الحق " أئنك"، "أهنك"، نعم إنكم جاهلون...

1. جاهلون حين أقدمتم على فعلتكم البشعة بسبب الحسد و الطيش .
2. جاهلون في تقصيرهم في البحث عنه حين أمركم أبوكم.
3. جاهلون حين يئستم من روح ربكم حين قال أبوكم:﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾[4] فقلتم: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ ﴾[1]

---

[1] يوسف الآية 5

[3] فاطر الآية 43

[3] يوسف الآية 15

[4] يوسف الآية 87

4. جهلتم حين لم تدركوا خيوط اللعبة التي جعلتكم تدفعون الثمن مرتين..وترهنون بدل صاع الملك أخيكم الأصغر سنا و الأكبر قدرا عند أبيكم.

كل هذا تحمله الخطفة الزمانية " إذا" فهي ظرف لما مضى من الزمان.

لقد أنضجتكم هذه السنون، و آن الأوان أن تستفيقوا، فنضجوا حقا و استفاقوا ..و﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ فقوبل الاعتراف بالحلم و العفو الجميل، ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .

الخلاصة:

إن كل هذا السيناريو الطويل كان درسا مهما لهؤلاء الإخوة، وكان بإمكانهم معرفة يوسف من أول وهلة حين أكرمهم بالمدينة وهم أهل بدو، و سألهم عن أخ لهم من أبيهم ، وقربه إليه ، وحاكمهم بقانونهم ولم يحاكمهم بقانونه... لكن هذه الأخطاء التي تعمى الأبصار، بصرنا الله جميعا بذنوبنا.

2: "الفرار من الجاهل الذي يمس بالوقار"

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

---

[1] يوسف الآية 95

[2] الفرقان الآية 63

نعم ... إنه ليس من السهل أن يخاطب الجاهل ، أو يعيرك أو يستفزك، فتصبر، ليس القوي بالصرعة إنما القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم[1]
إنهم لا يصممون فحسب، فهذا يكفيهم، ولكن يتجاوزون ذلك إلى الصفح و الرد عليهم بالسلام، ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾[2]

لأن ثأر عباد الرحمن للرحمن لا يقولون إلا سلاما، فالجاهلون هنا هم الذين لا يراعون حرمة العابدين العارفين، السالكين طريق الرحمن، فلو علموا قدرهم لحلموا و حفظوا لهم وقارهم.
وليس كذلك من اللائق أن يجاري الحليم الجاهل، فيتبادل وإياه جهله مناصفة. وكما يقول المعنى العامي: إذا ذبح الجاهل الكلب فلا تقم أنت بسلخه. فالترفع في هذه الحالات واجب.وسكوتك عن الأحمق إجابة له.

3: الجهل المفضي إلى طلب المستحيل

حين تنقلب الموازين ويملي الجاهل على العالم ماذا يجب أن يفعل، بل يملي الكافر الضال على النبي المرسل ماذا يفعل ومن يعبد وكيف يتصرف؟ هناك لا جواب إلا ميراه الله مناسبا لهذا المقام المؤلم.

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾[3]

إن الذي ينصحك أن تبغض أمك أو أن تقتل أباك، كيف تسميه؟، إن الذي يأمرك أن تسب ربك أو تعتدي على نبيك كيف تسميه؟، بل إن الذي يصرفك عن ربك خالقك

---

[2] صحيح البخاري: كتاب الوحي، ج8 ص51

[2] فصلت الآية 34

[3] الزمر الآيات 62~66

ومبدعك إلى عبادة صنم أو حجر أو بقر، كيف تسميه؟، إنها الجهالة أو الجهل بكل معانيها، فلو كان يمتلك هذا الذي يأمرك بهذا ذرة من عقل ما قال ذلك.ولكنه الجهل المطبق.

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]، تأمروني – أمر و أي أمر– أمر أن يعبد نبي مرسل غير الله، هو خاتم الأنبياء، وهو الأمين كما وصفوه، يعبد صنما صنعته أيادي قريش من حجر الجزيرة العربية.

ففضلا عن سفاهتهم، و جهلكم، فإني مهدد من طرف الله لو فعلت ذلك و لو إرضاء لكم

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

4: الانتصار الهادئ عن جاهل الدين

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2]

سبق نفس التعامل مع آيات " وعباد الرحمن"

أما عباد الرحمن فقد تحلوا بالتواضع وعدم التعالي، وكانوا يردون على الجاهلين بقولهم" سلام عليكم"، بمعنى أنهم لا يصدر عنهم إلا السلام.

أما في آيات القصص ..، فإنهم مؤمنوا أهل الكتاب وهم مسلمة أهل الكتاب، لقد آمنوا بالقرآن، واعترفوا أنه كلام الله، ولقد كانوا مسلمين من قبل إنزال القرآن

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3]

---

[1] الزمر الآية 64

[2] القصص الآيات 25~55

[3] المائدة الآية 82

فلما سمعوا آيات القرآن الكريم زادهم إيمانا، ولذلك أخبر الله تعالى أنه سيؤتيهم أجرهم مرتين، مرة لأتباعهم الحق من كتبهم السابقة ، ومرة ثانية لأتباعهم الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

بل أكثر من ذلك أنهم صبروا، وكانوا يدرؤون بالحسنة السيئة، إنها قمة الاتزان و الثبات مع أنه كان بإمكانهم أن يقولوا لنا ديننا ولكم دينكم، وقد قالها كفار قريش من لا دين لهم إلا الشعر و الخمر و لا رب لهم إلا اللات و هبل.

ثم إن هؤلاء الثلة لم يردوا على خطاب توهمهم كعباد الرحمن، بل هؤلاء لمجرد أن سمعوا اللغو يعرضوا عنه ثم يظهرون التميز ﴿ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾[1]، ثم يفارقون قومهم لاتصافهم بالجهل﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾، نعم إنه الحلم و العلم يقابل الجهل و الحماقة.

و كأني بهم يقولون: إنكم أتباع عيسى و موسى تدركون جيدا صدق الرجل و في كتبهم ما يثبت خلاف زعمكم ﴿ فَسۡـَٔلُواْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾[2]، فما بقيت جهالة و لا جهل أعظم من أن تكذبوا ربكم ثم تكذبوا نبيكم.

5: الترفع عن مستوى القوم الجاهلين

قصة موسى عليه السلام مع قومه في شأن البقرة معلوم حيث أنه قتل قتيل من بني إسرائيل، ولم يعرف قاتله، فلجأ بنو إسرائيل إلى موسى عليه السلام، فأخبرهم أن الله تعالى يأمرهم أن يذبحوا بقرة﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ ﴾[3]

فكان جواب القوم..فما دخل البقرة بجنحة قتل ، وعدوا ذلك استهزاء من موسى عليه السلام بهم، فبنو إسرائيل يؤمنوا بنبيهم لكنهم يتعاملون معه بدون وقار، فهم لم يوقروا حتى ربهم وقالوا ربك. حيث﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ

---

[2] القصص الآية 55

[2] ا الأنبياء الآية 7

[3] البقرة الآية 67

فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، فظنوا أنه يستهزأ بهم أو يسخر منهم، أو يتلاعب بعقولهم أو يسفه أحلامهم، وكل هذا وارد ما لم تعط للنبي حرمته ومصداقيته، وهو على حد قول الشاعر:

و من يكن ذا فم مر مريض يجد به مرا الماء الزلال

كان بإمكان موسى عليه السلام أن يقول لهم:" إنكم قوم تجهلون"، كما سبق حين طلبوا أن يجعل لهم آلهة، لكن هنا ليس في حاجة إلى أن يصفهم بالجهل مباشرة بل استعاذ بالله حول هذا التطور الجهلي العجيب حيث يسألون عن الواجب ويكذبوا المجيب ، فقال: "أنا أطلب من الله أن لا يجعلني مثلكم جاهلا، أما أنتم فقد تمكن منكم حتى صار ملاصقا ملازما لكم هي أشد نكاية من خطابهم مباشرة بأنهم جاهلون، و هي كأن يقول لك صديق: هل تشرب الخمر معي ، فتقول له: وهل أنا مجنون؟ بمعنى أنت مجنون حين تطلب إلي ذلك.

6: تذكر يا نوح أنك نبي وتذكر أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2]

هيئة المقال:

تختم القائمة – قائمة المؤمنين- و يوقع عليها الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3]، بصيغة الماضي، بلا زيادة و لا نقصان.

---

[1] المائدة الآية 24

[2] هود الآيات 45~47

[3] هود الآية 36

و يؤمر عليه السلام بصنع السفينة، و يحشد المؤمنون على متن السفينة، و الكفار في الضفة الأخرى ساخرون ومتحرقون في الوقت نفسه، ..في هذه اللحظات يكون موقع ابن نوح موقع شبهة، بين الإيمان والكفر، لقد كان في معزل، أي ليس مع الكفار ولا مع المؤمنين، تحركت فيه بنوته وهو يرى والده يقارب أن يفارقه، ونوح عليه السلام تتحرك فيه غريزة الأبوة فتنسيه أن القائمة قد ختمت وأنه لن يؤمن أحد سواء كان ابنه أو غيره، فنادى هذا النداء، بهذه الضراعة المضمخة بالإشفاق [رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي]، [فعِلي إن فعلي من فعلي]، حتى أن هذه الجملة حين تنطق تبقى الأسنان فيها مطبقة من الغيظ وشدة القلق على ابنه؛ نغمة كلها إشفاق، حب، وحشة، أسى، ألم، حرقة، من شأنها أن تنسي نوحا ولم تترك له عزماً، كان فيها نوع من الاعتذار فإنك يا رب (حق) ثم لا تظلم ، وأنت أحكم الحاكمين فلا راد لحكمك، ولكنه ابني، إنه لساني ينطق بما في كبدي[1] و قلبي و ليس عقلي و لا أمري يا ربي، قد سأل سائل فلماذا كان التعنيف من الله تعالى بهذه المقاطع الستة الرصينة؟

1. يا نوح
2. . إنه ليس من أهلك
3. إنه عمل غير صالح
4. فلا تسألني ما ليس لك به علم
5. إني أعظك
6. احذر أن تكون من الجاهلين.

بعد حوالي ألف سنة من الدعوة و الجهاد و الصبر تكاد تنسف بكل هذه الجهود نبرة عاطفية واحدة [إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ] إنها العقيدة.

يقول سيد قطب[2]: [...وفي هذه اللحظات الحاسمة يبصر نوح، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم و ليس معهم ..وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة ..ويروح يهتف بالولد الشارد.. ﴿يَٰبُنَيَّ

---

[1] قال الشاعر في هذا المعني:

أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض إذا هبت الريح على بعضهم امتنعت عيني عن الغمض

2 الظلال ، ص 1878.

ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] لكن البنوة العاقة لا تعقل بالأبوة الملهوفة والقوة المغروزة لا تقدر مدى الهول الشامل..قال: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾[2].

كانت هذه الحقيقة في مقابل العاطفة و البنوة جاء الرد بمناسبة التقريع و التهديد و التأنيب .. فالأهل عند الله ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾[3] و ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾[4] و لو كان بينه و بين محمد نسب..

إنه مشهد جد محزن و كئيب، كيف بالذي ينشد ربه ابنه..في هذه الضراعة يُنهر و يُهدَد بعد هذا الجهد كله..

نعم سيدي نوح ..إنها العقيدة التي لا تتجزأ [إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ] ..الذين تحركهم المشاعر، وتوجههم العواطف المتعارضة مع الإيمان و الحق بالعصبية أو القومية أو الجنسية أو حتى الوطنية إن لم يكن الجامع هو عقيدة لا إله إلا الله..

هنا بعد هذا التوضيح ..يرتجف نوح عليه السلام ارتجاف طير بلله القطر..ارتجافة العبد المؤمن يخشى أن يكون قد زل في حق ربه فيلجأ إليه، يعوذ به ، و يطلب غفرانه و رحمته..

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[5]

هنا تتنزل الرحمات ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾[6]

---

[1] هود الآية 42

[2] هود الآية 43

[3] الحجرات الآية 10

[4] المسد الآية 1

[5] هود الآية 47

[6] هودالآية 48

نعم تتوالى هذه النونات و الميمات[1]، وكلها تشير إلى حزن و غم ..و كأن نوح استحيا أن ينزل من فرط قولته..

كان هذا هو الجو الذي تنزلت فيه الآيات [إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ] [وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧]

فكيف كان موقع هذه العبارة_(الجاهلين) ؟

1. نوح نبي مرسل يعرف أنه لا ينفع نسب مع الكفر.
2. نوح نادى ابنه أن يركب و لا يكن مع الكافرين.
3. الابن صرح بأنه يرفض و يأوي إلى جبل يعصمه من الماء.
4. نوح يؤكد أنه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

مع هذا كله تكفر مادة الرحمة و الأبوة كل هذه المبادئ و العقائد لتصيح أن " ابني من أهلي"..

إنها جهالة الذي يطلب طعاما أو ماءا بعد جوع أو عطش و نسي أنه بشهر الصيام..

7: يوسف يترفع عن درجة الجاهلين

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۦۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤ ﴾[2]

إن يوسف عليه السلام يبرأ إلى الله ليستعيذ به و يطلب أن لا يكون من الجاهلين، والجهل هنا هو ارتكاب فاحشة الزنا، و الاستجابة للإغراء يعد سفاهة و طيش و هو جهل

---

[3] هناك حوالي أربعة عشر ميما في هذه الآيات

[2] يوسف الآيات 30~34

مقابل للحلم الاتزان و التعقل، و ليس هو الجهل المقابل للعلم، فاتباع الهوى و الوقوع في ما يقع فيه عامة الناس يعد بالنسبة للعارفين جهلا، فيوسف عليه السلام يربأ بنفسه أن يكون رمزا للطهارة كنبي و أمينا لما ائتمنه سيده كغلام و قد سبق أن قال: "إنه ربي أحسن مثواي" و بهذا يتضح أن لفظة الجاهلين هنا تعني عدم الخيانة وعدم الوقوع في ما تقع فيه عامة الناس دون الالتفات إلى الله ،و حفظ الأمانة و الثقة التي اكتسبها من سيده في قصره.

والحوار هنا كان مع الله تعالى، غنه يخاطب ربه مباشرة، أي يارب إني لم أقدر أن أصرف نفسي عن إمراة واحدة، لولا أني رأيت برهانك، فكيف بنساء القصر مجتمعات.أي يارب إنك أكبر من أن تفرط في يوسف هذا الذي يلجأ إليك أن يقع فيما يقع فيه غيره.وهو أشبه بضراعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين خشي على أصحابه في غزوة بدر فقال:

{الله إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض}[1]

8 : يا محمد لا تطلب المستحيل إن الله يهدي من يشاء

قال تعالى:﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ

[1] اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِى مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِى الأَرْضِ ». فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ) فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ/صحيح مسلم، باب الامداد بالملائكة، ج5،ص156/مسند أحمد بن حنبل، ج1 ص32

عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

الله مطلع على حزن نبيه و تأسفه و حسرته على عناد قومه وكفرهم و تماطلهم، فقد قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2]، وقال في موضع آخر: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]،

و قال:﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[4]، وذكر في هذه الآية التي بين أيدينا و التي تناولت لفظة الجاهلين" ولو شاء الله لجمعهم على الهدى" فكيف تمكنت لفظة الجاهلين في هذا الموضع بعد أن بين الله أن عناد الكفار أصيل و بين أن هناك أنبياء مرسلين كذبوا من قبل .وبين للنبي الذي يود أن يؤمن جميع من في الأرض بعد حسرته و تأسفه و جهده المبالغ فيه بين له أن محاولتك أن تهدي الجميع هذا ضرب من الجهل و طموح غير موفق فإن الهداية بيد الله وحده وما عليك يا رسول الله إلا التبليغ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[5]

إذن فلفظة الجاهلين تعني محاولة بلوغ القمة من دون جهد و لا وسائل، و رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملك الهداية و بذلك لا يمكنه أن يهدي الناس جميعا، وهذا محال من الطلب استدعى أن يخاطبه الله هنا بقوله: " فلا تكونن من الجاهلين" مبررا ذلك بقوله:" إنما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله"، فيا محمد إنك لا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين، فإذا وجدت من ينادي الصم و هم مدبرين لا يسمعون. فإنك ترميه بالجهل و تقول له إنك جاهل و صيحتك ضائعة في واد و لن تلامس آذانهم الصماء.

---

[1] الأنعام الآيات 33~36

[2] فاطر الآية 8

[3] الغاشية الآية 22

[4] القصص الآية 56

[5] المائدة الآية 67

9: الترفع سمتك والعفو سجيتك والاحتراز من نزغ الشيطان دأبك

قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[1]

جاء في الجواهر الحسان حول تفسير هذه الآية"وصية من الله سبحانه لنبيه عليه السلام تعم جميع أمته، وأخذ بجميع مكارم الأخلاق، قال الجمهور معنى(خذ العفو) أقبل من الناس في أقوالهم ومعاشرتهم ما أتى عفوا دون تكلف، فالعفو هنا الفضل والصفح. انتهى"[2]

فالخطاب في هاتين الآيتين لرسول الله عليه الصلاة والسلام و من ثم فهو شامل للأمة من بعده حيث يرشد الله في الآية الأولى إلى أصول الأخلاق الإسلامية العالية التي يتعامل بها المسلمون فيما بينهمس فتزكوا حياتهم و هذه الأصول ثلاثة:

1. خذ العفو: العفو هنا هو السهل الميسور عند المسلمين، أي خذ ما كان سهلا من أخلاق المسلمين عندما تعاملهم و لا تشق عليهم و لا تتعبهم و تجاوز عن مسيئهم.
2. وأمر بالعرف: العرف هو المعروف الصحيح الصائب من أعراف الناس الاجتماعية ومن روابطهم و صلاتهم وممارستهم.
3. و أعرض عن الجاهلين: أترك الجاهلين السفهاء المصرين على المخالفة و المعصية المتمادين في الضلالة و الحرام، أتركهم و أهملهم بعد أن تنصحهم و تذكرهم
4. و تأمرهم بالمعروف الحلال وتنهاهم عن المنكر الحرام.

و الجهل هنا قد يكون من الجهل المقابل للعلم، أي الجاهلون الذين لا يعلمون، فأنت تعرض عنهم بعد أن تعلمهم و تزيل لهم جهلهم بالعلم، و لكنهم رغم ذلك يصرون على جهلهم.

و قد يكون من الجهل المقابل للعلم و الرشد، فيكون من الخفة و الطيش و السفاهة أي الجاهلون السفهاء الذين يسيئون للآخرين في الكلام و الفعل و التصرف و الممارسة .

و يجهلون على الآخرين بسفههم.

---

[1] الأعراف الآيات 200/199

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن،عبد الرحمن الثعالبي،تحقيق الدكتور عمار طالبي،المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2،ص100/99

مضارب اسم الفاعل الجاهلين:

لفظة الجاهلين –كما ذكرنا سابقا وردت خمس مرات في سياق الحديث عن الأنبياء و هم نوح، يوسف، موسى، محمد عليهم الصلاة و السلام .

ووردت مرتان: مرة في سياق التحرر ومرة في سياق الطلب . و مهما كان الجهل و نوعه فإنه عيب و نقص نزه الله أنبياءه أن يتصفوا به، كما نزه الأنبياء أنفسهم أن يتصفوا به. مثلما فعل يوسف و آثر السجن . و ما فعل موسى عليه السلام أن يتصف به. فالجهل في كل الحالات ليس من صفات الثلة المتميزة بأخلاقها و قيمها، فضلا أن يكونوا أنبياء معصومين. والجهل هنا في هذه الحالات الخمس يتراوح بين عدم المعرفة، التنزه أو السفاهة و الميل للنساء و بهذا يتضح أن النهي كله في الحالات الخمس كان يقصد به الترفع و التنزه و التميز عن عامة الناس.

صيغة المبالغة جهول

نقول هذا جاهل فإن أردت المبالغة في وصفه بالجهل تقول: هذا جهول، وردت هذه الصيغة في القرآن مرة واحدة، قال تعالى﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[1]

إن الله خلق السموات و الأرض و خلق الإنسان وعرض الأمانة على كليهما .مع أن السموات و الأرض خاضعة خضوعا تسخيريا لا إراديا و أن الإنسان مؤهل بعقله و قدرته و إرادته على الاختيار و التمييز و العاقل يدرك أن الأمانة عظيمة ، خاصة أمانة الاستخلاف و الاستعمار في الأرض. فحتى و لو كان قادرا فإنه يخشى على نفسه من ضعف القدرة أو الإرادة أو الميول إلى متطلباته و رغباته .لأجل هذا وصف الله تعالى الإنسان بأنه كان ظلوما جهولا مبالغة في الظلم و مبالغة في الجهل. والجهل أعم من الظلم لأنه قد يجهل الجاهل متعمدا

[1] الأحزاب الآيات 73/72

أو ناسيا أو جاهلا فكل ظلم جهل لأن الظلم خفة و سفاهة و ليس كل جهل ظلما لأنه قد لا يصدر عن قاصد متعمد[1].

فالصيغة جاءت لعموم البشر و لا تعني كل فرد لأن معظمهم يقع في الظلم و التجاوز و كثرة مخالفته و معاصيه و قد ينقسم هذا إلى ثلاثة أصناف:

أ. ظلم الكفار الذي يؤدي للخلود في النار

ب. ظلم عصاة المسلمين مما يؤدي بهم إلى العذاب إن لم يتوبوا و يغفر لهم

ت. من الله عليه بالعصمة من الذنوب و الخطاي أو الآثام هم أنبياؤه و رسله عليهم الصلاة والسلام فالصفة صفة الظلوم الجهول إنما جاءت صفة تبعية للإنسان المجرد الذي لم يحترز عند الموافقة على التكليف على الأمانة حتى و لو أدى أحدهم هذا على أكمل وجه من عباده المخلصين . فالصيغة تعم الكل و يراد بها البعض .و لذلك عقب الله على ذلك" ليعذب المنافقين و المنافقات و المشركين والمشركات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات وكان الله غفورا رحيما" .

و اللام في " ليعذب" لام العاقبة كما يقول علماء النحو أي عاقبة نتيجة ما بعدها، فهذا التعقيب بالعذاب و التوبة يدل على الانحراف البشري و بإمكاننا أن نقول أن إرسال الله رسله تترى جاء لتقويم هذا الانحراف و في نفس الوقت يخرج الأنبياء من هذه الصفة الثنائية الظلوم الجهول لأنهم جاءوا لتصحيحها و تقويمها ولم يكونوا عليهم الصلاة و السلام ليتصفوا بها.

و مهما يكن فإنه في الأخير هناك ثابتون يستحقون الجزاء الحسن هم المؤمنون وهناك مؤمنون كافرون لهم عاقبة السوء و هناك منافقون تعرفوا على الإيمان و لكنهم فضلوا أن يكونوا في زمرة المشركين فهم و إياهم سواء.

المصدر الجماعي جهالة

أورد الدكتور منصور كافي في كتابه التفسير الموضوعي[2] ما يلي:

---

[1] التفسير الموضوعي – الدكتور منصور كافي ص 140.

[2] نفس االمصدر السابق ص141.

لمادة جهالة مصدران: الأول: مصدر قياسي و هو جهل، تقول: جهل، يجهل، جهلا ولم يرد هذا المصدر في القرآن.

الثاني: وهو جهالة، تقول جهل، يجهل، جهلا، و جهالة، ويسمى هذا المصدر مصدرا سماعيا لأن العرب استخدموا هذا سماعا و نقل هذا عنهم و سمع منهم.انتهى

و قد ورد هذا المصدر السماعي أربع مرات في القرآن الكريم، سنتطرق إلى هذه المواضع بحسب موقعها من القرآن من كل سورة .

فقد وردت في السور التالية: جاءت في سورة الأنعام: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤ ﴾[1]

فالآية جاءت مبشرة بالسلام و الأمان، ثم مبشرة بالمغفرة، ثم جعلت المغفرة محصورة لمن عمل السوء بجهالة بشروطها الثلاث: أن يكون مؤمنا و أن يتوب من ذنبه و أن يصلح ما اقترفه. و الجهالة هنا لا تعني دوما جهل المؤمن بالحكم الشرعي كأن يقترف محرما يعتقد أنه مباح قد يكون هذا من الجهالة و لكن تعني كذلك الخفة أو الطيش أو النسيان الذي يصيب المؤمن فيوقع به في المحظور. فهذه الجهالة تزول بالتوبة و الاستغفار و الندم و الإصلاح، أما الكفار فلا توصف أعمالهم بالجهالة فما هم فيه أكبر بكثير من الجهالة.

أما سورة النحل فقد قال الله تعالى:

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ

[1] الأنعام الآية 54

لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾[1]

في هذه الآيات السياق الذي وردت فيه الجهالة سياق تشريعي، حيث بين ما حرم الله تعالى على عباده ثم أعقبه برفع الإثم على من اضطر إلى أكل الحرام، غير باغ و لا عاد ثم عقب على ذلك بالرد على افتراءات اليهود في التحليل و التحريم بغير ما أنزل الله ، و أن الله عاقبهم بأن حرم عليهم طيبات أحلت لهم بظلمهم . خلال هذا التعقيب الذي سلط الله فيه عقوبته على اليهود بين أن المسلم إذا أخطا ووقع بجهالة في سوء فإنه يكفيه أن يتوب و أن يصلح أمره فإن ربه من بعدها غفور رحيم. و لم يعاقبه بمثل ما عاقب اليهود الذين تجنوا على الله . و الفرق واضح بين من يقع في الحرام بسبب لذة أو طيش أو خفة وبين من يزعم أن الله أحل ذلك أو حرمه.

و عند المقارنة بين ما ورد في سورة الأنعام و سورة النحل نجد أن للفظ الجهالة نفس المعنى غير أنها في سورة الأنعام جاءت تأصيلا بأن الله يغفر لمن يقع بجهالة في سوء، و في سورة النحل أفادت نفس المعنى و أضافت فضل المسلمين ورحمة الله بهم على اليهود .

أما سورة النساء ورد فيها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾[2]

تكلمت الآيات عن عقوبة الذين يرتكبون الفاحشة بالإذاية و الإمساك في البيوت. فإن تابا و أصلحا فيجب الإعراض عنهم . ثم أعقب ذلك بأن التوبة الحقيقية هي التوبة لمن يعمل سوءا بجهالة لكنه يستشعر ذنبه وندمه عقب السوء مباشرة، فيتوب و يصلح من قريب دون

---

[1] النحل الآيات 114~119

[1] النساء الآيات 18/17

التمادي في المعصية و هم على الإيمان لا حتى يحضر أحدهم الموت أو يمت و هو كافر. فالملاحظ أن لفظة الجهالة هنا جاءت لتفيد نفس المعاني السابقة في سورة الأنعام و النحل غير أنها هنا خصت التوبة و الإصلاح من قريب فالجهالة في سورة الأنعام جاءت تمييزا و في سورة النساء جاءت توضيحا وبيانا لزمن التوبة وهو أن يكون عقب الذنب مباشرة فعدم الشعور بالذنب هو بحد ذاته ذنب آخر. أما المصرون على المعاصي فهم أقرب من عمل الكفار إذ لا ضمير يردعهم و لا نفس تمنعهم حتى حضور الموت.

الجهالة في سورة الحجرات:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾[1]

بينت الآيات و أمرت المؤمنين بالتريث في تلقي الأخبار و بالتالي في إصدار الأحكام خاصة إذا كان ناقل الخبر فاسقا أو معروف عنه الكذب فإن الاحتياط يكون أوجب و الحكم أبعد و قد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث:" كفى بالمرء أن يحدث بكل ما سمع" وهذا من ساءته أن يوقع أحكاما على الأفراد أو على المجتمعات كما وقع حديث الإفك الذي نقله المنافق عبد الله بن أبي بن سلول في حق عائشة أو في حق المجتمعات مثلما وقع لقبيلة الحارث بن أبي ضرار بسبب ما نقله الوليد بن عقبة حيث نقل خبرا كاذبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنهم منعوه الزكاة و هموا بقتله و لولا تريث النبي صلى الله عليه وسلم و استطلاعات خالد بن الوليد ليلا لأصيب القوم بأذى كبير و هم من ذلك براء.

فالجهالة هنا تعني عدم التريث و التثبت من الخبر الوارد و عدم معرفة ناقل الخبر أكاذب هو أم صادق؟. و هذا من شأنه أن يجر إلى عواقب و خيمة ، أقلها الندم على ما حصل

1 الحجرات: 6

بسبب الأحكام الخاطئة. و الجهالة هنا تعني نفس الجهالة في الآيات السابقات ؛ غير أنها هنا خصت بسوء التلقي في الأخبار الواردة و ما يعقبها من أحكام و عنت، وهي هنا لم تكن مقرونة بالتوبة و لا بالإصلاح و إنما مطلوب فيها التبيُّن و التريث. فالحق هنا حق آدمي قد تنجر عنه دماء وقتل وقصاص. و ليس مثل الخطأ في حق الله تعالى. لذلك وصف الله بعد ذلك المتثبتين من الأخبار اللا متسرعين في الأحكام على الناس. على أنهم هم الراشدون و قد نلخص هذه اللفظة من الناحية الشكلية بما يلي:

1. وردت أربع مرات في القرآن الكريم
2. وردت في سورتين مكيتين هما النحل و الأنعام
3. وردت في سورتين مدنيتين هما النساء و الحجرات
4. جاء ت مجرورة بالباء و هي باء الملابسة و المصاحبة
5. موقع شبه الجملة في الجهالة في المرات الأربع في محل نصب حال أي أن هؤلاء المذنبون متأثرين بحالة الجهالة العارضة التي يمرون بها.
6. جاءت في المرات الأربع عن مسلمين مذنبين يضعفون فيعصون
7. ضمت الآيات الأربع:

أ. تأصيلا أن يغفر لمن وقع في معصية بجهالة

ب. تمييزا أن المسلم مهما وقع في معصية فإنها لا ترقى إلى معصية اليهود الذين يقعون بجهالة أو غير جهالة في الحرام و يقولون أن الله أحل هذا أو حرم هذا.

ت. طالب الله تعالى من يقع بجهالة في سيئة أو خطيئة أن يتوب من قريب فإن الموت أقرب.

ث. حذرت المسلمين من التسرع في الأحكام قبل أن يقع في عواقب وخيمة و ندامة جرت إليها أخبار كاذبة. و بهذا يتضح أنه مهما كان الاشتراك في معنى الجهالة في المواطن الأربع إلا أن التمييز كما أوردنا و التفاوت في عرض الحالات، فسبحان الله الذي أودع كتابه هذه النقاط بكل دقة و إتقان.

الجاهلية في السياق القرآني

الجاهلية اسم مشتق من الجهل و قد وردت الجاهلية أربع مرات في القرآن في سورة آل عمران و سورة المائدة سورة الأحزاب وسورة الفتح و هي سور مدنية كلها، و قبل الوقفة التحليلية مع هذه الآيات نقف لنتابع التطور الدلالي للفظ الجاهلية بين الجاهلية العربية و القرآن.

تابع الدكتور عودة أبو عودة هذا التطور في كتابه" التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي و لغة القرآن" فاستخلص معاني الجهل في اللغة و هي:

1. الجهل ضد العلم
2. الجهل: الضياع و التيه
3. الجهل: السفه و الغضب و الاعتداء[1]

وعندما انتقل أبو عودة إلى القرآن و الحديث عن الجهل و الجاهلية في آياته وجد أن القرآن تفرد باستعمال الجاهلية فقال:[ولم أجد في الشعر الجاهلي هذه الصيغة و هي صيغة أوجدها القرآن وانتشرت فيما بعد لتكون علما على الفترة التي سبقت نزول القرآن، قال السيوطي: في "المزهر": [قل ابن خالويه: إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة و المنافق اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية] [2]

قال أحمد أمين: [و الجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم و لكن من الجهل الذي ضد السفه و الغضب و الأنفة جاء في حديث الإفك " ولكن اجتهلته الحمية" إن حملته الأنفة و الغضب على الجهل، و في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر و قد عير رجل بأمه:" " أي فيك روح ا « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ [3]».

فترى من هذا كله أن الجاهلية تدل على الخفة و المفاخرة و هي أمور أوضح ما كانت في الحياة العربية قبل الإسلام في العصر الجاهلي] [4]

---

1 التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ص144

2 نفس المصدر ص146، 148

3 صحيح مسلم، باب إطعام المملوك، ج5 ص92

4 فجر الإسلام – أحمد أمين ص70

1: ظن الجاهلية

قال الله تعالى في سورة ءال عمران: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾[1]

بعد ما حدث للمسلمين في غزوة بدر من انتصار باهر، وما انجر عنه من بعض الغرور الذي استولى عليهم في الغزوة اللاحقة التي هي غزوة أحد. و خالف بعض الصحابة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم في حماية ظهورهم، فوقعوا في هزيمة كادت أن تستمر، كيف لا و هم بين فكي رحى مطارد عائد و غادر مهاجم فكانت درسا للصحابة في اتخاذ الأسباب اللازمة. وطاعة القيادة الدائمة وألا مجال للاجتهادات الفردية في هذا المجال.

وفي خلال هذه المحنة تتفاوت العقول و القلوب، من ثابت من المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة الخطر، ومن عازم على الموت على الرغم من إشاعة قتل النبي صلى الله عليه

---

1 آل عمران:152-154

وسلم قائلا: "موتوا على ما مات عليه رسول الله" ومنهم من أهمتهم أنفسهم. وقد يتخللهم حتى بعض المنافقين يقولون هل لنا من الأمر من شيء و يكنون في أنفسهم إجابتهم عن هذا السؤال: " لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا هاهنا " غير مدركين أنهم بمعية الله أنهم مؤمنون أنهم رفقة نبي مرسل، أنهم من انتصروا من غير عدة و لا عتاد في غزوة بدر منذ شهور. كل هذه الهواجس و المخاوف و التردد و القلق و قلة اليقين في الله ، عبر الله سبحانه و تعالى عنها بلفظة الجاهلية" يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية"

فكلُ ظن بالله غير الحق هو ظن جاهلية. فالموت لا يتعدد. و هو حق ، ومن لم يمت بالسيف في أحد مات بغيره و لو في مضاجعهم أ و في بيوتهم و عند أزواجهم و ذريتهم حيث الأمان و العافية فعقب عن هذا بقوله: ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤ ﴾[1] يبتلي ما في صدوركم من صبر و سعة أفق وما في قلوبكم من يقين و اعتقاد بأن الله هو الناصر فظن الجاهلية هنا يعني الظن المجرد عن معية الله فكل من لا يدرك أن الله معه فقد ظن ظن الجاهلية و كل من يعتقد أن النصر ليس كله من عند الله فقد ظن ظن الجاهلية و كل من يظن أن أ سباب الموت هي التي تقضي فقد ظن ظن الجاهلية و الحقيقة القرآنية فندت هذه الظنون الخاطئة التي كانت تسود في عصر ما قبل الإسلام فبمجرد نزول الوحي في الوهلة الأولى كان شعار الإسلام أن لا شيء يتم إلا بمعية الإسلام فأنزل الله " إقرأ باسم ربك" فربك في السلم و ربك في الحرب و ربك في السلم و ربك في العلم و ربك في الصيد و ربك في النحر و هذه هي حياة المسلم يعيش بربه و مع ربه في كل حركاته و سكناته أما من اختار الحقيقة القرآنية و لم يستول عليه ظن الجاهلية فقد منحه الله الأمن و السكينة و الطمأنينة حتى جاء نصر الله و قصة أحد معروفة و تتبع النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين في هذه المعركة حتى حمراء الأسد شاهد على ذلك رغم خذلان ضعاف الإيمان و المنافقين الذين ضمتهم هذه اللفظة العجيبة " ظن الجاهلية".

[1] آل عمران الآية 154

2: حكم الجاهلية

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]

يقول الدكتور منصور كافي: [تتحدث الآية الأخيرة عن حكم الجاهلية و تضعه في مقابل حكم الله و تنكر عن من طلب حكم الجاهلية و تقرر أنه ليس أحسن حكما من حكم الله ...و قد أضافت الآية الحكم إلى الجاهلية (حكم الجاهلية) وهذه الإضافة تدل أن الحكم من غير ما أنزل الله مظهر من مظاهر الجاهلية و أن الجاهلية قد تكون في الحكم التشريعي و القانون و القضاء و الإدارة] (2)

و يقول سيد قطب رحمه الله:[3] إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص. فالجاهلية كما يصفها الله و يحددها و هي حكم البشر للبشر لأنها هي عبودية البشر للبشر و الخروج من عبودية الله ورفض ألوهية الله و الاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر و بالعبودية لهم دون الله، إن

---

1 المائدة: 48-50

2 التفسير الموضوعي ص154

3 سيد قطب رحمه الله تعالى رجل أدب من نوع رفيع، ولكنه ليس فقيها، فإذا اعتبرنا هذه المصطلحات صادرة عن فقيه، فهذا يعني أن المجتمعات الإسلامية اليوم كافرة. والأنظمة كافرة، وقد جر هذا الفهم على الكثير من الشباب. وهذا الوهم الذي طرأ من خلال هذه المصطلحات تطرق إليه الكثير من الدعاة والعلماء، ردا وتوضيحا. وكان أبرزهم علي جريشة في كتاب مشهور مفهوم الجاهلية.

الجاهلية في ضوء هذا النص ليست فترة من الزمن و لكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع يوجد بالأمس و يوجد اليوم ويوجد غدا، فيأخذ صفة الجاهلية المقابلة للإسلام و المناقضة له و الناس في أي زمان و في أي مكان، إما أنهم يحكمون بشريعة الله دون فتنة عن بعض منها و يقبلونها و يسلمون بها سلما فهم إذن في دين الله و إما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر في أي صورة من الصور و يقبلونها فهم إذن في الجاهلية[1].

بعد أن ذكر الله سبحانه و تعالى أنه أنزل الكتاب بالحق و مهيمنا على الكتب السماوية السابقة و طالبهم بأن يحكم بينهم بما أنزل الله. و أن هذه شرعة و منهاج يختلف اختلافا كليا عن التشريعات السابقة و حذر نبيه أن يفتنوه ببعض الاقتراحات و الحلول التي لا تستند إلى شرع بل تستند إلى الهوى و حب الفسوق. و العجيب في الأمر أنها تكررت مرتين بصيغة واحدة في هاتين الآيتين القصيرتين كلاهما أمر و نهي.

1. وردت كالتالي: فاحكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم
2. و احكم بينهم بما أنزل الله و احذرهم أن يفتنوك

فكان الأمر الأول: أن احكم بينهم بما أنزل الله و عدم إتباع أهواءهم مظنة أن يكون هواهم مستندا إلى التوراة و الإنجيل أو العرف السائر في الجاهلية و لذلك أعقبه الله بقوله:" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا".

أما الأمر الثاني وهو بأن يحكم بما أنزل الله و أن لا يتبع أهواءهم مخافة أن يكون مجرد اتباع هوى و فسوق و عدم رضا بحكم الله، لذلك عقبه الله تعالى بقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ ومرد ذلك إلى قلة اليقين وأن أحسن الحكم هو حكم الله. فكانت النتيجة كلاهما هوى الأول المستند إلى النصوص القديمة و الهوى الثاني المستند إلى مجرد الهوى ومحاولة الفسوق. هو حكم الجاهلية و بهذا نستخلص أن كل من يبغي حكما غير حكم الله مهما كان مصدره هو حكم جاهلية. أما الأحكام الوضعية التي ترتكز على أصول الشريعة و تقدر مصالح العباد و تدرأ المفاسد كقوانين المرور مثلا أو التنظيمات الإدارية و التوثيق فإن ذلك من شرع الله ما لم يخالف نصا صريحا و أصول الفقه في درء المفاسد و جلب المصالح غنية في هذا الباب .

---

1 في ظلال القرآن –سيد قطب 904/2

3: جاهلية الأخلاق

قال الله تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾[1]

جاء الإسلام لينظم أمور الحكم كما سبق في المبحث السابق بنفس الوتيرة التي ينظم بها الجانب الأخلاقي في جميع المجالات ، ف ﴿ من ناحية السلوك، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ ﴾[2] وتحدث عن اللباس فقال : ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[3]، و أمر النساء بالحجاب كما جاء في سورة الأحزاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾[4] وسورة النور ، وخص هنا نساء النبي لأنهن قدوة لباقي النساء كونهن مختارت من الله تعالى أن يكن زوجات نبي بشرط التقوى فأمرهن بالمواصفات التالية:

1. التقوى: و التقوى هو المصدر الأول الذي إن توفر كان من السهل أن تحقق بعده المطالب الأخرى.

---

1 الأحزاب: 32-34

2 الإسراء: 37

(3)الأعراف: 31

4 الأحزاب الآية 59

2. عدم الخضوع بالقول: إلا أن يكون قولا معروفا. و ذلك أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الناس إليه. و هم مظنة علمه فقد يرجع إليهم أو يعود إليهم السائل عند الضرورة من الصحابة رضوان الله عليهم. فطلب منهم احتياطا أن يتكلمن بقدر الحاجة و بدون لحن من شأنه أن يغري بعض مرضى القلوب. فالأنثى تبقى في عين الرجل أنثى ما لم يستحضر خوف الله أو حرمة النبي صلى الله عليه وسلم.
3. القرار في البيت: وهذا من شأنه أن يصونهن من أعين الناس و ألسنتهم. فإذا كانت الضرورة تستدعي خروجهن فتكون بحجاب شرعي .وتكون بذلك خارج البيت كداخله و بدل الخروج عليهن استغلال الوقت في إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و طاعة الزوج و أي زوج، إنه رسول الله الذي تتلى في بيته آيات الله و حكمة رسول الله ، أما الفاصلة" إنه كان لطيفا خبيرا"، فلطفه يستدعي أن يذهب الرجس عنهم و يطهرهم تطهيرا من كل عين حاسد أو لسان جارح . و أما خبرته فلعلمه أن هناك من في قلبه مرض يؤدي به إلى الطمع أو التهمة مثلما حدث في غزوة بني المصطلق في حديث الإفك . خلال هذا كله توسطت هذه اللفظة لفظة الجاهلية لقوله:" ولا تبرجن تبرج الجاهلية " بمعنى الإقلاع الكلي عن كل ما من شأنه أن يجعل أي صفة للمرأة المسلمة خاصة نساء النبي تشبه أي صفة للمرأة في عصر الجاهلية. و بهذا يكون الشبه بقدر الأوصاف فإذا اكتملت الأوصاف كان التطابق و كان لا فرق بين المرأة في الجاهلية و في عصر الإسلام .و نساء النبي منزهات عن ذلك و ربما كان التبرج أشد المظاهر في فسوق المرأة، وتشبهها بصفات المرأة الجاهلية فالتبرج يعني التعري و التعطر و إظهار الزينة و كشف العورة و المفاتن أمام الرجال فكانت ألصق بلفظ الجاهلية.

و الخلاصة أن كل من تحن إلى هذه الصفات بعيدا عن الحجاب الشرعي هي امرأة فيها صفة من صفات المرأة جاهلية أقلت أم أكثرت.

وقفة مع كلمة الأولى: متى بدأت الجاهلية

إن الجاهلية هي من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد آدم عليه السلام[1]

1 التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – صلاح الخالدي ص154

1. ذهب بعضهم إلى أن "الأولى" لا يستلزم وجود جاهلية ثانية، قال الزجاج: إنما قيل الأولى لأن كل متقدم أول و كل متقدمة أولى، فكل تأويل جاهلية أولى أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
2. أن هذا يستلزم وجود جاهلية ثانية بعد الإسلام قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن عباس: أرأيت قول الله تعالى لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم:" لا تبرجن تبرج الجاهلية" هل كانت جاهلية واحدة فقال ابن عباس إن كانت من أولى إلا و لها آخرة، فقال عمر: لله درك يا ابن عباس[1]
3. أما سيد قطب رحمه الله فيجزم بأن المرحلة التي يعاصرها الآن هي ذاتها الجاهلية الثانية و لهذا يقول سيد قطب رحمه الله: [ويشير النص القرآني إلى تبرج الجاهلية التي يرتفع عنها عن تجاوز عصر الجاهلية و ارتفعت تصوراته و مثله و مشاعره عن تصورات الجاهلية مثلها و مشاعرها و الجاهلية ليست فترة معينة الزمان إنما هي حالة اجتماعية معينة ذات تصورات معينة للحياة و يمكن أن توجد هذه الحالة و أن يوجد التصور في أي زمان ومكان فيكون دليل على الجاهلية حيث كان و بهذا المقياس تجد أننا نعيش الآن فترة جاهلية عمياء غليظة الحس حيوانية التصور هابطة في درك البشرية إلى حضيض مهين] [2] و الخلاصة التي نخرج بها بعد هذه الجولة من قوله تعالى:" ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" نهى النساء عن التشبيه بنساء الجاهلية الأولى في التبرج و السفور وهذا دليل على أن ممارسات الجاهلية الأولى قد تعود مرة ثانية و أن النساء قد يعشن في جاهلية ثانية بعد انقضاء قرون على الجاهلية الأولى التي خلصهن منها الإسلام وعندها يكن في رجعية و تخلف و بدائية.

و الجاهلية هنا جاهلية خلق و سلوك و تصرف جاهلية تتمثل في التبرج و السفور و التعطر و التزين و الاختلاط و الإغراء وهذه الجاهلية تصرفات قائمة على الجهل و الجهل نقيض الحلم و الرشد و الاتزان و هو بمعنى الخفة و الطيش و السفاهة[3].

---

1 زاد المسير في علم التفسير –ابن الجوزي 380/6

(3)التفسير الموضوعي بين النظري و التطبيق –عبد الفتاح الخالدي ص162، 164

وبهذا الفهم لسيد قطب –رحمه الله – وقع الكثير في انحراف شديد في تصورهم المجتمع المعاصر فانجر عليه جاهلية في الاعتقاد فطفا على الساحة من يكفر المجتمع مع العلم أن تفسير سيد قطب تفسير أدبي و هو أديب ناقد بارع و أن أحكامه هنا ليست أحكاما فقهية. بل هي محاولة منه بإبراز الشبه الكبير بين ما آلت إليه المجتمعات الإسلامية المعاصرة من تشبه في الجاهلية الأولى.

قد يكون لنا طرح آخر، أنه قبل الإسلام كانت هناك جاهلية أولى و جاهلية متأخرة و ربما ساد فيه تبرج فاحش فسجلها القرآن كتاريخ به فترة أولى و له فترة ثانية لأنه لم يعرف عن العرب أن نساءهم كانت متبرجة بل كان حرصهم على عفة المرأة إلى حد وأدها إلا ما كان من فئة البغايا و ما شابهها. و خلاصة القول أن الحفاظ على الهوية و الالتزام بالدين يقتضي المغايرة و العفاف عن كل ما من شأنه أن يثير الريبة أو الشك إلى أفراد المجتمع المسلم خاصة المرأة.

4: الجاهلية بمعنى الحمية و العصبية

قال الله سبحانه و تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

نزلت هذه الآيات من سورة الفتح في أعقاب صلح الحديبية الذي عقده الرسول صلى الله عليه وسلم من السنة السادسة من الهجرة. و أن الله لم يرد نشوب القتال بينهما بسبب وجود رجال مؤمنين و نساء مؤمنات في مكة، مستخفين بإيمانهم لا يعرفهم حتى المسلمون. و قد عبر

1 الفتح: 24-26

الله عنها بقوله: "فتصيبكم منهم معرة" كانت هذه حكمة الله في كف كل من الطرفين عن الاقتتال و على الرغم من قدرة المسلمين على دخول مكة إلا أن الله أوقع الأنفع وكان الواجب على كفار مكة أن يقفوا إحدى المواقف التالية:

أولا: أن يفسح لهم الطريق للحج فهم يعظمون البيت الحرام و ليس من عادتهم أن يمنعوا من قصد البيت من وصوله بل كان عادتهم عمارة البيت و سقاية الحجيج

ثانيا: أن يعتبروا من هذا الرجل الذي كفروا بدينه و الذي خرج مهاجرا متسللا بالليل وهزمهم في بدر و في أحد و صار له شأن عظيم و لا أدل على ذلك من هذه الجموع المهللة و المكبرة و الملبية في هذا اليوم.

ثالثا: المعاهدة تكون على الأقل عادلة لكنها كانت جائرة و بإملاء اتهم هم .

هذه النقائص الثلاث عبر عنها الله سبحانه و تعالى بأن لها دافع واحد اسمه حمية الجاهلية قال البخاري:" وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله و لم يقروا بسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت"[1]

و الحمية هي كما يقول الراغب : الحمى: الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية كالنار والشمس، ومن القوة الحارة في البدن و عبر عن القوة الغضبية إذا ثارت و كثرت بالحمية فقيل: حميت على فلان أي غضبت عليه و منه قوله تعالى:" حمية الجاهلية"[2]

أما الإمام الطاهر بن عاشور فيرى أن الحمية: الأنفة، أي الاستنكاف من أمر لأنه يراه غضاضة عليه. و أكثر إطلاق ذلك على استكبار لا مجيب له. فإن كان له موجب فهو إيباء الضيم ، ولما كان منعهم الناس عن زيارة البيت بلا حق لأنه بيت الله لا بيتهم ،كان داعي المنع مجرد الحمية ، ولذلك أضاف الله الحمية إلى الجاهلية و السكينة إلى الله. ومنه يتضح أن السكينة عكس الحمية ، فالسكينة طمأنينة في القلب و رضا بقدر الله . و الحمية طرب واضطراب يصيب صاحبه فلا يعقل ماذا يفعل و هو ما حدث لسهيل بن عمرو وهو يملي المعاهدة الجائرة .و بهذا يتضح أن آثار الجاهلية من أنفة و غضب و حب انتقام كانت مستمرة في نفوس هؤلاء لأن نور الإيمان لم يسطع بعد في عقولهم و قلوبهم .[3]

---

1 أخرجه البخاري- كتاب الشروط رقم2731

2 المفردات- الراغب الأصفهاني ص258

3 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر والتوزيع1984،تفسير سورة الفتح

5 : فروق تفاوت الجاهلية في المواضع الأربعة:

أولا: الجاهلية مصطلح قرآني ومن مبتكرات القرآن التي استعملها أول مرة رغم أن مادة جهلة وردت في الشعر الجاهلي مثل قول عمرو ابن كلثوم في نونيته:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

ونلاحظ أنها تكررت في بيت واحد ثلاث مرات.

واستعملها النبي صلى الله عليه وسلم حين زجر أبا ذر الغفاري حيث عير بلال بن رباح بقوله: (يا ابن السوداء) لأبي ذر الغفاري:" إنك امرؤ فيك جاهلية"

ثانيا: لم ترد لفظة الجاهلية في القرآن المكي و ذلك لأن زمن مكة كانوا لا زالوا مخالطين لهم، أما في المدينة المنورة فسار المجتمع المسلم متميزا عن غيره فكانت هذه المصطلحات تفضح المعسكرات المعادية سواء في مكة أو في المدينة مع المنافقين و الأعراب .

ثالثا: الجاهلية صفة مأخوذة من اسم الفاعل الجاهل و ليس من الجهل و ارتباطها باسم الفاعل و ليس بالمصدر دليل أنه ينظر إلى أصحابها و أشخاصها الذين يحملون التصورات الجاهلية

رابعا: اختلفت معاني الجاهلية من موضع إلى آخر في السور الأربعة:

- ففي سورة آل عمران جاهلية ظن و سوء اعتقاد ((يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية))
- وفي سورة المائدة جاهلية حكم وتشريع وحب الفسوق (أفحكم الجاهلية يبغون)
- في سورة الأحزاب جاهلية تبرج و سلوك وسفور للنساء أمام الرجال((ولا تبرجن تبرج الجاهلية).
- وفي سورة الفتح جاهلية حمية و ارتباط ((إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)

خلاصة الجولة مع المصطلح:

من خلال التعرض إلى مظان هذا المصطلح في الحقل القرآني، تبين أن للألفاظ معاني تختلف باختلاف المواقع والمواقف، وأن التعامل مع القرآن الكريم ينبغي أن يكون وفقا لهذه المعاني وحسب المواقع والمباني، فلكل جملة مبنى ومعنى من خلالهما يتضح مراد هذه الألفاظ

الاصطلاحية، وإلا ما كان ينبغي أن تُنسب نفس اللفظة (الجهل) إلى الأتقياء والأشقياء على حد سواء.

الفصل الثالث

العمل التطبيقي على بعض السور القرآنية

التفسير الموضوعي للسورة القرآنية الجامع فيها الهدف (الحاقة ستتحقق)

المبحث الأول

التفسير الموضوعي لسورة الحاقة

المطلب الأول : بين يدي السورة، الوسائل والتحليل

المطلب الثاني: تقسيم السورة موضوعيا وموقعها بين السور المجاورة

المبحث الثاني

التفسير الموضوعي للسورة

المطلب الأول: تلخيص موضوع السورة

المطلب الثاني: حسن مجاورة هذه السورة مع السورتين اللاحقتين

الفصل الثالث

العمل التطبيقي على بعض السور القرآنية

التفسير الموضوعي للسورة القرآنية الجامع فيها الهدف (الحاقة ستتحقق)

المبحث الأول: التفسير الموضوعي لسورة الحاقة

المطلب الأول: بين يدي السورة / الوسائل والتحليل

لعل هذا أهم مبحث في هذا العمل إذ يعد الجانب التطبيقي لكل ما سبق ذكره ؛ وإلا كان جعجعة بلا طحين، وإذ نباشر هذا التحدي الصعب لابد من اصطحاب كل الوسائل التقنية التي أسسنا عليها هذه النظرية. و التي يجدر بنا أن نوجز مراحل العمل بها في النقاط التالية:

- استلهام المعرفة والفتح من الله تعالى بعد طهارة البدن والنفس من العليم الخبير

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[1]

فقد تغني هذه الخطوة عن باقي كل الخطوات

- الاستعانة بسبب النزول إن صح أو ووجد وما توصل إليه المهتمون بهذا الجانب من التفسير الموضوعي.

- معرفة بعض الكلمات المفتاحية خاصة في أوائل السور فهي من أكبر النسب في معرفة محورها الأساسي كالحفظ في سورة الطارق(إن كل نفس لما عليها حافظ).

---

[1] التحريم الآية 3

– إيجاد زمر لغوية أو ما أطلقنا عليه عائلة المفردة الأكثر تواجدا في السورة القرآنية ؛ وتشمل المرادفات والأضداد وتقارب المعاني .

–الحقل المشترك و هو خلاف العائلة اللغوية إذ يشمل موضوع معين كالجهاد مثلا فإنه يضم: (القتل؛ الأسر، المعركة، الخيل، السيف، الرماح، الشهيد، الموت....).

– إيجاد العلاقة بين افتتاحية السورة وخاتمتها فإن هذا كذلك من أيسر الطرق الموصلة إلى هدف السورة القرآنية. يقول الدكتور عبد الله درّاز . رحمه الله . و هو أوائل من خصّ السورة القرآنية بوحدتها الموضوعية:" ولقد وضح لنا أن هناك تخطيطا واضحا حقيقيا ومحددا يكون من ديباجة وموضوع وخاتمة فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة ، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة "[1]

–الاستعانة بالأمثلة و الشواهد التضمينية التي تضمنتها السورة القرآنية بكيفية: (كيف و لماذا) بمعني لماذا خص هذا النبي – مثلا – دون غيره في هذه السورة أو هؤلاء القوم دون غيرهم؟.

–النظرة الشاملة للسورة المراد دراستها بعد قراءة تعبدية متأنية في جو وظروف ملائمة .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[2]

–اليقين بأن هذا كلام الله تعالى فبدون هذا الضابط لا يمكن لمن لا يؤمن بأنه من عند الله تعالى أن يتوصل إلى شيء من هذا رغم اتخاذ الأسباب والوسائل السابقة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[3] .

---

[1] مدخل إلى القرآن الكريم، الدكتور محمد عبد الله درّاز ص 119

[2] النساء الآية 82

[3] فصلت 44

و ما أجمل كلام الأستاذ سيد قطب . رحمه الله . في تفسيره لهذه الآيات حيث يقول:"..إن هذا الكتاب هدى للمؤمنين وشفاء .فقلوب المؤمنين هي التي تدرك طبيعته وحقيقته ، وتهتدي به و تشتفي، فأما الذين لا يؤمنون فقلوبهم مطموسة، لا تخالطها بشاشة هذا الكتاب، فهو وقر في آذانهم، وعمى في قلوبهم، وهم لا يتبينون شيئا، لأنهم بعيدون جدا عن طبيعة هذا الكتاب وهواتفه ويجد الإنسان مصداق هذا القول في كل زمان و في كل بيئة. فناس يفعل هذا القرآن في نفوسهم فينشئها إنشاء، ويحييها إحياء، ويصنع بها ومنها العظائم في ذاتها وفيما حولها .

وناس يثقل هذا القرآن على آذانهم وعلى قلوبهم ،ولا يزيدها إلا صمما وعمى وما تغير القرآن ولكن تغيرت القلوب وصدق الله العظيم "[1]

و يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ في كتابه بحوث في أصول التفسير: "إن هذه الحقيقة لا بد من وضوحها لمن يريد أن يتذوق حلاوة القرآن و يغوص في بحار أسراره ويلتقط كريم دره.إنه عندئذ يستطيع أن يفسر القرآن أجود تفسير، وهذا أصل مهم من أصول التفسير."[2]

-التعرف على موقع السورة من السور المجاورة والعلاقة بينهما. وهذا جانب لطيف جدا ، وقلما يدرك ، ومن أمثلة ذلك السر في موقع السورة المكية التي كانت من أوائل ما نزل من القرآن الكريم وهي سورة (الكافرون) بجوار سورة (النصر) والتي كانت من أواخر ما نزول من القرآن الكريم. فبعد مضي عقدين من الزمن يتجاور النصر مع الصبر فسبحان من أنزل هذا الكتاب ولم يجعل فيه عوجا قيما لينذر الناس.

-الاستعانة بالفواصل والنغمة الصوتية، إذ لكل سورة مستوى صوتي يختلف اختلاف

---

[1] في ظلال القرآن - 139/24

[2] بحوث في أصول التفسير- الدكتور محمد بن لطفي الصباغ - المكتب الإسلامي - بيروت،الطبعة الأولى،1988/1408، ص31

كليا عن باقي السور الأخرى، و هذا من شأنه يعطي توجيها مساعدا لنوعية

الموضوع من حيث الشدة والعنف، أو الخفة واللين ، وهذا الاستهلال النغمي من شأنه كذلك أن يكون موضوعا قائما بذاته في العديد من السور التي استوقفتنا ولننظر إلى الفرق بين – مثلا– قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[358]

وبين قوله تعالى ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[359]

فالنبرة والنبرة مختلفتان، وجو السورة بذلك يختلف، وعليه تختلف الموضوعات .

والأعجب من ذلك حين يتفق لبعض السور أن تشتمل على النوعين معا.

– معرفة المشكل لازمة للمفسر، إذ هناك ما يوهم اللبس؛ إما موقعا وهو الذي يهمنا في هذا المجال، أو تعارضا. يقول محمد بن لطفي الصباغ: "وقد انتبه العلماء إلى هذا الموضوع في القديم والحديث، وكان من ذلك تأويل مشكل القرآن، وقد ألف فيه ابن قتيبة [360]، أصول التفسير و قطرب [361]، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، [362].وفصل القول فيه على نحو جامع السيوطي، وذلك في النوع الثامن والأربعين في مشكله، وموهم الاختلاف والتناقض من كتاب الإتقان في علوم القرآن، و من قبله الزركشي في البرهان."[363]

العرض التطبيقي

---

[358] الفرقان الآية12

[359] ق الآية33.43.35

[360] وذلك في كتابه"تأويل مشكل القرآن"

[361] ذكر ذلك السيوطي في مطلع النوع الثاني والأربعين من كتابه الإتقان 27/2

[362] وذلك في كتابه؛"دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"وفيه ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التي يتوهم فيها التعارض في القرآن العظيم, مرتبا لها بحسب ترتيب السور, يذكر الجمع بين الآيتين غالبا في محل الأولى منهما وربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة وربما يكتفي بذكر الجمع عند الأولى وربما يحيل عليه عند محل الأخيرة ولاسيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يتوهم تعارضه إلا تلك الآية فإنه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدم.

[363] بحوث في أصول التفسير ،محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي _ بيروت_ الطبعة1، ص262

في هذا المبحث ارتأينا أن نبدأ بدراسة تطبيقية حول سورة الحاقة ، إذ هي من السور التي تضم المعاني الكثيرة والأساليب المتنوعة والنقلات السريعة. و هو ما يسهل علينا تطبيق كل ما مضى من وحدات التناسب الموضوعي الذي نحن بصدد تأسيسه.وتتضح العلاقة بين أولها وآخرها جلية واضحة [364]. وبعد هذه السورة ننتقل إلى سور أخرى تختلف موضوعا وأسلوبا وذوقا عن هذه السورة.

عرض السورة كاملة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ

[364] يطالع كتاب:مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع،للحافظ جلال الدين السيوطي،مكتبة دار المنهاج،الرياض،الطبعة الأولى 1426

إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢ [365]

تعريف بسورة الحاقة

سورة الحاقة سورة مكية آياتها كلها. عدد آياتها اثنتان وخمسون آية، سابقتها سورة القلم باثنتين وخمسين آية كذلك؛ ولاحقتها سورة المعارج بأربع وأربعين آية وكلاهما مكية.

جاءت تعاريف للسورة تختلف من مفسر إلى آخر حسب تصوره للمفهوم العام للسورة.

يقول صاحب الدرر [366] "مقصودها تنزيه الخالق ببعث الخلائق لإحقاق الحق وإزهاق الباطل بالكشف التام لشمول العلم في الكليات والجزئيات وكمال القدرة على العلويات والسفليات وإظهار العدل بين سائر المخلوقات ليميز المسلم من المجرم بالملذذ والمؤلم ،وتسميتها بالحاقة في غاية الوضوح في ذلك وهو أدل ما فيها"[367].

ونلاحظ أنه أشار إلى موضوع السورة كما نرى لاحقا بإذن الله تعالى.

ويقول سيد قطب صاحب الظلال: "هذه سورة هائلة رهيبة، قل أن يتلقاها الحس إلا بهزة عميقة، وهي منذ افتتاحها إلى ختامها تقرع هذا الحس، وتطالعه بالهول القاصم، والجد الصارم، والمشهد تلو المشهد،كله إيقاع ملح على الحس، بالهول آنا وبالجلال آنا، وبالعذاب آنا،

---

[365] سورة الحاقة كاملة

[366] برهان الدين البقاعي ص119/ج8

[367] نظم الدرر ص119/ج8

وبالحركة القوية في كل آن....ويبرز هذا المعنى في اسم القيامة المختار في هذه السورة والذي سميت به السورة(الحاقة) .[368]

فنلاحظ أن سيد . رحمه الله . يشير إلى الموضوع لكن اهتمامه الأكبر هو الإيقاع والتصوير والرهبة تتوسطها الرحمة.

أما باقي المفسرين فهمهم التحليل والمفردات وبيان الغريب.

وقبل الولوج الموضوعي لتفسير هذه السورة، يتحتم علينا تلخيص هذه السورة وإعطاء نبذة تحليلية حولها حتى يتسنى لنا تحديد موضوعها للقارئ الكريم دون عودته إلى التفاسير التحليلية. وطريقتنا في ذلك انتقاء الواضح والمشهور من التفاسير المبسطة.

والتفاسير التحليلية والأدبية و الإشارية أو الصوفية المعتدلة [369]،كلها بتعانقها وتكاملها تكون موارد لموضوع السورة، وقوالب يتضح من خلالها السياق العام، إذ تعد الوحدات البنوية التي يتشكل منه هيكلها. فبات من واجبنا التمهيد بهذا النوع من التفسير التحليلي وحتى البياني إن استدعى الأمر ذلك.

التفسير التحليلي لسورة الحاقة

سورة الحاقة من السور المكية، تعالج كباقي السور المكية موضوع العقيدة، من توحيد وإيمان بالغيب والبعث والجزاء.آياتها اثنتان وخمسون آية.

أجمع المفسرون على أن المقصود بالحاقة يوم القيامة، لكن لماذا خصت بهذه التسمية، فيه مسائل.

أحدها: أنها جاءت من لفظة "الحق" فالحاقة هي الساعة الواجبة الوقوع

ثانيها: أنها التي تحق فيها الأمور أي يتعرف على الحقيقة فيها.

---

[368] في ظلال القرآن 6/3674ج

[369] أسس الصوفيون تفسيرهم على أسس شرعية وآيات قرآنية وأحاديث نبوية ومأثورات واردة عن الصحابة الكرام، ومن أدلتهم "فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا".وفقه الحديث ليس ما يتبادر إلى الذهن، وإنما هو المعنى العميق لديهم، والحديث الذي رواه أبو الدرداء "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل من القرآن وجوها"ووجدوا دعامة قوية في حديث البخاري عند تفسير ابن عباس المشهور لسورة النصر أمام أشياخ بدر بأنه دنو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن ظاهر السورة لا يدل على ذلك.

ومن هؤلاء وأقدمهم السهل التستري .330. ينقل فيه أقوالا لجعفر الصادق، وابن عطاء الله السكندري، والفضيل بن عياض، ومنهم محي الدين بن عربي 560.

ثالثها: أنها ذوات الحواق من الأمور العظام من جزاء وعقاب

رابعها: وهو قول الليث النازلة فلا كاذبة لها.

خامسها: قال الأزهري والذي عندي في (الحاقة) أنها سميت بذلك لأنها تحق كل محاق في دين الله بالباطل أي تخاصم كل مخاصم وتغلبهم. من ذلك قولك حاققته فحققته أي غالبته فغلبته[370].

وهذه التعريفات كلها بإمكاننا الجمع بينها مع أننا تغاضينا عن غيرها والتي تبلغ حوالي عشر تعريفات. فالحاقة مشتقة من الحقيقة وبالتالي فهي اليوم الذي تحق فيه أمور الغيب،كلها أمام المكذبين حتى يتأكدوا من صدقها،مصداق ذلك قوله تعالى:

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[371]

ويطمئن المؤمنون إلى إيمانهم قال تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[372]

---

[370] يراجع التفسير الكبير للفخر الرازي29/102

[371] الصافات: 11-24

[372] الأعراف:الآية 43

(الحاقة) مرفوعة بالابتداء وخبرها (ما الحاقة) وأصل الحاقة، ما هي؟ أي أي شيء هي؟ تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول ونظيره قوله تعالى (القارعة ما القارعة)[373]

أما قوله (وما أدراك) أي شيء أعلمك و (ما الحاقة)أي لا علم لك بكنهها ومدى عظمتها و(وما) في موضع الرفع على الابتداء. و (أدراك) معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام.

"كذبت ثمود وعاد بالقارعة "فالقارعة هي التي تفزع الناس بالإفزاع و الأهوال.[374]

الطاغية: هي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة أسكنتهم.[375] وهو قول قتادة وابن جرير.

"صرصر عاتية" أي باردة، قاله قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري

عاتية أي شديدة الهبوب.

"صرصر"شديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كأنها التي تكرر فيها البرد، وأما العاتية فإن كان مصدرها من العتو الذي هو العصيان استنادا إلى الحديث النبوي الشريف (طغى الماء على خزنته يوم نوح، وعتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن له عليها سبيل). وإما بمعنى العتو الذي هو بلوغ الشيء وانتهاؤه، كقولنا عتا النبت إذا بلغ منتهاه وجف.ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾[376]

سخرها عليهم، أي أقاعها وسلطها وأوقعها عليهم.

حسوما، أي كوامل متتابعات مشائيم، قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم: حسوما متتابعات ومن ذلك سمي السيف حاسما؛ لأنه يحسم العدو عما يريد.

ويدل على ذلك من القرآن: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[377].

---

[373] سورة القارعة الآية 1.2

[374] التفسير الكبير،29/103ج

[375] تفسير ابن كثير55/ج7

[376] مريم الآية 8

[377] فصلت الآية16

فهل ترى لهم من باقية، أي أهلكوا وبادوا عن آخرهم.

المؤتفكات، وهم من كذبوا الرسول لوط – عليه السلام – و هي عدة قرى.

نفخة واحدة، أي نفخة الصعق؛ حين يصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله تعالى.

واهية، أي تنشق السماء عن المجرة، قال ابن جريج: هي كقوله تعالى: "وفتحت السماء فكانت أبوابا"[378].

و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ، أي من الملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش؛ ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام".وإسناده جيد ورجاله ثقات[379].

هاؤم..اقرءوا .،أي "ها"اقرءوا ..و"ؤم"زائدة بمعنى "هاكم"وفي الحديث الذي رواه أبو حاتم بسنده يقول "المؤمن يعطى كتابه بيمينه، فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته؛ فيقرأ فيرجع إليه لونه؛ ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول: هائم اقرؤوا كتابية [380].

و هاء؛ و هاؤم و هاؤموا لغات كما حكى ذلك سبويه[381]

عيشة راضية، وصفت العيشة بذلك من وجهين:

الأول: أنها منسوبة إلى الرضى

والثاني: أنه جعل الرضا للمعيشة مجازا مع أنه صاحب المعيشة. ثم إن الكلمة حاوية لمجموعة من الشروط المعشية كونها خالية من الشوائب ولا تنفذ وأنها مقرونة بالتعظيم بخلاف رضى صاحبها فقد يرضى بالقليل.[382]

ما أسلفتم في الأيام الخالية، معنى الإسلاف في اللغة تقديم ما ترجوا أن يعود عليك بخير.

---

[378] النبأ الآية17

[379] الحديث رواه أبو داود في سننه،عن جابر بن عبد الله(4727)باب19واسناده جيد وهو على شرط الشيخين/تفسير بن كثير،باب 13،ج8،ص212

[380] حديث هاشم عن بشر بن مطر الواسطي عن يزيد بن هارون عن عاصم الأحول عن أبي عثمان

[381] سبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان توفي 796نحوي ولدفي البيضاء قرب شيراز ونشا في البصرة ؛تعلم على الخليل ،إمام م\هب البصريين؛وكتابه المشهور في النحو"الكتاب"شرحه ابن السراج و الصرافي والرماني

[382] يرجع إلى التفسير الكبير للرازي الجزء29 ص103

والأيام الخالية المراد أيام الدنيا ومنها قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[383] .

وقال الكلبي بما أسلفتم يعني الصوم؛ وذلك أنهم لما أمروا بالأكل والشرب دل ذلك على أنه لما امتنع في الدنيا على ذلك بالصوم[384].

يا ليتها كانت القاضية،قال الضحاك يعني موتة لا حياة بعدها وكان أبغض الأشياء في الدنيا.وفي هذا المعنى قال الشاعر:

و شر من الموت الذي إن لقيته تمنيت منه الموت والموت أعظم

هلك عني سلطانية، أي لم يعد يدفع مالي ولا سلطاني ولا جاهي عذاب الله تعالى.

ثم الجحيم صلوه، قال المبرد:[385] أصليته النار إذا أوردته إياها.

ثم في سلسلة..فاسلكوه، يقال سلكه في الطريق وفي القيد أي أدخلته، وهو لغة القرآن قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[386]. قال ابن عباس تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقه؛ ثم يجمع بين ناصيته وقدميه.

لا يؤمن بالله العظيم إشارة إلى فساد العقل.

ولا يحض على طعام المسكين إشارة إلى فساد العمل والتصرف.

فليس له اليوم هاهنا حميم،كقوله تعالى:

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[387]

---

[383] البقرة134

[384] التفسير الكبيرج29 ص113

[385] هو أبو العباس المبرد ولد نحو898/826 نحوي تلميذ المازني والسجستاني ممثل مذهب البصرة للنحو،وخصمه ثعلب ممثل مذهب الكوفة تعلم في بغداد ومن أهم مؤلفاته "الكامل في الأدب"

[386] الشعراء الآية200

[387] الشعراء الآية101/97

و قوله تعالى: ﴿ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ ﴾[388]

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨ ﴾[389]

الغسلين: هو ما يسيل من أهل النار من القيح والصديد و الدم إذا عذبوا وهو طعام لا يأكله إلا الخاطئون الآثمون.

ما تبصرون وما لا تبصرون، يعم جميع الأشياء؛ على الشمول فشمل الخالق والخلق والدنيا والآخرة والأجسام والأرواح، والإنس والجن؛ والنعم الظاهرة و الباطنة.

ولو تقول علينا، على البناء للمفعول؛ فالتقول افتعال القول؛ لأن فيه تكلفا من المفتعل وسميت الأقوال المنقولة أقاويل تحقيرا؛ وذلك كقولك الأعاجيب والأضاحيك.

لأخذنا منه باليمين، الظاهر لانتقمنا منه جزاء تقوله والحقيقة هي لفتة ودية رائعة سنتعرض لها لاحقا في التفسير الموضوعي.

و إنه تذكرة للمتقين...وإنه لحسرة على الكافرين، أي القرآن الكريم قال الله تعالى:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٤٤ ﴾[390]

قال ابن جرير الطبري [391]: إن التكذيب هو حسرة على الكافرين يوم القيامة ودليله قوله تعالى:"وإنا لنعلم أن منكم مكذبين".

---

[388] المعارج الآية10/7

[389] غافر الآية 18/17

[390] فصلت الآية44

[391] الطبري ،هو أبو جعفر محمد بن جرير (ت923/310)مؤرخ ومفسر وفقيه شافعي ولد في آمل بطبرستان، استوطن ببغداد وتوفي بها، من كتبه المشهورة،جامع البيان في تفسير القرآن،وتاريخ الأمم والملوك، أخبار اختلاف الفقهاء، تهذيب الآثار وآداب القضاء.

الخلاصة:

كان هذا موجزا تحليليا لهذه السورة النموذجية، مأخوذا من أشهر كتب التفسير وأبسطها كالطبري وابن كثير والرازي و البقاعي وسيد قطب والثعالبي مع بعض الإيجاز والتصرف والترجيح للمعنى الذي يؤيده الشاهد اللغوي أو الأثر.

وقبل مباشرة السورة موضوعيا نشير أن هذه السورة قصيرة المقاطع، تنتهج التنقل السريع من غرض إلى غرض ومن حدث إلى حدث ومن أسلوب إلى أسلوب، فالمغايرة فيها واضحة والمد والجزر بين العنف واللين، والتذكير و التحذير، والترهيب والترغيب واضح. مما يتبادر إلى ذهن القارئ أن الوقوف على موضوعها من الصعوبة بمكان، غير أن تتبع الوسائل التي نصطحبها ييسر من المهمة بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: تقسيم السورة موضوعيا وموقعها بين السور المجاورة

1- افتتحت السورة بحديث مجرد أن أمر سيتحقق، لكن تحققه ومعرفة ذلك يستدعي اهتماما وإيمانا كبيرين لأن هول ذلك اليوم لم يسبق لأي فرد أن رآه، فأعقبها الله تعالى بقوله (وما أدراك)أي لا يمكنك أن تدرك كنهها ولكن يكفيك أن تصدق وقوعها.

2- أعقبها الله تعالى بالحديث عن حقائق وقعت لأقوام كذبوا من قبل فتحققت حاقتهم، فقال الله تعالى(كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي أنهم لم يتوقعوا حصول وقوع ما توعد به الله تعالى. أما ثمود فكانت حاقتهم بحصول الطاغية، و أما عاد فكانت حاقتهم ريح صرصر عاتية، و أما فرعون ومن قبله والمؤتفكات فكانت حاقتهم أخذة رابية. ثم عرج على قوم نوح من قبل، و هم من أوائل من كذبوا برسولهم نوح عليه السلام و بوعيده ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[392]

و العجيب هنا؛ أن الله تعالى أعرض عن هلاكهم و اكتفى بمنه على الذين نجوا و هو كل البشر من عهد نوح إلى يومنا الحالي ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾

3- عقب على هذا بقوله تعالى﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾

أدرج الله تعالى هذه القصص الواقعية، والتاريخية لتكون تذكرة وتعيها أذن واعية.

حسن المجاورة

تقع سورتنا المختارة بين سورتين مكيتين، سورة القلم وسورة المعارج، أما سورة القلم فقد نزلت رأسا لتثبيت النبي- صلى الله عليه وسلم- حين اتهمه المشركون بالجنون ، وكانت من أبغض الصفات التي يعافها.

أعقب ذلك بتحقيق العذاب العاجل في الدنيا لمن سولت له نفسه وصف النبي الأمين بهذه الصفة؛ صفة الجنون.وهذا التحقيق للعذاب هو تمهيد لبسه في سورة الحاقة.ثم أردف بقصة كانت مشهورة في الجزيرة العربية، وهي قصة أصحاب الجنة التي منع أصاحبها زكاة مالها وما حاق بهم. وهي كذلك تدخل في هذا الإطار؛ إطار تحقيق الوعيد من الله تعالى.

---

[392] هود الآية32

ثم تعرضت السورة في التفاتة سريعة إلى النبي عليه الصلاة والسلام وتحذيره من التسرع وأمره بالصبر على قومه لا كما فعل يونس عليه السلام وأصبح من النادمين .ثم تختتم بنفي الجنون عنه عليه الصلاة والسلام كما بدأت السورة.

فالملاحظ أن السورة كانت تمهيدا لتحقيقات أكبر ومجال من الغيب أوسع. فالذي أوقع هذا يوقع أكثر وأكبر منه.

و يقول قريبا من هذا الكلام البقاعي:"لما قدم سبحانه في "نون"الإنكار الشديد لأن يسوي المسيء بالمحسن، وذكر القيامة وبينها بيوم كشف الساق وزيادة المشاق هدد التهديد العظيم بآية الاستدراج الذي لا يدفع بعلاج....قال واصفا للقيامة واليوم الذي يكشف فيه عن ساق، واعظا بذكرها ومحذرا من أمرها"الحاقة".."[393]

أما السورة اللاحقة، سورة المعارج، فقد جاءت سورة متحركة لمشاهد سورة الحاقة، حيث طوي الزمن طيا عجيبا، إنهم "هم" يرونه بعيدا. لأن انشغالهم بالدنيا وتمني طول العمر وتكذيبهم بالآخرة جعلهم هكذا يعدون ويحسبون ويرونه بعيدا ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[394]

ونحن نراه قريبا ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾[395]

سبق ذكر حسن جوار هذه السورة مع سابقتيها، و ذكرنا أدلة ذلك و نثني هنا بقول آخر للآلوسي بين فيه وجه المناسبة بين سورة الحاقة و سورة "القلم" يقول : " مو لما وقع في نون ذكر يوم القيامة مجملا، شرح سبحانه في هذه السورة الكريمة نبأ ذلك اليوم و شأنه العظيم، و ضمنه عز و جل ذكر أحوال أمم كذبوا الرسل عليهم السلام، و ما جرى عليهم، ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه السلام".

---

[393] نظم الدرر، ج 8 ص119 بتصرف من الحذف

[394] الأنبياء 44

[395] الأحزاب الآية63

و هذا ما يزيدنا يقيناً و يشفع لنا في هذا الاتجاه، فمعالجة سورتي الملك و نون كانت بطريقة هادئة و وديعة، بخلاف سورة الحاقة التي كما يصفها صاحب الظلال "بأنها هائلة رهيبة قل أن يتلقاها الحس إلا بهزة عميقة، و هي منذ افتتاحها إلى ختامها تقرع هذا الحس، و تطالعه بالهول القاسم، و الجد الصارم، و المشهد تلو المشهد، كله إيقاع ملح عل الحس، بالهول آنا و بالجلال آنا، و بالعذاب آنا، و بالحركة القوية في كل آن.[396]

إن هذه السورة العظيمة المعنى، القوية المبنى، العجيبة الفحوى، أقوى من كل استعراض، و من كل تحليل و من كل تعليق، و لكنها جرأة البحار الباحث عن اللآلئ فإن أصبت فمن الله وحده و إن أخطأت فلي أجر المجتهد، و الله المعين.

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي للسورة

المطلب الأول: تلخيص موضوع السورة

[396] في ظلال القرآن ج6، ص 3674

هذه السورة و عدد آياتها (52)، و تعالج أمر البعث خاصة، و سنعمد في تفسير هذه السورة بناء على ما أسلفنا في المباحث السابقة كالتالي :

حسن المجاورة مع السابق

دراسة موضوعية للسورة و تناسب فقراتها مع استصحاب :

- الجانب البلاغي و الأدبي
- الجانب الصوتي أو النغمي
- الجانب الإشاري أو الصوفي

في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام، أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها"[397]

1. هذه السورة كما بين عنوانها، تتحدث عن حتمية البعث و أنه حق.
2. المقدمات التي يحتاجها الموضوع و يوظفها:

- أدلة القدرة على تحقيقها من خلال السياق.
- أدلة تاريخية سلبية حققت مثلها (ثمود، و عاد) تمثلت في البطش و الدمار و الوعيد.
- أدلة تاريخية إيجابية حققت مثلها (حملناكم في الجارية) تمثلت في النجاة و الرحمة

والقصد دفع شبهة المكذبين و إثبات مصدرية القرن الكريم لله تعالى.

3. ترتيب هذه القواعد كان بنفس الترتيب (أ، ب، ج، د).
4. اللوازم التي أنجر عليها الكلام عند ذكر تلك المقدمات.

تذكرة الرسول خاصة، و المؤمنون عامة بمصير المهلكين "فهل ترى لهم من باقية"[206].

تذكير الناس جميعاً بنعمة النجاة من الغرق بالطوفان "إنا لم طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة و تعيها أذن واعية"[207].

التفريق بين الفائزين و الخاسرين يوم ذلك "فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه"، "و أما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه"[208].

تسلية الرسول و التسرية عليه "فلا أقسم بما تبصرون و ما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم و ما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون"[209].

---

[397] قواعد التفسير ج2، ص 749.

ختام السورة بالتسبيح و كأنه استغفار عن تلك الأكاذيب التي تحدثت عنها السورة (شاعر، كاهن، تقول بعض بعض الأقاويل) متمثلة في قوله تعالى : "فسبح باسم ربك العظيم".

هذا الخليط من الإخبار والوعيد والتوعد، تارة بالحديث عن الأمم الغابرة التي أهلكها الله تعالى أو الحديث عن الغيب ، وتارة بنجاة البشرية من الطوفان العظيم والذي من الله تعالى على كل عباده بنجاتهم منه وإلا ما بقى على ظهر الأرض ديارا كما دعا نوح عليه السلام كل هذا يشكل موضوعا رئيسيا واحدا هو أن الله تعالى قادر أن يحقق كل ما يريده ولذلك بدأت السورة بالحاقة وانتهت بحق اليقين.

هيكل هذه السورة من خلال تطبيق القاعدة الموضوعية

حقيقة البعث

المقدمات

أما موضوعات السورة فكانت كالتالي :

الفقرة الأولى

من الآية (1) و حتى (12)، تأسيس لهذا المصطلح (الحاقة)

الفقرة الثانية

من الآية (13) و حتى الآية (37)، حديث عما يحدث فيها بغض النظر عن التصديق أو التكذيب.

الفقرة الثالثة

من الآية (38) و حتى الآية (52)، إثبات مصدرية القرآن الكريم و أنه من الله. و كان هذا هو التقسيم، بتلك المقدمات و تلك الوسائل و تلك النتائج، لكن كيف تم ذلك و كيف تناسبت الموضوعات شكلاً و ترتيباً و مضموناً ؟.

الفقرة الأولى

المعنى الذي تتمخض السورة لإلقائه في الحس، سيتكفل أسلوبه و إيقاعه و مشاهده و صوره و ظلاله بإلقائه و تقريره و تعميقه بشكل مؤثر حي عجيب[398].

فأسلوب السورة كما يقول سيد قطب : "يحاصر الحس بالمشاهد الحية، المتناهية ... بحيث لا يملك منها فكاكاً، و لا يتصور إلا أنها حية واقعة، حاضرة تطالعه بحيويتها و قوتها و فاعليتها بصورة عجيبة"[399].

"الحاقة ما الحاقة و ما أدراك ما الحاقة"، كلام متكرر ينتابه تعريف و تجهيل و هو تكرار من جنس واحد و بعضه يجزء من بعض، و هو لإرادة التوكيد و الإفهام و التفنن في المقام.

إن الرنة المدوية في الباء و الهاء الساكتة بعدها سواء كانت تاء مربوطة يوقف عليها بالسكون، أو هاء سكت مزيدة لتنسيق الإيقاع من موقف إلى آخر، قوة و ضعفها لها تناسبات خاصة، على مستوى الجمال الفني و على مستوى الأفق النفسي. إنها مقاطع قصيرة، تستدعي أن تكون الفقرات و العبارات بعدها كذلك قصيرة مثلها و تكون قوية مؤثرة و كذا ثقيلة، لا ثقيلة الفهم، و لكن ثقيلة الدفع و كذلك سياق السورة.

حتى لا يجرنا الكلام بعيداً عن موضوعنا (التناسب)، نبدأ من خلال نطق هذه الكلمة (الحاق)، مراد الله منها المسائلة (ما الحاقة) الاستفهام (و ما أدراك ما الحاقة) الأمر بالتصديق و الاعتذار عن عدم القدرة على تصويرها.

---

[398] في ظلال القرآن ج6، ص 3675

[399] يراجع تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة دار التراب القاهرة ص235/234.

و كل هذه للاعتناء.

فلماذا كان هذا اللفظ بالضبط، في الموضوع الحاسم ؟ ففضلا عن معاني الحاقة في المعاجم كما بينا في التفسير التحليلي لهذه السورة / كيف ينطق هذا اللفظ و بماذا يوحي نطقه ؟ حاء، و مد بست حركات ثم قاف مقلقل ثم سكت مفاجئ، و كأني بألفاظها، يلفظ من جوفه غصة تسد مجراه يسقط بعدها ساكتا، سكون هذه الهاء (حاقة).

لهذا جاء بهذه الصفات الثلاثة : التعريف و السؤال و الاعتذار.

ثم جاء بهذه الصيغة الصوتية المخيفة و كأنك تحذر غيرك من أمر طالع عليهم فتقول (الحاقة، الطامة ...).

ثم إن هذا التكرار، للإبلاغ و الإلزام، و كأني بك تريد أن تسمعها غيرك و هي تقرع أذنيه و هو يحاول أن يستغشي ثيابه فتقول : (الحاقة)، فتصك أذنيه، فيستدير عنك، فتواجهه من الجهة الثانية بقولك (ما الحاقة) فيطأطئ رأسه ذهولا فتقول (و ما أدراك ما الحاقة). و كأني بهذا المستمع – و هو المكذب – يحاول أن يسمع الآن بعد هذه القرعات المتتاليات، فتخف وطأة هذه الصكات قليلاً.

" كذبت ثمود و عاد بالقارعة"، و لم يقل بالحاقة، لأن قرعها لازال يتردد في أذنيه أي كذبوا بهذه التي اسمها – فقط – مثل لك في رأسك هذه قارعة.

و من صيغ التناسب هنا، أن اختيار المهلكين هنا، كان منسباً تماماً لهذه النغمية نغمية الحاقة.

يقول الدكتور عشراتي حول هذه الألفاظ : "فيه بناء يستجيب للفاعلية التأثيرية التي انبرى الخطاب في تكريسها و هذا من خلال استثمار نوعية صوتية نغمية في إيحائيتها، فالحاء الخلقية توشي بالتأوه و الحرقة و الجفاف، و القاف بالشدة و المحق و هذه الصوامت بالكيفية التي ألحمت عليها (الحاقة)، عملت على تجسيد حسي للمحتوى الخطابي الذي أراد السياق تبيانه، إذ موريس في تحقيقها صوتيا المد، و الشد و السكت، و جميعها أوضاع صوتية حدية الصوت يكتسب فيها امتلاءه، و غايته و هذا ما أعطى للخطاب – فيما بعد – نفاذه و اقتحاميته، و هذا يكشف للملتقي عن حال لابد أن يعمل على تفاديها"[400].

---

[400] أدبية الخطاب القرآني ص 374

و لهذا اختتمت كثير من السور بالمثل "فسبح باسم ربك العظيم" [401]، و قوله في سورة النجم "فاسجدوا لله و اعبدوا"[402]، و قوله "من الليل فسبحه و إدبار السجود"[403] و هكذا نرى أن الآيات التي تكون مبتدئ بمثل هذا القرع و الهول تختم هكذا.

إذا فكيف تطرق السياق إلى هلاك هذه الأمم، و كيف وظفها لتأكيد هذه الحاقة، فأما ثمود فأهلكوا بريح (صر/صر) عاتية و قل نفس الكلام عن (الصر، الصر) و عن (العاتية) قولك عن الطاغية، مع مراعاة أن هلاك هذه الأمم وصف بصيغ أخرى في سور أخرى، كقوله تعالى "فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها"[404]، فهذه ميمات توحي بالحزن العميق الذي ساد و يسود عند الحديث عنهم، لكنه لا يناسب القرع و الطغيان و العتو هنا في سورة الحاقة بخلاف سورة الشمس.

و انظر كيف قسم الله هذا الكلام فأجمل ثم فصل ثم أجمل و أجمل وما أجمل.

أجمل في قوله "كذبت ثمود و عاد بالقارعة"، فكانت فاصلة تناسب الحاقة و تصفها، ثم فصل كلا منهما، فأما ثمود فبالطاغية، و أما عاد فبالعاتية، فأنتجتا فاصلتين شارحتين كذلك لمعنى الحاقة.

ثم أنه أجمل الخاطئون (كذب فرعون و من قبله و المؤتفكات و كان اشتراكهم تكذيب الرسل، و لكن استبدلت برسول واحد على الرغم من أنهم كذبوا رسلا عدة، لإثبات أن الرسالة واحدة و إن تعدد المرسلون، و لأن الحديث هنا عن التكذيب نفسه لا عن صفته و موضوعه، و كان ختام ذلك بهلاكهم بالأخذة الرابية، أي التامة الوافية، و شكل بذلك فاصلة أخرى تجعل من تحقيق الحاقة أمر ممكن، و ذلك لتناسب كلك عنو عاد و جبروتها، فكانت سبع ليال و ثمانية أيام حسوماً.

والملاحظ أن هذا التفصيل في عدد الأيام و الليالي، و في حال القوم و هم صرعى و تشبيههم بإعجاز النخل الخاوية، إنما كان ذلك كله ذلك للتيسير فهم الحاقة و استساغة حدوثها ليس

---

[401] (آخر السورة) من سورة الحاقة الآية (52) وم من سورة الواقعة الآية (96)

[402] سورة الطور الآية (49) آخر السورة.

[403] سورة النجم الآية (62) آخر السورة.

[404] سورة الشمس الآية (16)، و يراجع باقي هلاك هذه الأمم في كتب التفسير كي تتجلى الفروق الصوتية.

إلا، فتصير ممكنة و مشاهدة و لذلك كان جواب الرسول ﷺ لما سأله جبريل – عليه السلام – عن الإيمان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[405].

و خلال هذا الزخم من الأحداث و المصائب، و هذا الهلاك و الدمار، لا تنقطع رحمه الله عز و جل، فكل هلاك لهذه الأمم كانت فيه نجاة للمؤمنين، هلاك فرعون و من معه كانت فيه نجاة موسى – عليه السلام – هو و من معه "فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم و أزلفنا ثم الآخرين و أنجينا موسى و من معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين"[406]. هذا مثال، غير أن السياق في هذا المقام يقتضي نموذجاً يمثل رحمة الله العامة التي تثبت أنها تلاحق الإنسانية المؤمنة في أحرج الأوقات، فالمصائب و الهلاك الذي ذكر كان موضعيا أي في أماكن محددة، بخلاف الطوفان الذي عم كل الأرض، لذلك جعل الله سبحانه و تعالى، النجاة منه نموذجاً للنجاة من باقي القصص التي أوردها، و كأنها إشارة إلى قدرته، فمن أنجى في مثل هذه قمن أن ينجي فيما سواها.

و انظر كيف تغير الأسلوب في هذين الآيتين فقط و انقلب إلى اللطف و الرحمة "إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية" (أي آباءكم) "لنجعلها لكم تذكرة و تعيها أذن واعية"[407].

و هنا و إن كان الوصف لحالة ماضية، إلا أن الحديث عن الهول هو الموضوع، لذلك نعتبر أن الآيتين– آيتي النجاة – تعدا التفاتاً كي لا تنحصر الأذهان في الدمار فقط، فكما أن الله تعالى جبار فهو كذلك رحيم، جبار على الطغاة، رحيم بالمؤمنين "اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم"[408]، و هي مراوحة تتخلل كل القرآن.

---

[405] رواه البخاري: كتاب بدء الوحي، ج1، ص20
صحيح مسلم: باب معرفة الايمان و الاسلام و القدر ، ج1 ،ص28
سنن الترمذي: وصف جبريل للنبي –ص– ، ج5، ص6
سنن النسائي: باب نعت الاسلام ، ج8، ص97
سنن بن ماجه: ج1، ص43
سنن البيهقي: باب ما تردّ به شهادة أهل الأهواء، ج10، ص203

[406] سورة الشعراء الآيات (62، 63، 64، 65، 66).

[407] سورة الحاقة الآيات (11، 12).

[408] سورة المائدة الآية 98

كانت هذه الفقرة السابقة و حتى الآية (12) حديثا عن القيامة الموصوفة هذه المرة بالحاقة، و كان تأكيدها من جانب تاريخي، فمن كان قادراً على هلاك الأمم الظالمة والمكذبة، لقادر على تحقيق هذه الحاقة، و لقد لاحظنا كيف كان ترتيبها و تنظيمها وتناسقها.

فإذا استقر الإيمان، بأن ذلك شيء ممكن و قد استشف ذلك من هذه الدروس التاريخية المتكررة، فلا بد هناك من سؤال ملح هو : كيف ذلك ؟ و متى ؟ هذا ما سنتطرق إليه في الفقرة الثانية التي تعالجها هذه السورة.

الملاحظ هنا أنا نتابع سلسلة من التحقيقات ، الواحدة تلو الأخرى، ولم ينكر أحد أن ذلك لم يحدث، بل كانت قصصهم مشهورة مذاعة، و أن هلاكهم كان معروفا بين العرب و غير العرب، من أجل هذا قال الله تعالى"حملناكم في الجارية" أي كلكم. و قال الله تعالى:"وإنكم لتمرون عليهم مصبحين"[409]، أي في أسفاركم[410]

الفقرة الثانية

إن موضوع السورة كما ذكرنا هو حقيقة البعث، و الحديث عنها في إثباتها كان صارماً و قوياً، و انقسم إلى قسمين، إثبات يوم القيامة إثباتاً مجردا "الحاقة ما الحاقة" [411]، ثم نص على تاريخ الأمم المكذبة و مصيرها، "كذبت ثمود و عاد بالقارعة" [412]، كان هذا مضمون هذه

---

[409] الصافات الآية 137

[410] وأخرج ابن جرير ، وَابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه في قوله {إلا عجوزا في الغابرين} قال : الهالكين {وإنكم لتمرون عليهم} قال : في أسفاركم.

جاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي الباب الثاني عشر الجزء الثاني عشر الصفحة462 " أخرج عَبد بن حُمَيد ، وَابن جَرِير ، وَابن المنذر ، وَابن أبي حاتم عن قتادة {وإنكم لتمرون عليهم **مصبحين** وبالليل} قال : نعم ، صباحا ومساء من أخذ من المدينة إلى الشام أخذ على سدوم قرية قوم لوط.

[411] سورة الحاقة الآيتين 1، 2

[412] سورة الحاقة الآية 3

الفقرة، قوة الألفاظ، و قوة الدمار و الخراب تلون بتلك الألفاظ الضخمة و القوية (الحاقة،القارعة، الطاغية، العاتية، صرصر، حسوما، صرعى، خاوية، باقية، الخاطئة، رابية، طغى الماء ...)، و الملاحظ أن هذه الفقرة اختتمت بألفاظ وديعة "حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة و تعيها أذن واعية"[413]، و هكذا انتهت، فكيف بدأت الفقرة الثانية و ما وجه مناسبتها بما قبلها.

"فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة (13) و حملت الأرض و الجبال فدكتا دكة واحدة (14) فيومئذ وقعت الواقعة (15) و انشقت السماء فهي يومئذ واهية (16) و الملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (17) يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (18) فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه (19) إني ظننت أني ملاق حسابيه (20) فهو في عيشة راضية (21) في جنة عالية (22) قطوفها دانية (23) كلوا و اشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية (24) و أما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه (25) و لم أدر ما حسابيه (26) ياليتها كانت القاضية (27) ما أغنى عني ماليه (28) هلك عني سلطانيه (29) خذوه فغلوه (30) ثم الجحيم صلوه (31) ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه (32) إنه كان لا يؤمن بالله العظيم (33) و لا يحض على طعام المسكين (34) فليس له اليوم هاهنا حميم (35) ولا طعام إلا من غسلين (36) لا يأكله إلا الخاطئون"[414].

إن وجه المناسبة هنا ظاهر مع الفقرة السالفة، بحيث كان هناك إخبار بإجمال فيه ردع و استشهاد بالحاضر – لا بالغيب – و هو تاريخ الإنسانية الضالة، و هنا جاء الوصف والتفصيل و الملاحظ هنا أن التناسب يجري مجرى الدم في هذه السورة، حيث انتقل السياق و الإيقاع إلى رنات أخرى، و أسلوب آخر يتناسب مع هذه الحالة أو هذه الفقرة.

هناك صفتان خطابيتان تلاحقاننا في هذه الفقرة الثانية، كانتا ديدن الفقرة الأولى الفاصلة، فإنها استمرت تاء، أو هاء سكت حتى قبيل نهاية هذه الفقرة من الآية (13) و حتى الآية (29) أما الآيات (30) و حتى (37) فإنها تغيرت لغرض سنبينه حين بلوغه.

---

[413] سورة الحاقة 12

[414] سورة الحاقة الآيات 13 إلى 37

أما الأمر الثاني فهو استمرار عملية الوصف و لكن بشيء من التفصيل مع تفاوت في الشدة مع المؤمنين و مصيرهم و الكافرين و وعيدهم.

و قد شكل الإطار الزمني في هذه الفقرة أقوى دليل يتناسب مع هذا المصطلح (الحاقة) فالحاقة التي تحق تكون في يوم معين، و في زمن مقدر، و لفظة الحاقة كانت تحمل صفة الزمن الغير معين، أما في هذه الفقرة الشارحة فقد تكرر لفظ الزمن ست مرات (يومئذ، يومئذ ...) مما يشعر القارئ أن ذلك حاق لا محالة و في يوم معلوم، يكون الإعلان عنه بالنفخ في الصور "فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة" [415]، و يكون حوصلة بهذا التغير العجيب و المفاجئ "و حملت الأرض و الجبال فدكتا دكة واحدة" [416]، إن ضخامة الأمر و قوة الموقف لا تكمن في الألفاظ فالألفاظ هنا ليست قوية قوة ألفاظ الفقرة السابقة، بل قوتها تكمن في الوصف و الحالات الطارئة التي تحدث على مرأى و مسمع هذا الإنسان، أما المسمع فيتمثل في النفخ في الصور، النفخة العظيمة، كما دلت عليه سورة النمل في قوله تعالى : "يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله و كل أتوه داخرين [417]، و دلت عليه كذلك سورة الزمر في قوله تعالى : "و نفخ في الصور فصعق من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون"[418]، كان هذا على مستوى السمع.

أما على مستوى البصر، فمشهد حمل الأرض و الجبال و نفضها و دكها دكة واحدة تسوي عاليها بسافلها فهو المشهد الذي لم يسبق الإنسان أن رآه غير أن المسلم كان يوقن بوجوده و يترقب وقوعه لأن المحسن يعبد الله كأنه يراه كما أجاب الرسول الكريم حين سأله جبريل عليه السلام عن معنى الإحسان في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري.

يقول صاحب الظلال : "مشهد مروع حقاً هذه الأرض التي يجوس خلالها الإنسان آمناً مطمئناً و هي تحته مستقرة آمنة، و هذه الجبال الراسية ..." أ . هـ [419] إن الله عز و جل

---

[415] سورة الحاقة الآية 13

[416] سورة الحاقة الآية 14

[417] سورة النمل الآية 87

[418] سورة الحاقة الآية 68

[419] في ظلال القرآن ج6، ص3679

وصفها بقوله "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا[420] فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه و إليه النشور "[421]، فإذن فهي أشبه بكرة صوف يعفجها طفل بين يديه.

و إذا تلك الجبال القوية التي تشبه السفن الضخمة في رسوها كما وصفها المولى "و جعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم" [422] تشبه – و لا شبه غير نفسها في العلو – كما قال تعالى : "و جعلنا فيها رواسي شامخات و أسقيناكم ماء فراتا"[423].

و هذه الجبال التي لا تشبه في اتساقها و تمكنها من الأرض إلا الوتد الذي يوضع للتثبيت، كما قال الله تعالى : "ألم نجعل الأرض مهاداً و الجبال أوتاداً" [424]، كل هذه الضخامة تصير كأنها لعب كرتونية تدوسها قدم أو تتلاعب بها الرياح، هذه معاني "و حملت الأرض و الجبال فدكتا دكة واحدة"، و ما يشعر تكرر لفظة (واحدة) مرتين عند النفخ و عند الدك، إذ لا تردد و لا شك و لا مراجعة فهي الحاقة و ما أدراك ما الحاقة. فماذا يحدث يوم ذلك ؟ "يومئذ وقعت الواقعة"[425235] و في كل هذا الذي سبق ثلاث تناسبات هي :

1. إن الله تعالى عبر عن القيامة بالحاقة.
2. وصفها بعد ذلك بأنها قارعة، و هي صفة من صفاتها.

وصفها بأنها واقعة، و كأنه يقول إن الذي مضى من أدلة كاف بأن تتأكد من أنها تقع، فهي واقعة، ثم أن هناك تحويلاً [426] أو ما نطلق عليه اليوم الإحالة على المصدر، فهذه الواقعة هي عنوان سورة مكية كاملة، تصف الحاقة وصفاً مفصلاً و هي تشبهها إلى حد كبير

---

[420] وصف الله سبحانه و تعالى الأرض بهذه الصفة (الذلول)، و لم يصفها بغيرها، إشارة إلى أنها تدور و تتحرك و ذلك لأن لفظ ذلول مستعار عن الدابة، أي دابة إذا ركضت أو سارت لا تسقط راكبها، فهي تجري بانتظام، فسبحان الله فهذه اللفظة لوحدها تمثل معجزة فلكية كاملة.

[421] سورة الملك الآية (1

[422] سورة الأنبياء الآية 31

[423] سورة المرسلات الآية 27

[424] سورة النبأ الآيتين 7، 8

[425] سورة الحاقة الآية 15

[426] التحويل في إصلاح المحدثين الانتقال من راو إلى آخر في رواية المتن الواحد يراجع مقدمة ابن الصلاح و الباعث الحثيث لابن كثير.

و كبير جداً سورة الحاقة، فهي تشبهها في افتتاحها "إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة" (أي هي حقيقة و حاقة) "خافضة رافعة فإذا رجت الأرض رج و بست الجبال بسا"[427].

و تشبهها بعد الافتتاح، فهي تقسم الناس إلى أشقياء و سعداء "فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة"[428]، هكذا جميع مراحلها.

ثم تتطابق معها في نهايتها، إذ غرض السورتين واحد، فهي تثبت مصدرية القرآن أنه من الله و تنفي عنه شبهة التأليف، و تختم بنفس الآيات التي ختمت بها سورة الحاقة، فسورة الحاقة ختمت بقوله تعالى : "و إنه لحق اليقين (51) فسبح باسم ربك العظيم (52)[429] ، و ختمت سورة الواقعة بقوله : "إن هذا لهو حق اليقين (95) فسبح باسم ربك العظيم (96)[430] "، إذاً فاختيار لفظة (الواقعة) كان لغرضين :

- إثبات أن هذه الحاقة ستصير واقعة.
- هي إحالة للقارئ الذي يريد أن يعرف الكثير عن هذه الواقعة فليتحول إلى سورة الواقعة و هذا من أجل صور التناسب التي نسعى إلى تحقيق معرفتها.

و خلال هذه المراحل التي تلي الواقعة، ليس كالحاقة، فالحاقة تحق، أما الواقعة فقد وقعت لذلك نرى هذا التردد الزمني (فيومئذ) يتكرر مع كل آية تقريباً، زيادة في اليقين و التحقيق – كما ذكرنا سابقاً – فيومئذ تنشق السماء، و عرش الرحمان يحمله ثمانية – و قد تعرضنا لذلك بالتفصيل في التفسير التحليلي للسورة – و يومئذ تعرض البشرية فلا تخفى خافية كما عبر عن هذه النفس سبحانه في سورة الطارق "يوم تبلى السرائر"[431].

و يجيء بعد تفصيل أو تقريع ناجم عن إظهار هذه الخفايا، أو ابتلاء السرائر، و جاء على كيفية أسلوبية مشوبة بالانفعالات النفسية، متجلية بوضوح، حتى كأنها حاضرة ترى و تسمع، يتقاسما الابتهاج و السرور، و اليأس و الندامة، كل من أصحاب اليمين و أصحاب الشمال، تجسد ذلك في تبيان الألفاظ الصادرة عن كل فريق.

---

3 سورة الواقعة الآيات 1 إلى 5

[428] سورة الواقعة الآيات 8، 9

[429] سورة الحاقة الآيات الأخيرة

430 سورة الواقعة الآيات الأخيرة.

[431] سورة طارق الآية 9

إن لفظة فرح و سرور و ابتهاج، كلها لا تسد مسد (هاؤم)، فهي فضلا عن جزالتها و أنها ليست لفظة مشتقة بل هي ألفاظ ممزوجة تنبئ عن مكنون الصادرة عنهن فهي تحمل كل تلك المعاني مع الإلحاح على قراءة الكتاب بالأمر و اليقين بالنجاة (اقرؤوا كتابيه) و تشكل بذلك فاصلة من فواصل هذه السورة، و يستمر بعدها السياق يصف حالتهم بهدوء (عيشة راضية / جنة عالية / قطوفها دانية / هنيئاً).

أما الأشرار أصحاب المشأمة، فتجسد هولهم و حزنهم و ندامتهم في (ياليتني / ياليتها / و ما أغنى عني / هلك عني ...)، و بذلك التماوت و التأوه الذي يصحب هذه الألفاظ، و من الجدير بالملاحظة أن القرآن الكريم يعمد إلى الجملة في بعض المواطن و يعدل عن الألفاظ المناسبة لها أو التي تعادلها لغرق دقيق جداً، و من ذلك قوله تعالى "و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف"[432]، فانظر كيف عدل عن (لفظة) الوالد إلى (المولود له) و أشرنا إلى هذه الدقيقة عند حديثنا عن الخطاب التشريعي. و كيف عدل في قوله في سورة يوسف عن امرأة العزيز "و راودته التي هو في بيتها عن نفسه و غلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون[433]، و فائدة العدول عن (امرأة العزيز). إلى (التي هو في بيتها) لغرضين هما :

- أنه تربى على يدها حتى كأنه ابنها.
- أنها صاحبة بيت و زوج، فكيف يصدر عنها مثل هذا الخطأ.

و القرآن الكريم مليء بمثل هذا و لا يلتفت إليه إلا القليل، و من أجل ذلك عمد الله إلى هذه الجمل (هاؤم اقرؤوا كتابيه) (و ياليتها كانت القاضية)، مع كونها تشكل رؤوس آيات و فواصل.

و الملاحظ أن الأسلوب هنا، بعد أن ذكر أهل النار، تغير تغيراً مفاجئاً، و هو ما اصطلحنا عليه في المباحث السابقة بالالتفات، ففي معرض الحديث عن هؤلاء الأشقياء ينتقل السياق إلى الأمر الصارم و كأني به متهم أمام القاضي نفذت حجته فلما رآه القاضي يتمتم

---

[432] سورة البقرة الآية 233

[433] سورة يوسف الآية 23

أمر بسجنه بصوت عال فتضاعفت عليه الشدة، شدة الندامة و فجاءة الأمر الصارم الذي لا تتردد فيه :

خـــذوه

فغلـــوه

ثم الجحيم صلـــوه

ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكـــوه

و انظر هذه الواو و الهاء التي تشبه التأوه، و كأنه لما ذكرت هذه الألفاظ قال : (أوه، أوه، أوه) إنه مشهد رهيب حقاً.

ثم التفات آخر، بعد أن غادر هذا المسكين المحكمة إلى العذاب، جاء تقرير كاف عن سبب مصيره و إثبات أدلة المحكمة على قرارها، و المناسب لذلك هو عرض الأدلة في أسلوب هادئ "إنه كان لا يؤمن بالله العظيم" [434]، و انظر كيف تناسبت الفاصلة مع المعنى، فعظم الجرم، أن الله عز و جل على عظمته كذب به و لم يؤمن به، فجاءت لفظة "عظيم" لهذا الغرض و تقدمت غيرها من أسباب الإدانة لأن من كانت هذه حاله تترتب عنه الأسباب الأخرى و هي "و لا يحض على طعام المسكين" [435]، و يقول سعيد حوى – رحمه الله – : "و فيه دليل قوي على عظم الجرم حرمان المسكين، لأنه عطفه على الكفر و جعله دليلاً عليه و قرين له و لأن ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق[436].

و نورد حديثاً لأبي الدرداء[437]، أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين و يقول : خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، إشارة إلى قوله عز و جل (و لا يحض على طعام المسكين).

---

[434] سورة الحاقة الآية 33

[435] سورة الحاقة الآية 34

[436] الأساس ج11، ص 6114

[437] الحديث من قول النبي صلى الله عليه و سلم لأبي ذر "يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها و تعاهد جيرانك". و الحديث رواه مسلم (ع/2025) و أحمد في مسنده (رقم 21384).

فهذان دليلان كافيان، فيما يتعلق بحق الرب العظيم و ما يتعلق بحق الله، فلذلك كان هذا مصيره، و لا أحد بعد هذه الأمة، يشفع له عند الله لأنه لا يؤمن به و لا طعام له أنفقه في الدنيا أو أقرضه الله فيجده عند الله أو عند الناس.

كما أن هناك تناسب دقيق أيضاً في هذه المقابلة :

لا يؤمن بالله العظيم -----نتيجتها------- فليس له اليوم هاهنا حميم.

و لا يحض على طعام المسكين ----نتيجتها------ و لا طعام له إلا من غسلين.

ففضلاً عن هذه القافية، انظر إلى المعاني كيف رصفت و رتبت دونما تقعر أو تمحل هذا جزاؤهم، و هذا طعامهم إنهم الخاطئون.

كانت هذه هي القضية التي عالجتها الفقرة الثانية و قد نبهنا إلى سر كونها جاءت شارحة للفقرة الأولى التي تضمنت الأخبار و الإنكار و السرد التاريخي. و رأينا كيف تجمعت لهذه الفقرة كل الوسائل الصوتية و الزمنية و النفسية فانتهت بتلك المحاكمة الربانية التي صدرت عن حكمين، بالسعادة للسعداء و الشقاوة و البأس للبؤساء و للأشقياء يوم القيامة.

وقفة مع هذه الفقرة المتوسطة

هذه الفقرة علاقتها مع سابقتها جلية كما أوضحنا، و لسائل أن يسأل و هو لا يعرف عن الفقرة الثالثة و الأخيرة شيئاً، بعد هذا العموم و الإبهام الذي تصدر السورة في الفقرة الأولى و بعد هذا التوضيح و الشرح الذي اكتنف الفقرة الثانية، يا ترى ماذا تعالج الفقرة الثالثة ؟ لنضرب على ذلك مثالاً :

هناك إنسان ظمآن، و هو لا يصدق أن هناك في تلك الصحراء ماء، فتخبره أولاً أن هناك ماء حق (الحاقة)، و تخيفه أن يموت ظمآنا كأناس ماتوا قبله في هذه الطريق عطشاً، كونهم لم يبحثوا عن هذا الماء (البئر)، و يقابله من السورة السرد التاريخي للمكذبين.

فلابد أنه سائلك إذا كنت صادقاً، فأخبرني عن مواصفاته، فتصفه له، و هذا يقابل السورة الثانية (إذا دكت الأرض دكاً دكاً و جاء ربك ...)، فتقول إن هذا البئر يبعد عنا بكذا و كذا و بقربه صخرة و عنده جنة و هكذا. فيا ترى بعد هذا، ماذا تفعل معه و هو لا يزال يتردد ؟

إنك لا محالة ستقسم له بأنك على حق، أن هذا الخبر صحيح، و بأنك صادق و أن الذين لم يخبروك بهذا الماء أرادوا بك الشر و هذا يقابل "فلا أقسم بما تبصرون و ما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون". ثم تخبره انك إن كنت كاذبا فلتستحق القتل منه إن لم تجد الماء، و هذا يقابل قوله تعالى "و لم تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين"، فإذا كذب بعد ذلك فمصيره الموت و الحسرة "و إنه لحسرة على الكافرين"، و إن صدق فسيشرب، فأمره أن يحمد الله تعالى و قل له "فسبح بحمد ربك العظيم"، فسبحان ربي العظيم.

الفقرة الثالثة

هذه الفقرة كما بينها المثال واضحة وضوح الشمس و لا تستدعي منا كلاماً طويلاً و مفصلاً كباقي الفقرات و لكن ننبه إلى بعض الجوانب منها فقط.

هذه الفقرة لا تتعلق بالفقرة السابقة فقط، بل هي ختام لكل السورة، و أسلوبها و إن كان يتراوح بين الشدة و اللين، إلا أن طابعه وعظي و إرشادي "فلا أقسم بما تبصرون و ما لا تبصرون"[438]، فيه إشارة إلى علم الله الواسع و علم الإنسانية المحدود و هو توطئة للمخاطب حتى يدرك أن هناك ما يدرك بالسمع و هناك ما يدرك بالتصديق فلا يعجل بمحاولة الرد. فهذا الكلام الذي يصلكم هو عن طريق رسول كريم أمين و شاهده من أهلكم، فأنتم الذين لقبتموه

[438] سورة الحاقة 38

الأمين الكريم. فنفى عنه الشاعرية بقوله "قليلاً ما تومنون"، و نفى عنه الكهانة بقوله "قليلاً ما تذكرون"، و السبب فيه كأنه قال : ليس هذا القرآن قولا من رجل شاعر، لأن هذا الوصف مباين لصنوف الشعر كلها، إلا أنكم لا تومنون، أي لا تقصدون الإيمان، و لو قصدتم الإيمان لعلمتم كذب قولكم (إنه شاعر).

و لا أيضا بقول كاهن لأنه وارد بسبب الشياطين و مسهم، فلا يمكن أن يكون ذلك وارد منهم و ليس هناك من يسب نفسه و يتوعدها و قد جاء فيه "و لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوماً للشياطين و أعتدنا لهم عذاب السعير" [439]، و هذا في سورة الملك المجاورة لسورة الحاقة كما ذكرنا، و جاء كذلك في بداية السورة المجاورة الأخرى "ن و القلم و ما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون"[440].

و انظر كيف زكى الله تعالى نبيه بعد أن نفى عنه هذا الجنون في السورتين، فجاء في سورة القلم "و إنك لعلى خلق عظيم" و جاء في سورة الحاقة "إنه لقول رسول كريم" و هذا ليثبت دليلاً أنه ليس من عمل الشياطين، فما لهم لا يومنون، بل هذا كله يثبت أنه من رب العالمين من ثلاثة وجوه :

- ليس بقول شاعر و قد عرفنا ذلك.
- ليس بقول كاهن و سبق ذلك.
- ليس بكذاب لأن ناقله أمين كريم.

فهو بذلك ليس من تأليف البشر و لا الجن، إنه " ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ "[441] و انظر إلى هذا التناسب في ترتيب المقدمات و الوصول إلى النتائج. و من المألوف أنك إذا أثبت شيئاً و حققته و رفعت عنه اللبس و اقتنع بقولك السامع فإنك عادة ما تضيف، – بعد ذلك – كلاماً مكملاً و مصدقاً لحديثك، كالقول (و لو أن ذلك لم يقع ما فعلت أو ما

---

[439] سورة الملك الآية 5

[440] سورة القلم الآية 1، 2

[441] سورة الحاقة الآية 43

قلت، وهكذا) و من هذا الباب جاءت هذه الإضافة من الله تعالى، فمع أن محمد الرسول كريم، وليس بشاعر و لا كاهن فمع ذلك لو أنه بدر منه خطأ لعاقبناه، و قد حدث هذا مع النبي يونس – عليه السلام – و تكلم عنه الله في السورة المجاورة، فأنعم بهذا التناسب، و حذره أن يتعجل باليأس أو يضيق صدره من هذا التعبير (بالجنون)، فقال تعالى " ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ "[442] .

لذلك قال " ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ "[443] .

و قال أخذنا منه باليمين، مع أن المأخوذ به إلى القتل يأخذ من الشمال حتى يرى السيف، و يضرب في نحره لا في عنقه – و حاول أن تتخيل الوضعية كي تتبدى لك جلية واضحة–.

هناك لطيفة أود أن أوردها لم أقف على مفسير ذكرها أبداً، و هي قوة شخص هذا النبي و هو يتنزل عليه هذا التهديد، لذلك لم يغفل عن تبليغ حتى لفظة (قل) التي بدأت بها بعض السور (كسورة الإخلاص، سورة الفلق، سورة الناس ...).

ثم أن هناك لطيفة أخرى يمكن أن أدرجها ضمن التفسير الإشاري لم اعثر على تفسير ذكرها كذلك، و هي أن هذا التهديد جاء على صيغة المداعبة لنبيه الكريم و ليس تهديداً حقيقياً، و مثال ذلك الولد النجيب الذي يتأكد أستاذه من نجاحه لكنه يأخذ بطرف أذنه بلطف و يداعبه بالتهديد، فهو كلام أقرب إلى المداعبة منه إلى التهديد فمن وصفه الله بالكريم،

---

[442] سورة القلم الآيات 48 إلى 52

* الملاحظ أن هذه السورة بدأت بقوله (ن)، و هذا الحرف فضلاً على ما قيل عنه كغيره من الحروف التي على رؤوس السور، فهو يحمل معنى آخر، فصاحب الحوت الذي اختتمت به السورة يسمى (ذو النون) في قوله تعالى من سورة الأنبياء الآية (87) (و ذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، فبدأت هذه السورة بالنون، و انتهت بذب النون، سبحان الله العظيم.

[443] الحاقة الآيات 44، 45، 46، 47

لا يمكن أن يكذب و يتقول على الله فيما بعد من أجل ذلك أرجح أنها مداعبة و نفي للافتراء عنه، و ليس تهديداً حقيقياً، و الله أعلم.

أضف إلى هذا، أن الكلام كله "و لو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين فما منكم من أحد عنه حاجزين"، جاء على سبيل الاعتراض و دليل ذلك الآية الموالية "و إنه لتذكرة للمتقين"، و كأنه قال – تنزيل من رب العالمين، و إنه لتذكرة للمتقين – فأنعم بهذه اللطافة و هذه الأسرار و الإشارات.

بعد هذا تأتي الالتفاتة "و إنا لنعلم أن منكم مكذبين"[444]، و هي إشارة إلى أن كل ما جاء في السورة، خلال الفقرات الثلاثة، يوهم القارئ أن كل الناس مؤمنة، حتى الذين تظاهروا بالإيمان، و كي يشعرنا الله أنه بكل شيء عليم، قال – و رغم ذلك كله – "و إنا لنعلم أن منكم مكذبين"، و كأنه جواب عن سؤال، و هل يكذب بعد هذا أحد ؟ فكان هذا الجواب، فأنعم بهذا التناسب يا من سير الله لك ذكره.

ثم كان الإخبار المقتضب، حتى لا يحتو لان يكذب المؤمن لكون أن غيره كذب فحذر و قال "﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢ ﴾"[445].

و إشارة العظيم هنا تضفي على السورة كلها المهابة و الجلال، فقد استهلت بأمر عظيم، الحاقة، و ختمت بالعظيم نفسه و هو رب العالمين.

و بهذا أظن أن لحمة السورة كانت واضحة و أن ارتباطها كان قوياً و متيناً و أنه كان لكل فقرة مقدمات و خاتمة و كانت كل فقرة تمثل مقدمة للاحقة، إنه تنزيل رب العالمين فسبحان الله العظيم و تعالى عما يشركون.

---

[444] سورة الحاقة الآية 49

[445] سورة الحاقة الآيات 50، 51، 52

المطلب الثاني: حسن مجاورة هذه السورة مع السورتين اللاحقتين

إن سورة الحاقة – كما أسلفنا – سورة تعالج أمر البعث، و أنه حق و كان الاتجاه إلى تصوير الهول و الرعب في هذا اليوم، ممثلين في حركات عنيفة في مشاهد الكون الهائلة كالنفخ في الصور، و حمل الأرض و الجبال و انشقاق السماء، ثم ذلك الجلال المهيب و المشهد المرهوب "﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾"، أما هناك في سورة المعارج التي تليها، فيقول سيد قطب – رحمه الله – : "أما هنا في هذه السورة، فالهول يتجلى في ملامح النفوس و سماتها و خلجاتها و خطواتها، أكثر مما يتجلى في مشاهد الكون و حركاته"[446].

فالمشاهد و الصور و الظلال لهذا اليوم تختلف في سورة المعارج عنها في سورة الحاقة، مع اتحاد الحقيقة الرئيسية التي تعرضها السورتان في هذه المشاهد.

---

[446] في ظلال القرآن ص 3691

فإذا استعرضنا هذه السورة من أولها إلى آخرها نكاد نمر بنفس المراحل التي عالجتها سورة الحاقة[447]، فهي تبدأ بإثبات سورة الواقعة " ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ ﴾ "[448]، و تقدر الزمان و المكان و تسري على النبي ﷺ و تعرض أشكالاً مما يحدث يوم القيامة " ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ ﴾ "[449]، ثم تفصل صفات المجرمين و حالهم يوم القيامة ثم صفات المومنين في الدنيا تفصيلاً واسعاً يحمل تسع صفات بالقسم – كعادة هذه السور– على أن الله عز و جل قادر على إفنائهم و استبدالهم بقوم مومنين، و لكنه يمهلهم. و بعد هذا دائماً يثبت ذلك الأمر الواقع " ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤ ﴾ "[450].

وجه التناسب بين سورة الحاقة و هذه السورة

يقول الألوسي : "و هي كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف القيامة و النار و قد قال ابن عباس : إنها نزلت عقب سورة الحاقة"[451].

و يقول صاحب الظلال : "ظاهرة أخرى في الإيقاع الموسيقي للسورة، الناشئ من بنائها التعبيري فقد كان التنوع في الحاقة ناشئاً من تغير الفاصلة في السياق من فقرة لفقرة، وفق المعنى و الجو فيه، فأما هنا في سورة المعارج فالتنوع أبعد نطاقاً، و الجملة الموسيقية هنا أعمق و أعرض و أشد تركيباً"[452].

---

[447] هناك من يسمي هذه السورة بالواقعة (نقله الآلوسي).

[448] سورة المعارج الآية 1

[449] سورة المعارج الآيات 8، 9

[450] سورة المعارج الآية 44

[451] الأساس في التفسير ح6، ص 6130.

[452] الظلال ج11، ص 3694

و يقول سعيد حوى –رحمه الله– : "فإذا تذكرنا سورة الحاقة التي تحدثت عن أصحاب الشمال و تحدثت عن المكذبين بالقرآن في أواخرها، ندرك صلة سورة الحاقة بسورة المعارج، و ندرك كيف كانت سورة الحاقة مقدمة"[453].

هذه النصوص كافية و شافعة لنا كي نضيف هذه الفقرة القصيرة حول هذا التناسب : "إن الخطاب إذا كان على وتيرة واحدة، و خاصة عند الشدة –كسورة الحاقة– لا يخدم كثيراً النفس البشرية كما وصفه الله في السورة "خلق الإنسان هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً و إذا مسه الخير منوعاً"[454].

فكان الخطاب في سورة الحاقة للانتباه ، وجاء في سورة المعارج للتدبر، جاءت الأوصاف في سورة الحاقة مقتضبة معظمها مثناة، و جاء في سورة المعارج مفصلاً بلغت فيه صفات المؤمنين ثمان صفات.

أما سورة نوح – مع تغاضينا عن علاقتها مع سورة المعارج – فلقد جاءت تسرية للنبي – صلى الله عليه و سلم– في سورة الملك بعد أن كذبه قومه "كلا ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا و قلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير"[455].

و كذّبه قومه في سورة القلم و رموه بالجنون "ن و القلم و ما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون"، ثم رموه بالكهانة و الشعر في سورة الحاقة "و ما هو بقول شاعر قليلاً ما تومنون و لا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون"[456].

حين تضيق صدور الأنبياء

لما حدث كل ذلك، و لا بد أن يكون رسول الله ﷺ قد ضاق صدره بما يقولون، كما قال المولى في سورة الحجر "و لقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك و كن من الساجدين و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين"[457] *.

---

[453] الأساس ج11، ص 6130

[454] سورة المعارج الآيات 19، 20، 21

[455] سورة الملك الآيات 8، 9

[456] سورة الحاقة الآيات 41، 42

[457] سورة الحجر الآيات 97، 98، 99

و قد ضاقت صدور الأنبياء من قبل، كيونس —عليه السلام– و قد سبق ذكر قصته وكذلك موسى —عليه السلام– "قال ربي إني أخاف أن يكذبون و يضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون"[458].

و هكذا كان الرسول تحت عناية ربه يذكره من الحين إلى الآخر بأنه أدرى بنفسه وبحاله، و كلما ضاق صدره أو ضاقت صدور المؤمنين اخبره بذلك، و من ذلك قوله تعالى: " ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ ﴾ "[459].

و قوله تعالى و امتنانه على المؤمنين " ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ﴾ "[460].

و قوله تعالى "و على الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم"[461].

لهذا جاءت سورة نوح مقتضبة، يُطوى فيها الزمان طياً، فنوح بعث في قومه مدة طويلةً جداً، قال عز و جل "و قد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان و هم ظالمون"[462].

و كل هذه المدة تعرض كومضة عابرة أن أخبر بإرساله، أخبر بدعوته و كيف كان يلح عليهم بالاستغفار و توقير الله بالإمهال و الزيادة في المال و البنين، ثم بين كيف تنكروا له فقال

---

[458] سورة الشعراء الآيتين 12، 13

* لاحظ هنا كيف ختمت هذه السورة بالتسبيح كذلك بعد أن نفى عن نبيه تهمة المشركين، فالتسبيح هو سلاح المؤمن عند الاتهام (فسبحان الله عما يصفون).

[459] سورة النحل الآية 127

[460] سورة التوبة الآية 25

[461] سورة التوبة الآية 118

[462] سورة العنكبوت الآية 14

تعالى "و إني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم و استغشوا ثيابهم وأصروا و استكبروا استكباراً"[463]. ثم أخبر عن مصيرهم فقال "مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا"[464].

ثم أخبر عن ما يجب أن يقوله كل نبي بعد دعوته، ألا و هو الاستغفار.

فقال "رب اغفر لي و لوالدي و لمن دخل بيتي مؤمناً و للمؤمنين و المؤمنات و لا تزد الظالمين إلا تباراً"[465].

فمن كانت هذه قصة حياته، و كان هذا هو عناد قومه و تنكرهم له و عدم إتاحة الفرصة له حتى للسماع، يعد نموذجاً للصبر، و هذا مراد الله تعالى في التسرية على نبيه، فما لاقى نوح عليه السلام ليس باليسير إذا ما قورن بما لاقى و عانى نبي الله محمد ﷺ و بهذا تكون سورة المعارج شارحة لفحوى سورة الحاقة و أهوال القيامة و تكون سورة نوح مبينة لمعنى خاتمة هذه السورة "و إنه لقول رسول كريم"، و بهذا نكون بإذن الله تعالى قد استوفينا و أحطنا بجميع الجوانب التي رأيناها مهمة حول هذه السورة النموذجية لمعنى التناسب في القرآن الكريم، الذي اصطحبناه في البحث، و هناك روافد اعتمدناها في المباحث السابقة ولم نجد لها مكاناً في هذه السورة، منها سبب النزول، إذ لم يرد لهذه السورة سبب نزول قوي. وقد اعتمدنا في بحثنا هذا صحة الأثر لذلك أهملنا مثل هذه الروايات الضعيفة.

خاتمة:

بهذه الطريقة الاستقرائية والمقارنة و الربط بين بدايات السور و خواتمها، و محاولة إيجاد بعض المفردات المفتاحية، و الجمع بين الزمر و العائلات اللغوية التي تربطها علاقات ترادف أو تضاد أو اشتقاق، يمكننا أن نصل إلى نظرية شاملة تضم كل السور القرآنية بطريقة علمية محضة بعيدا عن كل ألوان التكلف و أنواع التعسف التي قضت على روح النصوص وأفقدتها جاذبيتها البيانية وهذا ما يستدعي منا التريث واصطحاب الوسائل التناسبية والموضوعية في استقراء النصوص القرآنية، و إلا أضحت هذه الدراسات تنظيرية نظرية، أكثر منها عملية كما أسلفنا و تعرضنا إلى هذه الأعمال المتعلقة بالتفسير الموضوعي.

---

[463] سورة نوح الآية 07

[464] سورة نوح الآية 25

[465] سورة نوح الآية 28

الفصل الرابع

العمل التطبيقي على بعض السور القرآنية

(سورة القيامة)

المبحث الأول

التفسير الموضوعي لسورة القيامة

المطلب الأول : بين يدي السورة، التفسير والتحليل

المطلب الثاني: تقسيم مقاطع السورة

المبحث الثاني

التفسير الموضوعي للسورة

المطلب الأول: علاقة سبب النزول بموضوع السورة

المطلب الثاني: الربط الموضوعي بين أعضاء السورة

الفصل الرابع

العمل التطبيقي على بعض السور القرآنية

(سورة القيامة)

المبحث الأول: التفسير الموضوعي لسورة القيامة

المطلب الأول: بين يدي السورة، التفسير والتحليل

سورة القيامة[466]

[466] يوم القيامة حقيقة غيبية يمثل التصديق بها أحد أركان الإيمان وأطلق عليه في القرآن الكريم أسماء متعددة، منها يوم الدين يوم الفصل؛ يوم البعث، يوم التغابن، يوم الحشر، إلى جانب يوم القيامة. والإيمان به على الوجه الصحيح مفض إلى

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ
قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ
٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ
رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ
١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ
رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ
رَاقٖ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥
أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ
مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠ ﴾ [467] .

تعريف بالسورة:

تمهيد:

سلامة النفس ورشد التصور، واستقامة السلوك قال تعالى:﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ ﴾ الروم: 14-16

[467] سورة القيامة كاملة

يقول الدكتور سعيد جاسم:" إن النظر في المادة اللغوية يترتب عليه الإحاطة بحياة الألفاظ، و مسيرتها الدلالية.."انتهى[468]

سورة القيامة سورة مكية بالإجماع، آياتها أربعون آية،كلها مكية، قاله البقاعي، و ابن كثير، و الفخر الرازي، و الطبري، و الثعالبي، و الطاهر بن عاشور، و لم يشذ أحد بالقول أنها أو جزئ منها مدني[469].

جاء أسلوب السورة يحمل نغمة حزينة تنبئ بالندم الذي يحدث يوم القيامة. يتراوح بين الإنشائية و الخبرية. فتارة يخبر و تارة يتوعد، يجمع بين التحول الكوني و البعث البشري في صورة رهيبة فيها الأبصار بارقة، و القمر خاسف، و الشمس منطفئة ملفوفة إلى القمر.

يعرضها سيد قطب بقوله: "هذه السورة الصغيرة تحشد على القلب البشري من الحقائق و المؤثرات، الصور و المشاهد، الإيقاعات واللمسات ما لا قبل له بمواجهته و لا التفلت منه...تحشده بقوة؛ في أسلوب خاص، يجعل لها طابعا قرآنيا مميزا. سواء في أسلوب الأداء التعبيري، أو أسلوب الأداء الموسيقي، حيث يجتمع هذا وذاك على إيقاع تأثيري شعوري قوي، تصعب مواجهته، ويصعب التفلت منه أيضا".[470]

تفسير السورة تحليليا[471]

عمدنا إلى هذا التفسير التحليلي كي لا تشغلنا الألفاظ الغريبة خلال دراستنا الموضوعية.

القسم هو لإثبات المعاد و الرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد، و لهذا قال تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾

قال الحسن: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة، و قال قتادة: بل أقسم بهما جميعا، هكذا حكاه ابن أبي حاتم، و قد حكى ابن أبي جرير عن الحسن و الأعرج أنهما قرءا ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ و هذا يوجه قول الحسن لأنه أثبت القسم يوم القيامة و ننفى القسم

---

[468] سؤال في التفسير،الدكتور سعيد جاسم الزبيدي،توزيع دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،الطبعة1425،1/2005،ص67

[469] تراجع كتب التفسير فمن لم يشر إلى أن السورة مكية، بين من خلال عنوانها" القيامة مكية آياتها أربعون آية"

[470] في ظلال القرآن، سيد قطب،ج6/ص3766الطبعة الشرعية15

[471] عمدنا إلى هذا التفسير التحليلي كي لا تشغلنا الألفاظ الغريبة خلال دراستنا الموضوعية

بالنفس اللوامة، و الصحيح أنها أقسم بهما جميعا كما قال قتادة رحمه الله، و هو المروي عن ابن عباس و سعيد بن جبير، و اختاره ابن جرير، أما يوم القيامة فمعروف و أما النفس اللوامة، فقال قرة بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن و الله ما نراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلمتي، ما أردت بكلمتي، ما أردت بحديث نفسي، و إن الفاجر يمضي قد مل قدما ما يعاتب نفسه، و قال جويبر: بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ قال: ليس أحد من أحد السموات و الأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة. و قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان عن ابن جرير عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله (ٱللَّوَّامَةِ) قال: تلوم على الخير والشر، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال: هي النفس اللئوم، و قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: اللوامة المذمومة، و قال قتادة(ٱللَّوَّامَةِ) الفاجرة. قال ابن جرير: و كل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى و الأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير و الشر و تندم على ما فات.

و قوله تعالى: (أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ) أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه و جمعها من أماكنها المتفرقة (بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ) قال سعيد بن جبير و العوفي عن ابن عباس: أن نجعله خفا أو حافرا، و كذا قال مجاهد و عكرمة و الحسن و قتادة و الضحاك و ابن جرير، ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا، و الظاهر من الآية أن قوله تعالى: (قَٰدِرِينَ) أنا لا نجمع عظامه؟ بل سنجمعها قادرين على أن نسوّي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها، و لو شئنا بعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه و هي أطراف أصابعه مستوية، و هذا معنى قول ابن قتيبة و الزجاج، و قول: (بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ) قال سعيد عن ابن عباس: يعني يمضي قدما، و قال العوفي عن ابن عباس (لِيَفۡجُرَ) يعني الأمل و يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، و يقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة. و قال مجاهد: (يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ) ليمضي أمامه راكبا رأسه، و قال الحسن: لا يلفي ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدما إلا من عصمه الله تعالى، و روي عن عكرمة و سعيد ابن جبير و الضحاك و السدي و غير واحد من السلف: هو الذي يجعل الذنوب و يسوف التوبة، و قال

علي ابن طلحة عن ابن عباس: هو الكافر يكذب بيوم الحساب، و كذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من المراد، و لهذا قال بعده (أَيَّانَ) أي يقول متى يكون يوم القيامة، و إنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه و تكذيب لوجوده كما قال تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[472]

وقال تعالى ههنا (برق البصر) قرأ ابن عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار، و هذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾[473].

أي ينظرون من الفزع هكذا و هكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب، و قوله تعالى: (وَخَسَفَ) أي ذهب ضوءه (وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ) و قرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية (إذا ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾) و روي عن ابن مسعود أنه قرأ (﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾). و قوله تعالى: (أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ) أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر و يقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل، قال الله تعالى: (﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾) أي لا نجاة، و هذه الآية كقوله تعالى:

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[474] أي ليس لكم مكان تتنكرون فيه، و كذا قال ههنا (لَا وَزَرَ)[475] أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه، و لهذا قال (ٱلْمُسْتَقَرُّ) أي المرجع و المصير.

---

[472] سبأ الآية 30/29

[473] إبراهيم الآية43

[474] الشورى الآية47

[475] جاء في تفسير الفخر الرازي"قال المبرد والزجاج أصل الوزر الجبل المنيع، ثم يقال لكل من التجأت إليه وزر، وانشد المبرد قول كعب بن مالك: الناس آلت علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا وزر
و معنى الآية لا شيء يعتصم به من أمر الله.

ثم قال تعالى: (يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ ..) أي يخبر بجميع أعماله قديمها و حديثها، أولها و آخرها صغيرها و كبيرها، كما قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[476]، و هكذا قال ههنا (بَصِيرَةٌ) أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله لو اعتذر و أنكر، كما قال تعالى :(﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[477]، و قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (بَصِيرَةٌ) يقول: سمعه و بصره و يديه و رجليه و جوارحه. و قال قتادة: شاهد على نفسه و في رواية قال: إذا شئت و الله رأيته بصيرا عيوب الناس و ذنوبهم غافلا عن ذنوبه. وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك و تترك الجذع في عينك لا تبصره.

و قال مجاهد (مَعَاذِيرَهُۥ) و لو جادل فهو بصير عليها. و قال قتادة (مَعَاذِيرَهُۥ) و لو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه . و قال السدي (مَعَاذِيرَهُۥ)حجته. و كذا قال ابن زيد و الحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير. وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (معاذيره) يقول: لو ألقى ثيابه. وقال الضحاك: ولو ألقى ستوره وأهل اليمن يسمون الستر العذار. والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[478]، و قال العوفي عن ابن عباس هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[479]

(لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ .....فَاقِرَةٌ)

---

[476] الكهف الآية 49

[477] الإسراء الآية 14

[478] المجادلة الاية18

[479] الروم الآية57

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمر الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه ، وأن يبينه له و يفسره ويوضحه . فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ...ولهذا قال تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ) أي بالقرآن، كما قال تعالى: (وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا) ثم قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ) أي في صدرك (وَقُرْءَانَهُۥ) أي أن تقرأه (فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ) أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى: (فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ) أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمان عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه، قال: فقال لي ابن عباس: أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه، وقال لي سعيد: وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه، فأنزل الله عز وجل: (لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ)[480] قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه (فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ) أي فاستمع له وأنصت (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ) فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه .

و قال ابن حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحي التيمي، حدثنا موسى ابن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به شفتيه، فأنزل الله تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ) وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ) تبين حلاله و حرامه وكذا قال قتادة. و قوله عز وجل على رسوله صلى الله عليه

---

[480] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، ج1،ص4
صحيح مسلم، باب الاستماع للقراءة، ج2، ص35

وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم، إنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة. ثم قال تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) أي تراه عيانا كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: "إنكم سترون ربكم عيانا" [481]. وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال: " هل تضامون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ " قالوا: لا، قال: " إنكم ترون ربكم كذلك"[482].

وفي الصحيحين عن والتابعين قال جرير قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال: " إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا" وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أهل الجنة – قال– يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة " ثم تلا هذه الآية:(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)[483].

و هذا بحمد الله مجمع عليه بالصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام ، وهداة الأنام ، ومن تأول ذلك بأن المراد ب(إلى) مفرد الآلاء و هي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال: تنتظر الثواب من ربها، قال الشافعي رحمه الله تعالى: ما حجب الكفار و إلا قد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) .

---

[481] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، ج9،ص156

[482] مسند أحمد بن حنبل،مسند أبي سعيد الخذري، ج3، ص16/صحيح مسلم باب فضل صلاة الصبح والعصر، ج2 ص113

[483] صحيح مسلم، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة،ج1، ص115

و قوله تعالى: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة، قال قتادة: كالحة وقال السدي: تغير ألوانها، وقال ابن زيد (بَاسِرَةٌ) أي عابسة (تَظُنُّ) أي تستيقن (أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) قال مجاهد: داهية، وقال قتادة: شر، وقال السدي تستيقن أنها هالكة، وقال ابن زيد: تظن أنها ستدخل النار، وهذا المقام كقوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ) وكقوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) .

المطلب الثاني: التقسيم الموضوعي للسورة

التقسيم الموضوعي لحصر العائلة الموضوعية الأكثر شيوعا[484]

السورة	م/مدنية	اسم الزمرة	1	2	3
القيامة	مكية		عائلة (الجمع)	عائلة (العجلة)	عائلة (الزمن)
		الجمع 32%	نجمع الآية3	يسأل أيان الآية6	بيوم الآية1
		العجلة 16%	نسوي الآية 3	برق الآية7	أيان الآية 6
		الزمن 45%	جمع الآية3	لتعجل الآية16	يوم الآية 6

[484] بعد المضي في هذا العمل باستعمال الحقل والعائلة اللغوية عثرت مؤخرا أن الدكتور أحمد بن عثمان رحماني قد وضع قواعد شبيهة بذلك ويرى أن قواعد منهج التفسير الموضوعي الكشفي:

- تحديد السورة ، ودراسة مطلعها
- محاولة كشف العلاقة بين اسمها ومعاني آياتها،ومناسبة نزولها
- الاعتماد على العائلة اللغوية في تحديد الموضوع حسب التقنيات اللغوية الثابتة مثل: الاشتقاق، الترادف،التضاد،المعاني القريبة للاطلاع أكثر يراجع كتابه مناهج التفسير الموضوعي، ص130

				المستقر الآية 12	العاجلة الآية 20	إذا الآية 7
				قدم وأخر الآية 13		يومئذ الآية10
				جمع الآية19		يومئذ الآية12
				قرآنه الآية19		يومئذ الآية13
				الفراق الآية 28		يومئذ الآية22
				ألتفت الآية29		يومئذ الآية24
						إذا الآية26

ملاحظة: إذا حذفنا المكرر من العائلة الثالثة (يومئذ– إذا) تكون نسبة العائلة الثانية والعائلة الثالثة متساوية وتكون النسبة الغالبة للعائلة الأولى وبذلك تفرض نسبة الموضوع إليها وتكون النسب كالتالي:

الجمع بنسبة 52.94 /العجلة بنسبة 23.52/ الزمن بنسبة 23.52 بالتساوي.

العلة التي توسطت السورة

تمهيد تعريفي:

أطلقت هذه التسمية أو الصفة أو المصطلح،لأنه عادة ما تكون الفكرة الدخيلة أو الغريبة عن الموضوع الظاهر هي المفتاح الحقيقي للسورة؛ والعلة مصطلح أصولي تدور كل الأحكام الفقهية و الأصوليه حوله وجودا وعدما.

والعلة التي أشرنا إليها في بداية البحث؛كانت التساؤل الأولي لهذا البحث الأكاديمي، فمعظم السور القرآنية، يلحظ المتأمل أنها تطرقت إلى موضوع لا صلة له بالمحور العام للسورة؛ وكان القدماء يعدونه حذفا أو التفاتا؛ أو تنويعا للموضوعات وحجتهم في ذلك أن الرتابة (أي le ritme) من شأنها تورث الملل لدى القارئ، ولكن عند تقصي البحث و الاكتشاف التي استدعت هذا التضمين لموضوع أو موضوعات يحسبها الجاهل دخيلة على الموضوع الأصلي ، إنما هي المفتاح السحري الذي من خلاله نلج إلى المحور الأساسي للسورة القرآنية، وهو ما أطلقنا عليه الذوق أو اللون الجامع.

ماهية هذه العلة:

بقراءة سردية سريعة، لا يختلف حولها اثنان نلحظ أن الآيات (16-17-18-19) و هي قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[485]

فهي من الناحية الموضوعية لا علاقة له بموضوع السورة الذي هو القيامة فالآيات الأربع تتحدث رأسا عن النبي صلى الله عليه و سلم (يراجع التفسير التحليلي). وهذا تساؤل قديم وحديث ولعل أهم من أبرز هذا الموضوع من السورة نفسها وله أصول كذلك قديمة.

و لنا الآن أن نتساءل ما محل هذه الفقرة الخاصة بتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم بموضوع القيامة؟ وهل طرح هذا السؤال من قبلنا؟

عود على بدء

إذا تتبعنا الزمر اللغوية المتمثلة في (الجمع والعجلة والزمن) المبينة في الجدول السابق فإننا نجد الصفات التي تربط برباط مشترك هاته الآيات الأربع بباقي السورة ألا وهي الجمع و العجلة والإطار الزماني. كلها متوفرة في هذه الفقرة الغريبة أو الدخيلة موضوعيا.

إذن كيف ولماذا؟ يقول الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:"و لا يخفى ارتباط الجملة أو الجمل القرآنية بسائر عناصر النص التي هي جزء منه إلا في نحو"التربية المعترضة"كتربية الله لرسوله بأن لا يعجل بالقرآن. فقد جاءت هذه التربية معترضة في سورة القيامة. كما يربي المعلم الطالب ضمن درس من العلم فينهاه أو يأمره حول واجب من واجبات المتعلم، أو طريقة من طرق التعلم، ثم يستمر معه في متابعة درسه الذي يلقيه عليه.

و يحسن هذا الاعتراض حينما يراد تحقيق غرض تربوي به، أو حينما تدعو الحكمة التربوية أن تكون التربية عند حدوث ما ينافي المطلوب فيها.

والجملة الاعتراضية التربوية الواردة في سورة القيامة قد بقيت قرآنا يتلى، لتكون مثالا للتربية المعترضة ضمن دروس العلم.

---

[485] القيامة الآيات16.17.18.19

ولذلك **لا نجد مناسبة فكرية** بين قول الله تعالى لرسوله في السورة: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ و بين ماسبقه من السورة، و ما جاء بعده، لكننا نجد التناسب و الترابط تامين بين كل عناصر السورة و معانيها، باستثناء هذه المعترضة".[486]

نلاحظ هنا أن الدكتور نفى نفيا كليا أي علاقة موضوعية أو تناسبية بين هذه الآيات وباقي السورة،بل يؤكد ذلك ويقره، وسؤالنا البديهي والمنطقي،لماذا هذا التنبيه في هذه السورة بالضبط؟ وهل هناك معترضات مثلها في باقي السور القرآنية أم أنه الاعتراض الوحيد الذي وجه فيه المعلم تلميذه؟

و يقول صاحب التفسير الكبير الفخر الرازي – رحمه الله– متحدثا عن نفس العلة من هذه السورة:(و اعلم أنه في بيان المناسبة وجوها):

1 – يحتمل أن يكون الاستعجال المنهي عنه اتفق السؤال صلى الله عليه و سلم عند إنزال هذه الآيات عليه فلا جرم عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت .... كما أن المدرس إذا كان يلقي على تلميذه شيئا فأخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس في أثناء ذلك الدرس لا تلتفت يمينا وشمالا ثم يعود إلى الدرس، فإذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام في أثنائه، فمن لم يعرف السبب يقول تلك الكلمة في أثناء ذلك الدرس غير مناسبة[487].

2 – أن الله تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون السعادة العاجلة،...ثم بين أن التعجل مذموم مطلقا حتى التعجل في أمور الدين.

3 – كان يعجل العذر فيه خوف النسيان، فكأنه قيل له: إنك إذا أتيت بهذا العذر لكنك تعلم أن الحفظ لا يحصل إلا بتوفيق الله تعالى وإعانته فترك التعجيل واعتمد على هداية الله تعالى.

معالجة هذا الرأي

1 أما قوله أنه اتفق أو صادف ذلك عند نزول السورة أن الرسول الكريم كان يحرك لسانه مخافة نسيانه؛ فإنه لا يليق بكتاب سماوي والرد على ذلك من عدة أوجه:

---

[486] قواعد التدبر،ص،17/16

13الفخر الرازي.التفسير الكبير.دار إحياء التراث.بيروت.ط3.ص222

أ – إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾[488] وهذا التفصيل يستدعي أن لا مصادفة تقتضي إدماج أمر خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ضمن سورة تتعلق بالقيامة. ثم إن سورة القيامة رغم أنها مكية لكن ليست من أوائل السور نزولا [489]، وهذا يقتضي أن النبي صلى الله عليه يحرك لسانه للحفظ في السور الأوائل نزولا، كيف وهو النبي الأمي وعادة ما يتلعثم التلميذ ويخاف النسيان ويحرص على الحفظ في أيامه الأولى من الدراسة.

ب – أن التنبيه على ذلك ورد في سورة أخرى قال الله تعالى: (وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)[490].

ج _ هناك سور مكية أكثر تعقيدا وصعوبة على الحفظ، وكان الأولى أن يحرك النبي صلى الله عليه وسلم لسانه فيها ويوجه إليه هذا التنبيه.

د – أما مثاله عن المدرس يلقي الدرس ثم يلتفت إلى التلميذ، فما يقوله المدرس للتلميذ لا يكتب على الكراسة، وإذا كتب إلى جانب التاريخ أو الرياضيات أو غيرها من العلوم هذا الالتفات فيعد لغوا. والقرآن الكريم منزه عن هذا، أما أن يكون الالتفات له علاقة بالدرس فهو أمر محمود مطلقا. كأن يكون المدرس يتكلم عن الاحتراز من الطريق والحذر من السيارات ويشير إلى زميل من الطلبة أمامه قد أصيب بحادث مماثل. وهذا يعد تمثيلا لا التفاتا.

2 – أما قوله أن الله تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون العاجلة فبين أن التعجيل مذموم مطلقا. فإن هذا الكلام وجيه جدا، ويكاد يكون المفسر الوحيد الذي أشار إلى هذا الربط الدقيق في حدود علمي. لأن السورة كلها كان مدارها على عدم التسرع في إصدار الأحكام وإثبات النشر بعد جمع العظام.

3 _ أما قوله عدم تعجيل العذر مع علم النبي صلى الله عليه وسلم أن الحفظ لا يحصل إلا بالتوفيق، فهي كلام صحيح لكن لا يليق أن يكون موجبا للرد عن موقع هذه الآيات من السورة الكريمة؛ سورة القيامة.

---

488 سورة فصلت الآية 3

489 تعد سورة القيامة في المرتبة الواحد والثلاثون حسب ترتيب النزول

490 سورة طه الآية 114

عود على بدء و التنظير الموضوعي

هناك دة ملاحظات جديرة بالتوقف عندها:

أ – الملاحظ الجلي أن هذه الآيات استوقفت جميع المفسرين التي يهتمون بالجانب الموضوعي ، وكل قد أسند ذلك إلى سبب من الأسباب المذكورة سابقا أو غيرها من الأسباب. و لعل غير المهتمين بهذا الترابط ديدنهم في ذلك مقولتهم المشهورة: (وبعدما انتهى من الحديث عن المكذبين بيوم القيامة انتقل إلى تنبيه نبيه عليه الصلاة والسلام وتذكيره بأن القرآن الكريم محفوظ فلا يتسرع في الحفظ عند تلقى الوحي).[491]

ب– لعل هذا هو إشكال الأطروحة التي نحن بصدد إنجازها فقد ذكرنا في إشكالية البحث أن هذه الآية من الآيات المشكلات التي استوقفتنا وكن سببا في هذا التوجه من البحث الموضوعي، وأشباهها قليل كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾[492].

فما علاقة المرح والكبرياء بخرق الأرض أو بلوغ الجبال طولا.

ج– خلال دراستنا التي تعقب هذه الإشارات سنثبت بإذن الله تعالى وتوفيقه لماذا جاءت هذه الآيات المحيرات في هذا الموقع بالضبط وأنها ليست اعتراضية بل لها موقع مناسب تماما ولها موقع وموقف مناسب جدا أن ينبه فيه النبي صلى الله عليه وسلم،كما ذكرنا في النقطة عند معالجة رأي من يرى أنها جملة اعتراضية ولا علاقة لها بموضوع سورة القيامة.

في رأي – والله أعلم – لم يوفق السابقون في تحديد ماهية السورة أو لونها أو ما أطلقنا عليه ذوق السورة وهو ما سبب إشكالا لديهم في موقع هذه الآيات من السورة.

د– نفس الإشكال وقع مع قوله تعالى من سورة الطارق: ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾ ﴾[493].

---

[491] تراجع كتب التفسير التحليلية فمعظمها يتخلص بنفس التخلص(وبعدما انتهى من الحديث عن...انتقل إلى الحديث عن...)

[492] الإسراء الآية37

[493] الطارق الآيات17/16/15

فقد أبهم على المفسرين موقع كيد الكفار من سورة تتحدث عن الطارق والسماء ذات الرجع و الأرض ذات الصدع و خلق الإنسان. ولو تدبر المفسرون و أدركوا أن محور السورة هو الحفظ كما همست بذلك السورة في أولها:(إن كل نفس لما عليها حافظ) لأدركوا أن النبي محفوظ كما حفظ الطارق وكما حفظت كل نفس كيف وقد عصمه الله من الناس.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [494]

وقال: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠ ﴾ [495].

بهذه التقنية الفريدة التي إن يسرها الله تعالى لمن سلك سبيل هذا الفن يمكننا أن نزيل هذا الإبهام ونتخلص من كثير من الخجل الذي ينتابنا في مثل هذه المواقف وإنه – والله– السهل الممتنع.[496]

---

[494] المائدة الآية67

[495] الأنفال الآية30

[496] هناك سلسلة تحت عنوان " من موضوعات سور القرآن الكريم"من تأليف عبد الحميد محمود طهماز،دار القلم،طبعة1997،يتعرض إلى السورة القرآنية ،فمثلا يقول في تعريفه بسورة المومنون"اهتمت سورة المؤمنون بإبراز خلق الإنسان، وبيان أنه لا ينتهي بالموت،إذ ينتقل بالموت من الدنيا إلى البرزخ الذي يفصله عن الآخرة، يبعثه الله تعالى يوم القيامة للخلود في النعيم أو في الجحيم" ص7

وحتى وإن كان مدار السورة حول الموت فقد اختصر الله تعالى ذلك في سورة أخرى هي سورة التكاثر، فلاحظ أن لفظة "زرتم"كافية لطي كل معاني أن لبوث الإنسان في القبر هو مجرد زيارة فقط ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨ ﴾ التكاثر: الآيات من 1 – 8

غير أن المؤلف لم يوفق دوما في تحديد موضوعات السور ولم يدقق في تحديدها ، بل يشير إلى ذلك انطلاقا من بداية السورة أو لتكرر بعض المواد كالموت أو البعث في هذه السورة، والله أعلم بالصواب

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي للسورة

المطلب الأول: علاقة سبب النزول بموضوع السورة

سبب النزول

سبب نزول الآية (أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ) نزلت في عمر بن ربيعة و ذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال حدثني عن يوم القيامة **متى** يكون و**كيف** أمرها و**حالها** فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال **لو عاينت** ذلك اليوم **لم أصدقك يا محمد و لن** أؤمن بك أو **يجمع** الله **هذه** العظام فأنزل الله تعالى هذه الآية [497].وهذه العظام يقصد أناملا يده.

نلاحظ أن طريقة سؤال هذا الجاحد- عمر بن ربيعة - كانت بطريقة استعلائية و استنكارية حتى كأني به من خلال سؤاله (متى؛ كيف؛ حالها؛ لو عاينت ذلك، لم أصدقك؛ يا محمد؛ لن أؤمن) ــ وهي الكلمات التي وضعناها عن قصد تحتها سطر ــ يشير بيديه إلى السماء وكل هذه الصفات وهذه الحركات أوجزها الله في دقة متناهية في قوله:

﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ ﴾ [498] أيـــــان

وعمدنا لتوضيح هذه الطريقة في الإشارة والسؤال لأننا سنتعرض إليها خلال التفسير الموضوعي للسورة وعلاقته بقوله تعالى ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ [499] من نفس السورة.

يقول عبد القاهر الجرجاني"واعلم وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه لينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، ويعي الجواب"[500].

---

[497] أسباب النزول ، أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النيسابوري قصر الكتاب، البليدة ص150

[498] القيامة الآية 6

[499] القيامة الآية4

علاقة الجوار بالسور الأخرى المجاورة

العلاقة بالسابقة "سورة المدثر "

حسب ترتيب المصحف فإن سورتنا التي هي موضوع الدراسة تتوسط سورتين مكيتين، هما سورة المدثر و سورة الإنسان .

أما سورة المدثر فهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم وكانت أمرا للنبي صلى الله عليه وسلم بالإنذار وليعلن وسط الناس أن الله أكبر من كل الآلهة وكل الطواغيت وبعدها مباشرة يعقب بدنو يوم القيامة ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ [501] ثم يعالج قضية تهكم مماثلة للتي في سورة القيامة ؛ بطلها هذه المرة الوليد بن المغيرة [502] فقال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [503]

---

[500] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، موفم للنشر.1991. ص128

[501] المدثر الآية 9/8

[502] أخبرنا أبو القاسم الحذامي أخبرنا محمد بن عبد الله بن نعيم أخبرنا محمد بن علي الصغاني أخبرنا إسحق بن إبراهيم اللزبري أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن وكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قبله فقال قد علمت قريش إني من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له وكاره قال وماذا أقول فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزها وبقصيدتها مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله أن لقوله الذي يقول حلاوة وأن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه معلق أسفله وأنه لا يعلو وما يعلى قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فيه فقال هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره فنزلت (فذرني ومن خلقت وحيدا) الآيات كلها قال مجاهد إن الوليد بن المغيرة كان يغشي النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه حتى حسبت قريش أنه يسلم فقال له أبو جهل أن قريشا تزعم أنك إنما تأتي محمدا وابن أبي قحافة تصيب من طعامهما فقال الوليد لقريش إنكم ذوو أحساب وذوو أحلام وإنكم تزعمون أن محمد مجنون وهل رأيتموه يبنطق بشعر قط قالو لا قال فتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالو لا قالت قريش للوليد فما هو قال فما هو إلا ساحر وما بقوله سحر فذلك قوله إنه فكر وقدر إلى قوله تعالى (إن هذا إلا سحر يؤثر)

[503] المدثر من الآية 11حتى 25

ثم تتوعده بأنه سيصلى سقر واصفا إياها بأنه لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر وأن عليها خزنة من الملائكة غلاظ شداد وأنهم فتنة للذين كفروا ويقين للذين آمنوا وأن كل هذا الإنذار للرسول وبأوصاف النار ما هو إلا ذكرى للبشر ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾[504].

ثم يتعرض إلى صنفين من الناس؛ هم أصحاب اليمين في جنات يتنعمون يسألون عن المجرمون في سقر يتعذبون .وتختم السورة بالحديث عن المكذبين بيوم القيامة وكأنه تعريض بقدوم سورة اسمها القيامة فقال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾[505] .

وسبحان الله فإن عمر بن ربيعة بطريقته التي وصفنا وهو يكذب النبي صلى الله عليه وسلم ويفر منه بقوله لا أومن بك ولو رأيت القيامة بعيني لا يستحق هو و أمثاله كالوليد بن المغيرة إلا هذا الوصف(كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وإنما وصلوا إلى هذا الحد من التكذيب إلا لأنهم لا يخافون الآخرة قال تعالى ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾[506]

و هكذا تكون سورة المدثر قد مهدت لوصول سورة القيامة.

أما البقاعي والذي يهتم كثيرا بتناسب السور فيرى أن سورة القيامة: مقصودها الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإنذار صلى الله عليه وسلم لعظمة مرسله سبحانه وتمام اقتداره بأنه

---

[504] المدثر 31حتى 37

[505] المدثر49حتى 51

[506] المدثر الآية53

كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان بعد الرسوم بشرح آخر سورته من أن هذا القرآن تذكرة عظيمة.....)[507]

والملاحظ أنه مجرد ربط ركيك بين موضوع السورتين، فهو كلام عام لا يستند إلى أدنى صلة بعلة السورتين.

علاقة سورة الإنسان اللاحقة بسورة القيامة:

جاءت سورة الإنسان مذكرة منذ بدايتها هذا الإنسان الذي نسي خلقه ونشأته الأولى وقال بكل وقاحة وهو يضم أصابعه أمام النبي صلى الله عليه وسلم أن الله ليس قادرا على جمعها قريبا من الصيغة التي جاءت بها في سورة (يس) قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[508].

جاء في أسباب النزول"أخبرنا سعيد بن محمد بن جعفر قال أخبرنا أبو علي بن بكر الفقيه قال أخبرنا أحمد بن الحسين بن الجنيد قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا هشيم قال حدثنا حصين بن علي بن أبي مالك عن أبي بن خلف الجمحي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بين يديه وقال يا محمد يبعث الله هذا بعدما أرم ؟ فقال نعم يبعث الله هذا و يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم ، فنزلت هذه الآيات"[509]

بنفس الطريقة بينها وأكدها في سورة الإنسان المجاورة بقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾.

و تمضي السورة بنفس الطريقة التي مضت بها السورة السابقة سورة المدثر فتتحدث عن صنف أهل النار الذين أعد لهم الله سلاسلا وأغلالا وسعيرا، وإنما خص هنا بالعذاب السلاسل

---

[507] نظم الدرر صفحة241 الجزء8

[508] يس الآية79/78

[509] أسباب النزول، النيسابوري، ص208

مستدرك الحاكم على الصحيحين،تفسير سورة يس،ج2، 466

والأغلال والتي عادة ما توضع في الأيادي ردا على قول عمر بن ربيعة الذي رفع يديه في حضرة نبي مرسل وأشار بهما أن الله لا يجمع عظامهما. وتتواصل في حديث طويل إلى أصناف من الخيرات التي ينعم بها المقربون من فواكه وحور وملائكة يختصرها الله بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [510]

ثم تختم السورة بقول يشبه ما اختتمت به سورة المدثر إشعارا بحقيقة القيامة فقال تعالى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [511]

جاء في الجواهر الإحسان حول معنى هذه الآية (" الأسر" الخلقة و اتساق الأعضاء والمفاصل وعبارة البخاري (أسرهم) شدة الخلق وكل شيء شددته من قتب أو غبيط فهو ما سور و الغبيط شيء يركبه النساء شبه المحفة انتهى.

قال (ع): و من اللفظة الأسار و هو القيد الذي يشد به الأسير

ثم توعدهم سبحانه بالتبديل، و في الوعيد بالتبديل احتجاج على منكري البعث أي من هذه قدرته في الإيجاد والتبديل، فكيف تتعذر عليه الإعادة، قال الثعلبي: (بدلنا أمثالهم تبديلا) قال ابن عباس: يقول أهلكناهم و جئنا بأطوع لله منهم .)[512] .

كانت هذه لمحة سريعة على محتوى كل من السورتين المجاورتين، كل من سورة المدثر وسورة الإنسان. بل الأعجب أن المدثر وهو الذي وضع الدثار عليه وتغطى حتى لا يراه أحد أشبه بالمقبور في كفنه؛ ثم تليه القيامة ليقوم ويصير إنسانا يحاسب على أعماله؛ هكذا جاء الترتيب، قبر فقيامة فإنسان.

تمهيد

بعد هذا تأتي سورة القيامة ساطعة بألوانها الثلاثة التي أثبتناها في الجدول السابق (الجمع، العجلة؛ و الزمن). فكيف كان التوزيع و النسب و الجو العام للسورة، و ما علاقة ذلك كله بالعلة المتمثلة في الآيات (15. 16. 17. 18. 19). و التي كانت تخص النبي صلى الله عليه

---

[510] الإنسان الآية 20

[511] الإنسان الآية28

[512] سيدي عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن،تحقيق د عمار طالبي. المؤسسة الوطنية للكتاب؛ص535

وسلم بعدم التعجل في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام.؟ و سنشرع أولا في عملية مسح شاملة حول تواجد هذه اللفظة في هذه السورة ثم علاقتها باللونين الآخرين، و علاقة كل منهما بالعلة المذكور سابقا. (لا تحرك به لسانك لتعجل به).

الفئة الأولى: المجمع

كلمة القيامة[513] نفسها تعني مكان يقوم فيه الناس لأمر ما. من ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[514]

وهذا القيام لا يعني فردا واحدا بل يعني الناس جميعا. و هو بهذا كذلك يعني الجمع، ومادة الجمع من أهم المواد المستعملة في هذه السورة، بله هي أهم طيف من الألوان الثلاثة التي هي الجمع والعجلة والزمن.

قال الله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[515]

أما قوله تعالى﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[516] فهنا كذلك يعني الجمع،﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾ ، جاء في تفسير الزمخشري[517] هذه الآية ما يلي:

---

[513] من المفارقات العجيبة أن لفظة القيامة لم ترد بعد سورة القيامة في السور اللاحقة حسب ترتيب المصحف الشريف

[514] المطففين الآيات،4.5.6

[515] الجاثية الآية26

[516] القيامة الآية2

[517] ولد الزمخشري الخوارزمي ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر في زمخشر يوم الاربعاء السابع والعشرين في شهر رجب 1074م\467هـ وتوفي ليلة عرفة سنة 11433م\538هـ وكان علامة ونسابة .

وكان يجاهر بمذهبه في الاعتزال ويصرح به في كل مجالسه وكان إذا قصد صاحبا له استأذن عليه في الدخول ويقول قل له المعتزل وقد بذل جهده لتثبيت مذهبه الاعتزالي والدفاع عن أصوله الخمسة التي هي التوحيد والعدل والوعد الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدحه الشعراء والأدباء وطلب العلماء أن يعطيهم إجازة في رواية كتبه وقد كتب تواضعا قد رد تواضعا على من مدحوه كلاما طويلا يقول فيه

ذكر التاج الكندي أنه رأى الزمخشري على باب الإمام أبي منصور بن الجواليقي .وقال الكمال الأنباري لما قدم الزمخشري للحج، أتاه شيخنا أبو السعادات بن الشجري مهنئا بقدومه، قائلاً:

"زوجت أي **قرنت** كل نفس بشكلها. و قيل قرنت الأرواح بالأجساد. وقيل بكتبها وأعمالها. وعن الحسن هو قوله تعالى:"وكنتم أزواجا ثلاثة" وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين"[518]

و قريب من هذا القول ما جاء في معظم التفاسير التحليلية.

بل هذا اللوم لا يمكن أن يكون من طرف واحد؛ حتى وإن تبين أن الشخص واحد. ولنستمع جميعا إلى هذا الحوار العجيب ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

أليس هذا حوار بين مجموعة كاملة جاء تفصيلها في مكان آخر بقوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [519]

أليس هذا جمعا؟

تأتي بعد هذا لفظة الجمع صريحة في قوله تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾[520]

كانت مسائلة الركبان تخبرني عن أحمد بن علي أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما رأى بصري

قال: أنشدنا إسماعيل بن عبد الله، أنشدني و هي تدل على أنه كان عزيز النفس، محباً للعلم، مقبلاً على شأنه. ومن شعره ما رواه السمعاني

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي من وصل غانيةٍ وطول عناق
و تمايلي طرباً لحل عويصة أشهى وأحلى من مدامة ساقي
و ألذّ من نقر الفتاة لدفها و أحلى من الدوكاء والعشاق
أأبيت سهران الدجى وتبيته نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي؟؟

[518] الكشاف.ص708 ج4
[519] النور الآية 24
[520] القيامة الآية3

فإذا توالت هذه الآيات بيانيا لتفيد الجمع فكيف بالإنسان يكذب بجمع عظامه ؟ بل ويرفع مخلبه في حضرة النبي الصديق ـ عليه الصلاة والسلام ـ بلهجة تكذيبية نحو السماء بقوله ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ ﴾ [521].

قال الإمام الزمخشري "يسأل سؤال متعنت، مستبعد ليوم القيامة(أيان يوم القيامة)ونحوه ويقولون متى هذا الوعد"[522].

وهذا الكلام مطابق لما جاء به الفخر الرازي في تفسير هذه الآية أو منقولا عنه.

أما ابن كثير فيحصر(أيان)في معنى متى.

وفي كل الحالات فإن هيئة السؤال بلفظة أيان تفيد رفع الصوت والذراع معا، وإلا عدل إلى السؤال بمتى أو غيره من الصيغ. فالصحابي الذي سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الساعة لم يسأله بأيان ؛ بل بمتى تقوم الساعة يا رسول الله.[523]

جاء في شرح لامية ابن تيمية عن قوله تعالى:﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ ﴾[524].أليس الرسول . صلى الله عليه وسلم . لما سأله الصحابي قال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال له . صلى الله عليه وسلم . ماذا أعددت لها.هل أجابه ؟ لم يجبه في وقتها. هذا يعتبر تأديبا للسائل أن يسأل. قالوا فإذا وقع الجواب عن السؤال اعتبر عقوبة وتغليظا لهذا السائل."[525]

---

[521] القيامة الآية 6

[522] الكشاف،ص660. ج4

[523] جاء في صحيح ابن خزيمة149/3 بالصيغة التالية"أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة.قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.فلما جاءت العصر قال أين السائل قال الرجل أنا يا رسول الله قال ماذا أعددت لها؟ قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، قال: المرء مع من أحب.

[524] النازعات الآية11/10

[525] شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية،ج4ص10

من أجل هذا جاءت الآية السابقة لتجعل اللاحقة سببا في وجودها﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ [526].و هذا يعد تصوير للهيئة، وكأني أنظر إلى الرجل مادا ذراعه؛ فاركا أصابعه إلى السماء؛ مستفهما؛ مكذبا في نفس الوقت.

يقول سيد قطب شارحا هذا المعنى"...والسؤال بأيان . هذا اللفظ المديد الجرس . يوحي باستبعاده لهذا اليوم...وذلك تمشيا مع رغبته في أن يفجر ويمضي في فجوره، لا يصده شبح البحث وشبح الآخرة..والآخرة لجام للنفس الراغبة في الشر، و مصد للقلب المحب للفجور. فهو يحاول إزالة هذا المصد، وإزاحة هذا اللجام، لينطلق في الشر و الفجور بلا حساب ليوم الحساب.

يقول صاحب أضواء البيان" كل المفسرين على أن المعنى أن نجعل بنانه متساوية ملتحمة كخف البعير، أي لا يستطيع أن يتناول بها شيئا ولا يحسن بها عملا.."[527]

وقال سيد طنطاوي في تفسيره هذه الآية: "يقال سوى فلانا الشيء إذا جعله مستويا لا عوج فيه ولا اضطراب."[528] و تسوية البنان لا تكون إلا بجمع الأصابع بعضها إلى بعض، وهذا يعد كذلك جمعا واضحا.

و حسب ما وصلنا من التفاسير كما أشار البيضاوي سابقا، وحسب استعلاء عمر بن ربيعة فإن الله تعالى عرَض بجعل يده التي رفعها بحافر حمار أو أي حيوان، مع أن السورة اشتملت على لفظ الإنسان ست مرات وهي إشارة بأنه لا يستحق هذه التسمية ولا الصفة ؛ صفة إنسان[529] بل أكثر من ذلك ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ

---

[526] القيامة الآية 4

[527] أضواء البيان في إيضاح القرآن.ج8 ص372 تفسير القيامة.

[528] الوسيط،سيد طنطاوي,باب القيامة،ج1ص4378

[529] قال الزمخشري صاحب الكشاف: فإن قلت كيف جعلوا أضل من الأنعام؟ قلت لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحس إليها ممن يسيء إليها وتطلب من ينفعها وتتجنب من يضرها، وتهتدي لمراعيها ومشاربها.وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم. ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي للاستزادة (ج3ص94)

قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾..[530]

بعد هذا الاستنكار و وصف هيئة هذا المكذب. يأتي الرد سريعا خاطفا، وليس هناك ما كان يتوافر عليه العرب أسرع من لمح البصر ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

بهذه السرعة كان الرد عليه ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾ نعم سيخسف بصرك كما يخسف القمر، ويزول ضوئه كما تزول رؤيتك ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

و **جمع** الشمس والقمر، يا من كذبت واستبعدت أن يجمع الله عظامك يقول لك الله:

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[531].

وجمع الشمس والقمر أكبر من جمع حزمة من العظام ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[532]

و لفظة الجمع هنا صريحة لا تحتاج إلى توضيح ولا بيان ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[533]

---

[530] الأعراف179

[531] غافر الآية 57

[532] لقمان الآية 28

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[534].

فنلاحظ أن معظم ما ورد من لفظ الجمع كان يخص هذا اليوم العصيب الذي وردت هذه الآيات المتتاليات لتوضيح وتثبيته، تارة بالزجر؛ وتارة بالعقل؛ وتارة أخرى بالتقريع والتهويل. كما يمر مع صاحبنا في الآيات التالية.

يقول ابن خلف حينها ويقول عمر بن ربيعة – وأمثالهما كثير [535] – بنفس الصيغة المكذبة آنفا: **يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ** . حيث لا معالم، لا جبال لا شمس في مكانها ولا قمر مضيء. أين المفر، و لنفتح المجال للمصور السينمائي سيد قطب رحمه الله يعرض هذا المشهد"...ومن ثم كان الجواب على التهكم ..سريعا خاطفا حاسما، ليس فيه تريث ولا إبطاء حتى في إيقاع النظم، وجرس الألفاظ. وكان مشهدا من مشاهد القيامة تشترك فيه الحواس والمشاعر الإنسانية، والمشاهد الكونية..."فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر. يقول الإنسان **أين المفر؟**"

فالبصر يخطف ويتقلب سريعا سريعا تقلب البرق وخطفه، والقمر يخسف ويطمس نوره، والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق....في وسط هذا الذعر و الانقلاب، يتساءل الإنسان المرعوب، {أين المفر؟؟}.

وكأنما ينظر في كل اتجاه، فإذا هو مسدود دونه.مأخوذ عليه.[536]

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[537]

---

[533] الشورى الآية 7

[534] التغابن الآية9

[535] أجمع المفسرون على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

[536] في ظلال القرآن.ص3769 ج6

الملاحظ هنا أن الجمع لم يكن جمع الشمس والقمر وحسب، بل وحتى البشر وغير البشر.
أين المفر؟ كان هذا هو السؤال أين المفر ؟؟.
أما الجواب فكان لا وزر، لا مفر، لا ملجأ ولا وقاية، فالمستقر عنده ولا مستقر غيره.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ كلمة المستقر تعني كذلك الجمع فحيث يستقر الناس يعتبر مكان تجمعهم ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [538]

هكذا تقرر كل الآيات أنه جمع وجمع و جمع قال أبو حامد الغزالي:"فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة [539].

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [540]

أما قوله تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾[541] . يقول ابن كثير: "أي بجميع أعماله، قديمها وحديثها ،أولها وآخرها،صغيرها وكبيرها{ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا}"[542].

فهنا كذلك جمع لجميع الأعمال في سجل واحد ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [543]

---

[537] التغابن الآية9
[538] يس الآية 53
[539] إحياء علوم الدين،أبو حامد الغزالي،دار المعرفة، بيروت،ص512 ج4
[540] الواقعة
[541] القيامة الآية 13
[542] تفسير ابن كثير، ص 95 ج7
[543] الكهف الآية 49

بعد هذا التقرير المفعم بالحركة أنا، و بالسكون و الذهول أنا آخر، في مشاهد حاضرة بادية للعيان تأتي الجملة الاعتراضية ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[544].

ما يهمنا في هذا المقام ورود لفظة الجمع، فقد وردت واضحة صريحة (جمعه) وجاءت كذلك بلفظة قرآنه و هي تعني كذلك الجمع[545]. جاء في تأويل مشكل القرآن "يريد انته عن أن تعجل به"[546]، أما كلمة قرآنه فتعني كذلك جمعه.

يقول الفخر الرازي:" قوله (إن علينا جمعه) معناه علينا جمعه في صدرك وحفظك، و قوله (وَقُرْءَانَهُۥ) فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد من القرآن القراءة، وعلى هذا التقدير ففيه احتمالان، أحدهما أن يكون المراد جبريل – عليه السلام – سيعيده عليك حتى تحفظه.والثاني أن يكون المراد إنا سنقرئك يا محمد إلى أن تصير بحيث لا تنساه، وهو المراد من قوله﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾.

فعلى هذا الوجه الأول القارئ جبريل عليه السلام وعلى الوجه الثاني القارئ محمد صلى الله عليه وسلم.

و الوجه الثاني أن يكون المراد من القرآن الجمع والتأليف، من قولهم: وما قرأت الناقة سلاقط، أي ما جمعت، وقد ذكرنا ذلك عند تفسير القرء. فإن قيل فعلى هذا الوجه يكون الجمع والقرآن واحدا فيلزم التكرار، قلنا يحتمل أن يكون المراد من الجمع؛ جمعه في نفسه و وجوده الخارجي، ومن القرآن جمعه في ذهنه وحفظه، وحينئذ يندفع التكرار".[547]

ثم تمضي السورة كما بينا في التفسير التحليلي، مؤكدة تسرع الإنسان، وعدم إدراكه لما ينظره مستغلة تسرع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تلقي القرآن(كلا بل تحبون العاجلة) أي أن الإنسان بطبعه متسرع في الأمور كلها لتمرير والتخلص من المكذب الأول إلى باقي موضوع السورة و تصنيف الناس إلى شقي وسعيد.

---

[544] القيامة الآيات 16.17.18.19

[545] قد بينا سابقا أن القرأ يعني الجمع

[546] تأويل مشكل القرآن،أبي محمد عبد الله مسلم بن قتيبة، دار التراث،

[547] التفسير الكبير،ص 225ج30/29

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾[548]

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾[549]

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾[550]

يأتي قوله تعالى بعد ذلك ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[551] .

فهذه الوجوه الناظرة النضرة، والوجوه الباسرة؛ الظانة أن يفعل بها فاقرة. يجمعها الرابط الزمني (يومئذ). فهذا نوع من الجمع كذلك عبر عنه بالزمن، وقد سبق في بداية هذه السورة، قريبا من هذا النوع وشفعنا بآيات أخر تفيد هذا الجمع.

أما قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[552]

كلمة الفراق من نفس العائلة التي هي الجمع كما أثبتنا في الجدول المرفق سابقا. فالفراق عكس الجمع.وهي تعني فراقه لأهل الدنيا. وأنه لن يرى أحدا بعد ذلك. لأنه كان يعتقد أن الموت هي النهاية الأخيرة، ولا بعث ولا نشور، بل هذا مجرد سحر يقوم به محمد .

﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[553] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾[554]

---

[548] الإسراء الآية 11

[549] الأنبياء الآية 37

[550] ص الآية 16

[551] القيامة الآيات 22.23.24.25

[552] القيامة الآيات 28.29.

[553] الطور الآية 15/14

أما التفاف الساق بالساق فكذلك واضح أنه يدل على طريقة من طرق الجمع وهي التفاف الساق بالساق الأخرى، ولولا هذا الغرض البياني الذي يخدم موضوع السورة لعبر الله عن الموت بمعاني أخرى، وما أكثرها في القرآن الكريم.نذكر منها على سبيل المثال: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[555]

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[556]

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[557]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾[558].

و قال حاتم

أماويَ ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الحديث والذكر

و قد علم الأقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر[559]

---

[554] هود الآية 7

[555] آل عمران الآية 143

[556] الأنعام الآية 93

[557] ق الآية 19

[558] المؤمنون الآية 99

[559] ماوي مرخم.أصله ماوية، اسم أمه وهي بنت عفير. وكانت تلومه، ومن بين لومها ورده عليها الأبيات المشهورة

تقول لي أهلكت مالك فاقتصد وما أنا لوما تقولين سيدا

أريني جوادا مات هزلا لعلي أرى ما ترين أو بخيلا مخلد

هذه نماذج متفرقة، عدل الله بالتعبير عنها في هذا الموضع لأنه لا يناسبه إلا الجمع، فالتفاف الساق بالساق كناية عن عدم الحركة وبالتالي الموت. جاء عن الحسن البصري: "هما ساقاك إذا لتفتا، ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالا، وكذلك قال السُّدي عن أبي مالك، وفي رواية عن الحسن: هو لفهما في الكفن."[560]

وشبيه به قول حكاه الفخر الرازي أنه إذا مات يبست ساقاه، والتصقت إحداهما بالأخرى.[561]

و في كل الحالات فإن هناك جمع بين الساقين.

أما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[562].

فلفظة (فَسَوَّىٰ) قد مرت بنا وتعني الجمع.

أما لفظة (الزوجين) فكذلك تعني الجمع وقريب من قوله تعالى في سورة النجم

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾[563]

وقوله تعالى في سورة الشورى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[564]

و لا يمكن أن نطلق عليهما لفظ زوجين إلا باجتماعهما ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[565]

كلوا من رزق الله و أيسروا فإن على الرحمن رزقكم غدا

[560] تفسير ابن كثير ص97 ج7

[561] التفسير الكبير، ج30/29 ص232

[562] القيامة الآيات38.39.40

[563] النجم الآية 45

[564] الشورى: 29

[565] الروم الآية 21

ملاحظة: احتلت هذه اللفظة النسبة الغالبة والتي قدرت حسب الجدول المرفق بنسبة مئوية 52،94بالمئة.

كانت هذه الجولة السريعة والممتعة مع هذه الصفة الغالبة والتي هي اللون الغالب {الجمع}.
نخلص الآن إلى اللون الثاني بإذن اله تعالى.

الفئة الثانية: العجلة

توطئة:

العجلة صفة منهي عنها، شرعا و عرفا، والمطلوب من المؤمن التريث والتثبت، في الأعمال وإصدار الأحكام، والتصرف مع الناس. فقد ورد عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "التأني من الله، والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر معاذير من الله، وما شيء أحب إلى الله من الحمد"[566].

بل أوخذ موسى – عليه السلام – حين تعجل للقاء ربه تاركا وراءه بني إسرائيل رفقة أخيه هارون – عليه السلام – و نال من تسرعه الغضب والأسف والأسى على ما حل بقومه من بعده، ولنترك الآيات الكريمات تصف ذلك ببديع من القول يتقاسمه شوق الله وخيبة الأمل، ونكوص بني إسرائيل.

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾

والأشد من ذلك أن موسى عليه السلام [567]تعجل في إخبار الله تعالى بما يعلم، وما يعتقده أنه الصواب بأن قومه على أثره. فكان التعجل في سبقهم وكان التعجل في إجابة ربه. ولما كانت شخصية موسى عليه السلام اندفاعية ولا يصبر على المنكر ولا يتريث، ،طلب مباشرة قائلا :﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ ﴾ [568]بعد أن أمر بالذهاب إلى فرعون .

---

[566] رواه أبو يعلى في مسنده ، ورواته رواة الصحيح،هكذا ورد في الترغيب والترهيب للمنذري ج3 ص418/السنن الكبرى للبيهقي،باب التثبت في الحكم،الجزء10ص104/

[567] هو موسى بن عمران بن يصهربن قاهث، وينتهي نسبه إلى يعقوب عليه السلام، ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

ولد في عهد الطاغية فرعون.

[568] طه الآية 25

فبدون هذا الشرح لا يمكن أن يصبر على تطاول فرعون[569] وتجبره.
وإليك جدول تواجد هذه اللفظة ومرادفاتها في الحقل القرآني:

اللفظ	عدد المرات	السورة
تعجل	ثلاث مرات	البقرة الآية 203
		مريم الآية 84
		طه الآية 114
العاجلة	ثلاث مرات	الإسراء 18
		القيامة 20
		الانسان27
عجلت	مرة واحدة	طه 84
يعجل	مرة واحدة	يونس الآية11
عجل	مرة واحدة	الأنبياء الآية 37
عجِل	مرة واحدة	ص الآية 15
استعجالهم	مرة واحدة	يونس الآية 11
استعجلتم	مرة واحدة	الأحقاف الآية24
يستعجلون	ثلاث مرات	الشعراء الآية204
		الصافات الآية 176
		الذاريات الآية 159
عجولا	مرة واحدة	الإسراء الآية 11
يسارعون	ست مرات	آل عمران الآية 176
		المائدة الآية 41

[569] تولى فرعون الملك بعد هلاك أخيه قابوس الذي دعاه يوسف عليه السلام إلى الإسلام فأبى، وكان جبارا عنيدا،فهلك و تولى فرعون الملك بعده، وكان أظغى وأعتى من أخيه، وعمر مدة تزيد على400سنة، وأقام بنو اسرئيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وهم على بقايا من دين آبائهم فأذاقهم سوء العذاب يذبح أبنائهم ويستحي نسائهم.ورد ذكر فرعون67 مرة في 61 آية كعبرة لكل الطغاة والظالمين أمثاله.

		المائدة الآية 52
		المائدة الآية 62
		الأنبياء الآية 92
		المؤمنون الآية 61
سراعا	مرتين	ق الآية 44
		المعارج الآية 42

كان هذا الجرد لمشتقات العجلة والسرعة، ومعظمها جاء في مقام الذم، إلا في ثلاثة أو أربعة مواضع.

وأردنا بهذا الإحصاء أن نبين أن وجودها في هذه السورة إنما جاء لغرض خاص ومعين، وخاصة أنه تكرر فيها بصورة ملفتة رغم قلة آيات هذه السورة. وقد استفدنا من ذلك باكتشاف تعدد لفظة يسارعون في سورة المائدة.

بنفس الطريقة التي سلكناها في المرحلة السابقة مع الفئة الأولى نتتبع تواجد هذه اللفظة في السورة. فكيف كان تواجدها وتوزيعها؟

قال تعالى: ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ ﴾[570]

إن التسرع والتعجل هو الذي جعل السائل يسأل هذا السؤال. ولهذا كان جواب النبي – صلى الله عليه وسلم– على الذي سأله هذا السؤال "ماذا أعددت لها؟؟" يعني لماذا تتسرع؟ فلو كانت كل حياتك عبادة ما تعجلت هذا الموعد الصعب. وهو أشبه بالتلميذ الذي ينتظر الامتحان. فليس من المعقول أن يتمنى الطالب دنو الامتحان. ومن تمناه إما لأنه لا يبالي هل رسب أم فاز، أو أنه ينكر وجود امتحان أصلا، فالعجلة هنا ظاهرة.

ولنصغي إلى قوله تعالى يصف هذه الحالة: ﴿ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ۝١٨ ﴾[571]

---

[570] القيامة الآيات5.6

أما قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ ﴾ [572]

فإذا برق البصر، إشارة إلى السرعة والخفة والعجلة، فمهما يتسرع الإنسان فالله أسرع ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ۝٦٢ ﴾ [573]

أما قوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ ﴾

فاللفظة هنا ظاهرة (لتعجل به) فقد نهى الله تعالى نبيه أن يتعجل في تلقي ومحاولة التلفظ بالقرآن الكريم والملك جبريل لا زال معك يملي عليه.

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ ﴾

فكذلك اللفظة صريحة واضحة (العاجلة)

هذه الآية برق البصر عبارة عن نوع من العجلة، وهي قرينة من القرائن ولها مثيلات في القرآن الكريم منها:

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ ﴾ [574]

﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٧٧ ﴾

وهي إشارة إلى أن الإنسان الذي كان يتعجل القيامة، تعجل المنكر لها؛ فهاهي قد وقعت مع أن الله قد وصف قربها في مواطن أخرى بصيغ أبطأ من هذه. جاء في سورة الأنبياء قوله تعالى:

﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ ﴾ [575]

---

[571] الشورى الآية 18

القيامة الآية07

[573] الأنعام الآية 62

القمر الآية50

[575] الأنبياء الآيات 1.2

قال الله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ [576]

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۝١٧ ﴾ [577].

هذه عدة صيغ إلى غيرها من الصيغ التي تناولت موضوع الساعة وأجلها، أما فيما يخص سورتنا فقد جاءت بصيغة سريعة جدا(إذا برق البصر)..

ملاحظة: احتلت هذه اللفظة نسبة 23.52%والتي قدرت حسب الجدول المرفق بنفس نسبة الجمع 23.52بالمئة.

الفئة الثالثة: الزمن

هذه الفئة من الزمن ظاهرة ولا تحتاج إلى بيان أو توضيح فهي والإنسان في هذه السورة متوازيان حتى نهايتها ونلخص ذلك في النقاط التالية ولأن الزمن في هذه السورة حاملا وليس محمولا بمعنى أنه وسيلة لتوظيف هذه المعاني في هذه السورة لمن لنتطرق إليه بنفس الكيفية التي تناولنا بها الفئتين السابقتين.

---

[576] القمر الآية

[577] الشورى الآية 17

لفظة القيامة بذاتها تعني الزمن ، ولفظة [إيّان]تفيد الزمن، فإذا تتبعنا السورة إلى آخرها نجد أنّ الوحدات الزمنية: يومئذ ، إذا... تشكل مجموعة متوازية للّون الأول الذي هو العجلة، وتشكل نفس النسبة ب23.52%.

توطئة:

لعل هذا مربض الفرس، بل هذا مفتاح الإشكال كله، فبعد هذا الجهد ولأجله بنيت كل هذه الرسالة كما أثبتنا ذلك في المقدمة عند الحديث عن إشكالية البحث.

الروابط الموضوعية بين الفئات الثلاثة وعلّة السورة

إذا رجعنا إلى الآيات التي استغرب المفسرون وجودها وحاولوا توجيهها بعّدة طرق ، كان أشهرها أنها جملة اعتراضية لا علاقة لها لا بسابق السورة ولا بلاحقها.

وقد تعرّضنا في حينها إلى الردّ على هذه المزاعم ، أمّا الآن فنخلص إلى معالجتها معالجة موضوعية.

هذه الآيات التي بين أيدينا:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [578]

هي التي شكلت هذا الإشكال نجد فيها- التي يزعمون أنها اعتراضية - تتوفّر على الألوان الثلاثة:

ملاحظة: نلاحظ الكلمات التي تحتها سطر.

- العجلة [لتعجل به]
- الجمع [إنا علينا جمعه] و[وقرآنه]
- الزمن [فإذا] و [ثم]

بهذه الثلاثية التي اتصفت بها هذه الآيات التي تبدو معترضة ندرك لماذا اختار الله سبحانه و تعالى هذه الآيات أن تكون ضمن هذه السورة بالذات ، وكان بالإمكان -ما دامت معترضة - أن تكون ضمن أي سورة أخرى ، وبالأخص السور التي تتحدث عن تلاوة القرآن وغيرها.

---

[578] القيامة الآيات 16.17.18.19

و على نفس الخطى بإمكاننا أن نوجّه موضوعات كثيرة من السور القرآنية ، بل إنّ هذه الجمل التي يتراءى للقارئ أنها اعتراضية قد تكون مفتاحاً لموضوع أي السورة.

و من الصعب جدّاً إطلاق مصطلح معيّن على هذا النوع أو الصفة التي تتصف بها السور. فسورة القيامة- مثلا- كان الغالب على صفاتها مادة الجمع، فكيف نسمي هذه الصفة الطاغية؟

و سورة الطارق التي كانت صفة الحفظ فيها ظاهرة من أولها إلى آخرها توقعنا في نفس الإشكال الاصطلاحي، وسنتعرض لها لاحقاً.

و سورة الحاقة التي سادت فيها صفة تحقيق الوعود من الله على عباده في الدنيا والآخرة كذلك.

بعد جهد لتوضيح هذه المعاني لمدة أكثر من أربعة عشر سنة ونحن نزاول تفسير هذه السور وأمثالها ، لم نعثر على مصطلح ثابت بإمكانه أن يسدّ هذه الثغرة الاصطلاحية ، إلاّ ما كان من تمثيل بسيط يقنع السامع ولا أراه مصطلحاً لائقاً ، فهناك فرق بين موضوع كموضوع الحفظ في سورة الطارق وبين مصطلح غالب كالجمع في سورة القيامة.

وقد مثّلنا لذلك بمشروب واحد ذا علامة تجارية واحدة ومحتويات واحدة يصدر عن منتج واحد، إلا أن الاختلاف يكمن في أن الأول بذوق البرتقال والثاني بذوق التفاح والثالث بذوق الرمان والرابع بذوق الليمون .....

وإن كان المنتج واحد، وهذا يعيدنا إلى أن كثيرا من السور القرآنية تتحدث عن الميعاد والقيامة مثل:سورة القيامة ؛ سورة الحج ؛ سورة الأنبياء؛ سورة الحاقة ؛سورة الانشقاق.. إلى غيرها من السور ، فمن الناحية الموضوعية موضوعها القيامة ، غير أن الاختلاف أن لكل سورة نكهة خاصة أو ذوق خاص ، وقد يتساءل سائل لماذا هذا الزخم من السور مع أن القيامة واحدة ، قلنا كما أنّ هناك اختلاف في الأذواق ، في المأكولات والمشروبات ، فهناك اختلاف في التلقي.فالقصيدة التي تهز هذا قد لا تؤثر في غيره، فإن الله كذلك عدّد القيامة بهذه الأصناف من الألوان والأذواق حسب اختلاف الناس في تقبّلهم وأذواقهم ، فهناك من يستهويه الترغيب

والتخويف، في آن واحد ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[579]

و هناك من يستهويه الطمع في الآخرة فقط ، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم و هو يتحدث عن الجنة بالمسجد فشخر أحد الصحابة الكرام شخرة واحدة وفاضت روحه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم تاقت روح أخيهم إلى الجنة[580].

و هناك من لا يجزره إلا ذكر النار، وهناك من لا يبالي لا بوعد ولا بوعيد قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[581].

كان هذا الرابط السري والسحري الذي شكل هذه الألوان و التنوع ، و هو الخيط الرفيع الذي ضم هذه الأذواق، وهذا التفنّن في وصف الآخرة بطرق مختلفة وصور مختلفة . وهذا الذي نزعمه كان اجتهادنا الخاص ، قد نكون محقين وقد نكون مجانبين الصواب ، وإلى أن نفيض البحث في باقي السور النموذجية نسأل الله أن يوفقنا.

وبعد هذا التفسير التحليلي، وبيان الزمر الثلاثة وعلاقتها بعلة السورة كما أوضحنا،نعود إلى تفسير هذه السورة تفسيرا موضوعيا، متجنبين قدر الإمكان ما ذكرناه سابقا، من بداية السورة إلى نهايتها.

---

[579] الزمر الآية 16

[580] وَفِي بَابِ الْقِرَاءَةِ فِي الْمَغْرِبِ مِنَ «الْمُوَطَّإِ» حَدِيثُ مَالِكٍ عَنْ جُبَيْرِ بن مطعم قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ بِالطُّورِ فِي الْمَغْرِبِ» .

وَفِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الطُّورِ مِنْ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيءَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ [الطّور: 35- 37] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»

[581] النجم الآيات 58حتى 61

المطلب الثاني: الربط الموضوعي بين أعضاء السورة
سورة القيامة وثنائية { العجلة و الجمع}[582]

[582] تفادينا الزمن هنا لأن الزمن والإنسان ،لأن الإنسان محور أي موضوع والزمن الإطار الذي

بدأت سورة القيامة بالقسم، إيذانا بأن الأمر جد، وجاء القسم باليوم وبالذي كذب باليوم، ثم شكلت السورة من سبب النزول محورا لها{أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه}.

بهذا السؤال (أيحسب) وما ذا يحسب؟ وماذا يعتقد؟أن الله تعالى الذي خلق السموات والأرض، وجمع بين أمه وأبيه، ليس بقادر على أن يعيده مرة أخرى. من خلال هذا الاستهلال بالحديث عن الجمع، والتكذيب به مادة أو عمودا فقريا تحبك عليه قصة القيامة هذه المرة.

و دون أن يبتعد السياق كثيرا عن ساحة المكذب، فإنه يبدأ مباشرة من يده التي ترتفع في حضرة النبي المرسل عالية على السماء، وكأني به يقول أين هذا الذي هو قادر أن يجمع عظامي. وهذا يعيدنا إلى الفرعونية المتجدرة في بعض النفوس ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[583].إن الذي يكذب بيوم الدين إنما يكذب برب هذا اليوم،وهو أمر من الوضوح بمكان.قال اله تعالى:

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[584]

فقال:﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ أي الآن وأنت تنظر، و تتحرك وتبصر قادر أن أجمع أصابعك الآن جملة واحدة، كخف بعير أو حافر حمار، مع أن ليس هنا مواد لاصقة ولا عملية جراحية ولا أسباب مألوفة لديكم تصنع هذا. هذا اليوم، فكيف وقد استنفذت أيامك بالمعصية و الكفر البواح والصوت العالي{لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ } و ماذا يقول{أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ }؟؟.

فيا أيها المعاند يوم يبرق بصرك، ويخسف قمرك وترى ما كنت تراه لا كما كنت تراه

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[585]

---

[583] الزخرف الآية 51.52

[584] المطففين الآيات 4.5.6

[585] إبراهيم الآية 48

وتتغير السنن الكونية لديك، والتي سخرها لأجلك ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[586]

نعم لعلك بلقاء ربك توقن، وأنت ترى هذا النظام البديع من كواكب سابحة، لا تتصادم ولا تتخلف عن ميعادها وأوقاتها ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[587].

لا الشمس تدرك القمر، أما اليوم الشمس أدركت القمر والقمر أدرك الشمس. هذا الذي جعل البصر يبرق خوفا ورعبا من هذا الهول وهذا التغير المفاجئ.﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[588]

نعم هذا هو الاستدراج، وهو الجرأة على الله ، وعلى نبيه – عليه الصلاة والسلام – وقد وقع هذا عيانا وحقيقة على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم – فقد روي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بِشِمَالِهِ فَقَالَ « كُلْ بِيَمِينِكَ ». قَالَ لاَ أَسْتَطِيعُ قَالَ « لاَ اسْتَطَعْتَ ». مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.[589]

كان هذا مصير من تكبر على أمر نبي للأكل بيمينه فقط فكيف بمن رفعها في وجهه ووجه ربه استكبارا واستنكارا؟ أليس بقادر على أن يسوي بنانه.

تمضي بعد ذلك السورة لتصور لنا هذا الإنسان، وقد بر ق بصره يلتفت يمينا وشمالا، حيث لا معالم ، لا جبال لا أودية أين أين المفر؟؟؟

---

[586] الرعد الآية 2

[587] يس الآية40

[588] القلم الآيات 43.44

[589] صحيح مسلم، باب آداب الطعام وأحكامه، ج6 ص109

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[590]

لا ملجأ لا مفر

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[591]

يأتي الجواب مباشرة من الله،لا تحاول،فلا وزر والوزر كما مر بنا في التفسير التحليلي هو الجبل الذي يحتمي به الفارّ من عدوه.﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾.

وهنا بعد المحاولة، محاولة الفرار، وبعد اليأس المنبثق من عدم جدوى المحاولة، ومن النداء الصادر عن الديّان﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾. يأتي العرض على المحكمة، بكل تفاصيل القضية التي مدتها هي عمر الإنسان ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾[592]

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾.بمعنى الجمع، فالله تعالى لا يجمع عظامك وحسب، بل يجمع أعمالك الماضية والمتأخرة والتي ربما نسيتها أنت نفس، فينتابك العجب قائلا:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[593]

جمع العظام، وجمع البنان ،وجمع الأعمال،ويا أيها الإنسان الذي ألف الاعتذار، لا داع للاعتذار، فأنت مدرك لفظاعة عملك، وكفرك، وتكذيبك بهذا اليوم قائلا بأسلوب هادئ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾.

---

[590] طه الآية 105.106.107

[591] الشورى الآية47

[592] الحاقة الآية 18

[593] الكهف الآية 49

فلما التقت هذه الجموع، والتي كان يكذب بها هؤلاء ويستعجلون وجودها ظنا منهم أنها لن تكون. كان من اللائق ، وقد أتيحت المناسبة، أن يتوجه الله تعالى إلى نبيه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ فقد عاينت ما فعلت العجلة بالمستعجلين في بداية السورة. إذن لا تتعجل وأنت تدرك أن ربك لا يخذلك.ألم يقل لك في بداية الوحي﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾؟ ألم يقل لك قبل هذه السورة﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ ؟ ألم يقل لك:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ؟ إذن لا تتسرع ولا تتعجل.

وقد لاحظت يا محمد الذين كذبوا بالجمع في بداية هذه السورة، وما يحيق بهم، وأن تدرك وتؤمن بهذه الحقيقة، فلماذا لا توقن بأنا قادرون على جمع هذا القرآن في صدرك، وقد جمعناه قبل ذلك﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾[594].

فهل تبين – أخي – القارئ ما علاقة هذه الآيات المعترضات بموضوع السورة القرآنية سورة القيامة؟ و لماذا اختار الله تعالى لهذه الآيات أن تكون ضمن هذه السورة ولا تكون في غيرها من السور.؟

بعد ذلك تتواصل السورة حول موضوعها الأساسي، القيامة،معرجا عن العجلة، بما في ذلك نبي الله تعالى، حتى وإن كان يتعجل الخير والبر، فكانت الآيات﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ حسن تخلص جميل لينتقل من توجيه نبيه إلى مواصلة الموضوع الأصلي للسورة بل الإجابة على سؤال ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.؟

و حتى يطمئن النبي —عليه الصلاة والسلام — والمؤمنين يعرض قسمين من الناس يوم القيامة، ويبدأ بالوجوه النضرة الجميلة ، التي تترقب النظر إلى الله، وبدأ بها لجوار نبيه لها في السورة، وقدم{ إلى ربها }لأن العيون لا تنصرف إلى غيره إذا رأته سبحانه. عَنْ جَرِيرٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً ، يَعْنِي الْبَدْرَ – فَقَالَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَرَأَ {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}.

---

[594] البروج الآية 21.22

قَالَ إِسْمَاعِيلُ افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ[595].

ولعل هذا السر الذي جعل سيدنا موسى – عليه السلام – يطنب في إجابته في وجود الحضرة الإلهية .فحين سأله ربه ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[596]

كان الجواب عصاي، فالله تعالى لم يسأله ماذا تصنع بها، غير أن الجواب كان مطولا ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[597]

ثم انتقل إلى الزمرة الثانية ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ لماذا لأنها﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ نعم فاقرة تدق العظام والعمود الفقري، الذي كان يكذب بهذا اليوم، فاقرة لأنه يفتقر إلى جبل يفر إليه لأنه لا وزر. فاقرة لأنه يفتقر إلى حسنة واحدة تحجبه عن النار، فاقرة لأن الفقرات التي فتها أبي بن كعب قائلا{يا محمد هل يستطيع ربك أن يعيد هذه بعدما أرمت} عادا إنسانا سويا برق بصره وخسف قمره ولم يعثر على وزر ولا مفر. فمن حقه أن يظن أن يفعل به فاقرة.

يا ألله ما أروع هذا البيان!!وهذه العبارة فاقرة، وكأني بها كاسحة ألغام تمر على صدر هذا المسكين، أعاذنا الله جميعا منها.

كان هذا عن القيامة الحقيقية، التي يقف فيها جميع العباد. أما قيامة كل فرد فهي موته. إلا يمكن بعد الموت أن يفعل معروفا، أو توبة أو غيرها من طرق الإحسان [598]ولذلك نهى الإسلام أن يتمنى المؤمن الموت، بخلاف الكافر الذي يتعجل القيامة.أما المؤمن إذا ما مات فقد تستمر حسناته بعده بخلاف الكافر.[599]

فسورة القيامة من الآية الأولى وحتى الآية الخامسة والعشرون، تتحدث عن القيامة الحقيقية، بخلاق المقطع من الآية السادسة والعشرون وحتى الآية الثلاثين.فإنها تتحدث عن الموت فقط.

---

[595] صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، ج1 ص145

[596] طه الآية 17

[597] طه الآية 18

[598] أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلاَّ خَيْرًا.صحيح مسلم،باب كراهة تمني الموت، ج5،ص65.

[599] عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه و سلم قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له.سنن الترمذي، باب الوقف،ج3 ص660

و لكن كيف عبرت سورتنا القيامة عن الموت، هل عبرت عنها كما عبرت عنها السور الأخرى من القرآن الكريم؟ لنتابع بعض التعبيرات في سورة أخرى ومن ثمة نعود إلى سورتنا كي يتجلى لنا

ما نصبوا إليه من تميز هذه السورة وتعلقها بمبدأ الجمع قال الله تعالى:. ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ ﴾ .[600]

نلاحظ أنه عبر عنها بالحضور في سورة البقرة.

﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣ ﴾[601]

في سورة آل عمران جعل الله تعالى الموت عبارة عن شخص يراه الناس

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾[602]

في هذه الآية جعل الله الموت مادة تذاق، و في ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨ ﴾[603]

عد الموت شخص يحضر إلى الإنسان فيتوفاه. إلى غيره من الصيغ التي بلغت خمس وثلاثون موضعا من القرآن الكريم، معظمها بصيغة الذوق أو الفرار منه،أو يساقون إليه،أو أنه يجيء أو يدرك أو يصيب.وليس واحد من هذه الصيغة يشبه ما عبرت عنه سورة القيامة، فالصيغة هنا ينبغي أن تكون مناسبة للجمع لذلك قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ وبلوغ التراقي عبارة

---

[600] البقرة الآية 180

[601] آل عمران الآية 143

[602] آل عمران الآية185

[603] النساء الآية 18

عن اجتماع للروح في مكان واحد عند عظمة الترقوة، هذه واحد، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴾ والفراق من أضداد الاجتماع والجمع، كما بينا عند تحديد الزمر اللغوية.

﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي اجتمعت الساق بالساق.فسبحان الله على هذه الهندسة الرائعة الراقية الدقيقة ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[604]

طي الورقة

عبرت بهذا التعبير لأن السورة القرآنية حين تقترب من النهاية تلوح ببدايتها فيحدث شبه تطابق بين البداية والنهاية،كما نطوي الورقة أولها بآخرها.

و هذه الملامح هي كالتالي رقم 1 يقابل رقم 1

ورقم 2 يقابل رقم 2

كيف ذلك؟ نبدأ برقم 2 .جاء في بداية السورة القيامة وهي رقم واحد وجاءت النفس اللوامة رقم إثنين.

في آخر السورة جاء ما يلي:{فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى، ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى}هذه هي الأعمال السيئة.فقد فرط فيما أمر به{فلا صدق ولا صلى}.

و جاء بما نهي عنه من التكذيب والكفر{ولكن كذب وتولى}هذه هي أعماله التي يندم عنها يوم القيامة وهي تقابل {ولا أقسم بالنفس اللوامة}فمن عايش السورة وتخيل نفسه هذا المكذب يمر بهذه المراحل ويعيشها ويلوم نفسه ويبرق بصره وتزول الشمس من بين عينيه و لو في منتصف النهار ويغيب قمره ولو ليلة البدر.

أما قوله ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ في تقابل التساؤل الخاطئ ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ .

---

[604] النساء الآية82

ثم يأتي الحسم و الفصل﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ليقابل الموضوع كله و به تختم السورة وموضوعها﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ فانظر إلى هذا التقابل المذهل، وهذا الاختتام الرائع وكيف كان الاستهلال وكانت الخاتمة. الله علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات:

لست أزعم أني حققت كلما أردت ولكن ما بينته كان غايتي، فكتاب الله أكبر من أن يحاط به فضلا عن جزئية من جزئياته. و قد أضحى جليا أن التفسير الموضوعي يعد من أهم اهتمامات الباحثين في هذا العصر كعمل مؤسساتي يتطلب مجموعة من الوسائل و الإمكانات الهائلة للإحاطة به.

فالقرآن الكريم يعمد في سياقه لإيصال الفكرة ناضجة إلى القارئ أو المستمع، إما من خلال صورة واحدة، أو مجموعة أفكار متشابهة توزعت عبر سور القرآن الكريم كله. و مهما يكن من تعسف في محاولة إغراق بعض النصوص كي تتآلف فتنتج لنا موضوعا واحدا فإنه لا يمكن بحال أن يتفق العاملون في هذا البحث على تسمية موضوع معين وفق قواعد منضبطة بخلاف موضوع السورة القرآنية الواحدة التي من شأنها أن يكون الاتفاق حولها أقرب لها و أجدى.

كان عملنا في هذه الدراسة عملا نسبيا، حاولنا من خلاله جمع كل الآراء – رغم اختلافها و تنوعها – كي نحيط بها جمعا و تحليلا على الرغم من أنّ عملنا الحقيقي كان منصبا على موضوع السورة القرآنية الواحدة، فقد عمدنا إلى اعتبار السورة القرآنية كصورة واحدة مهما تعددت ألوانها و تباينت أشكالها فإنها تمسي في الأخير ذات مدلول واحد وهدف واحد. و ربما وقع الخلاف بين العاملين فيها أو عليها بسبب زاوية النظر لكل واحد منهم. من أجل هذا فصلنا بعض صور السور التطبيقية كسورة القيامة و الحاقة مثلا، و بينا كيف أنه يظهر من الوهلة الأولى بعض التباين في أفكارها و التنوع في أساليبها و لكن بعد أن نهتدي إلى ما أطلقنا عليه المفاتيح الموضوعية، يظهر بجلاء أن موضوعها واحد كالتحقيق في سورة الحاقة و الجمع و العجلة في سورة القيامة، و الحفظ في سورة الطارق، و التقارب في سورة الأنبياء و دعائم المملكة في سورة النحل و غيرها من السور. و تجدر الإشارة أن هذه الاكتشافات كانت فردية محضة عملت فيها باجتهادي الخاص و بعد ممارسة العمل التفسيري لعدة سنوات فهي معرضة للصحة و الخطأ و النقد.

كما أني اهتديت – مجاريا بعض التعاريف الأخرى – إلى موضوعات أخرى لا تجمعها سورة واحدة بل توزعت على أكثر من سورة قرآنية و قد اصطلح عليه بالموضوع القرآني و المصطلح القرآني و الفرق بينهما أن الموضوع القرآني يتنوع من موضع إلى آخر بخلاف المصطلح القرآني

فإنه يتلون بألوان مواضعه من كل سورة. و في كل حدث، فصفة الجهل التي تنسب إلى الكفار ليست نفسها التي تنسب إلى المؤمنين و ليست نفسها التي تنسب إلى بعض الأنبياء ليست التي تنسب إلى بعض الطغاة، فاللفظة واحدة و الاصطلاح مختلف.

أملي أن هذه الدراسة لازالت بكرا و بحاجة إلى تقعيد دقيق يتقاسمه و يشترك فيه كل العاملين في هذا الحقل، حتى ينتج لنا نظرية علمية دقيقة تأخذ بأيدينا إلى نوافذ واسعة نشرعها على كتاب الله تعالى.

أهـم نتائج البحث

الخلاصة التي وصلنت إلها بعد الاستقراء والتتبع، وفي حدود اطلاعي، حول كل ما كتب في هذا الموضوع أنه بإمكاننا أن نجزم أن معظم الدراسات كانت دراسات تنظيرية متشابهة لم ترق إلى عمل تطبيقي محض حول سور القرآن الكريم أو مواضيعه بصفة عامة، لكن المتفق عليه حول هذه الدراسات كلها بإمكاننا أن نجمله في نقاط لاحقة. فقبل التعرض لهذه النقاط يجب أن نتعرض إلى التنبيهات التالية:

1 - إن النص الذي نتعامل معه نص رباني لا يخضع لنفس القواعد النقدية و التحليلية التي نتعامل بها مع النصوص البشرية الأدبية لقوله تعالى: "و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا". (النساء/82).

2 - هناك فرق بين الذي يؤمن به و بين الذي يؤمن به أنه من عند الله. قال الله تعالى: "قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء و الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر و هو عليهم عمى". (فصلت/44).

3 - علينا أن لا ننطلق في هذا العمل التفسيري دون اللجوء إلى كل ما صح من أثر بصدد التعرض لأي سورة أو موضوع قرآني.

4 - قد يفتح الله لبعض عباده من إشراقته حول كتابه ما يمتنع عن غيره و هذا أمر مشاهد معلوم، و لا أدل على ذلك من تفوق عبد الله بن عباس على حداثة سنه على باقي الصحابة في فهم كتاب الله و أبي بن كعب و غيره من الثلة الذين كانوا يعدون مرجعية تفسيرية في عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين و قد أشرنا إلى ذلك في المقدمة.

بعد هذه التنبيهات الواجبة نعرض هذه النقاط:

النقطة الأولى: إن التفسير الموضوعي عمل حديث و علم ناشئ حتى و إن كانت له بوادر قديمة إلا أن المتفق عليه أنه علم بكر ناشئ.

النقطة الثانية: كل العلوم الشرعية درست إلى درجة التخمة و وضعت لها حواشي و على الحواشي حواشي إلى درجة الاحتمالات الفقهية و استحداث قضايا ربما تحدث سواء أم لم

تحدث، في علم الحديث متنا و مصطلحا أو التعرض إلى التفسير بأنواعه التحليلي ة أو الصوفية الإشارية أو الأدبية أو التعرض إلى مفرداته و غريبه و غيره من المواضيع. إلا ما كان من التفسير الموضوعي الذي هو روح القرآن الكريم الذي لم يراوح مكانه إلى حد الساعة .

النقطة الثالثة: معظم الأعمال التي وصلت إلينا اليوم كان اهتمامها بالسورة القرآنية اهتماما قليلا إلا ما كان من بعض الطفرات التاريخية فقد تعرض لها البقاعي – رحمه الله– (ت 885) و إن كان بنوع من التعسف و في العصر الحديث تعرض لها كل من سعيد حوى نظريا بدقة متناهية لكنها بحاجة إلى عمل تطبيقي ميداني، و محمد الغزالي –رحمه الله– الذي عمل في بعض السور القرآنية كتابة و مشافهة، كما تعرض لها كل من رشيد رضا و محمد شلتوت و المراغي و محمد عبده و غيرهم.

النقطة الرابعة: لا نجزم نهائيا بأن اكتشاف موضوع سورة قرآنية هو اكتشاف نهائي بل يعد عملا تقريبيا بشريا قابلا للنقد.

النقطة الخامسة: كانت دراستنا تقليدية محضة لم أتطرق فيها إلى عملية نسخ و لصق (copier –coller) إلا في حالات نادرة كآية قرآنية أو حديث نبوي شريف حتى تكون دراستنا موضوعية بحتة بعيدا عن كل إيغال و حشو و إطناب.

النقطة السادسة: ربما تكون هذه أهم نقطة تتعلق بمصطلحات البحث، ففي حين لم أعثر على مصطلح دقيق متعارف عليه أو متداولا في ميدان موضوع السورة القرآنية ترددت كثيرا في مصطلح بإمكانه أن يكون جامعا مانعا يعم جميع مواضيع السور القرآنية، اصطلحنا عليه بالذوق، فمثلا هنالك سور كثيرة متشابهة في الموضوع كالحشر أو القيامة أو البعث لكن في حقيقة الأمر الإختلاف يقع بينها في ما أطلقنا عليه ذوقا و مثال ذلك – إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما – بأذواق المشروبات فقد يكون المنتج واحدا يحمل نفس الشعار و بنفس المركبات – كتشابه الصور – إلا أن الخلاف يقع في أن هذه بذوق البرتقال و هذه بذوق الليمون و الأخرى بذوق آخر و المزية في ذلك أن باختلاف أذواق الناس في المأكل و المشرب كذلك يختلفون في تلقي الكلام، فهناك من تؤثر فيه سورة أكثر من غيره و هذا مشاهد و قديم، ففي زمن النبي صلى الله عليه و سلم ثبت أنه قرأ بسورة الطور فلفظ أحد الأحباش آخر أنفاسه لسماعها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لقد تاقت نفس أخيكم إلى الجنة. و اشتكى بعضهم من قراءة أمامهم بسورة واحدة فلما سأله

النبي صلى الله عليه و سلم ذكر له أنه يحبها فأجازه على ذلك و رسول الله صلى الله عليه و سلم ذاته قال شيبتني هود و أخواتها.

و هذا الاصطلاح الذي أطلقنا عليه الذوق قد يأتي من يستحدثه أو يقومه أو يستبدله بمصطلح أدق.

لست أزعم أني حققت كل ما كنت أصبو إليه و لكن ما بينته كان غايتي. أسال الله أن يقوم ما كان فيها من عوج فكفانا فيها إخلاص العمل و مشقة التتبع و الحرص على التثبت.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأصلي و أسلم على النبي محمد الأمين و آله و صحبه أجمعين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رأس الآية	السورة	ص
105	﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا	الإسراء	7
53	﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ	فصلت	8
109	﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى	الكهف	9
48	﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ	القلم	10
37	﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ	الإسراء	10
42لا	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ	هود	12
122	﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ	التوبة	15
122	﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ	التوبة	15
33	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ	الفرقان	24
4	﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ	الزخرف	32
98/97	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ	آل عمران	34
11~7	﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ	الرحمن	34
15~13	﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ	الغاشية	34
31	﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ	يوسف	34

6~1	﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ	المطففين	35
47	﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ	الأنبياء	35
36	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ	آل عمران	35
276	﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ	البقرة	36
93~90	﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ	الحجر	38
284	﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ	البقرة	42
104	﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا	البقرة	44
176	﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ	الأعراف	44
51~44	﴿ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ	الدخان	47
17	﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ	القمر	55
85	﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ	البقرة	56
16	﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ	النحل	56
67	﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ	المائدة	58
204	﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ	الأعراف	58
63	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ	النساء	59
17	﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ	الأنبياء	59

109	﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي	الكهف	59
44/43	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ	النحل	61
51	﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ	القلم	64
70~68	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ	التوبة	66
6~1	﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ	البقرة	66
7	﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ	آل عمران	66
2/1	﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ	الأنفال	67
110~98	﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ	الكهف	67
67	﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ	المائدة	72
56	﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ	القصص	72
22/21	﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ	الغاشية	72
156	﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ	البقرة	77
109	﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي....	الكهف	78
44	﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡۖ	فصلت	78
46	﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ	الإسراء	78

17	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ	القمر	80
82	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ	الأنعام	83
13	﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	لقمان	83
37	﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ	البقرة	83
23	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا	الأعراف	84
1	﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ	المائدة	84
3	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ	المائدة	84
80	﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ	يس	88
28	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ	الرعد	88
215	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ	البقرة	94
272	﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ	البقرة	94
32	﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي	ص	94
33	﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ	النور	94
23/22	﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ	الأنفال	95
70	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ	الأنفال	95
105	﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ	البقرة	95

25	﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ	ق	96
12	﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ	القلم	96
118	﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ	المؤمنون	96
52	﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ	الزخرف	96
107	﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ	يونس	96
33	﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى	الحج	96
24	﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ	القصص	96
25	﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ	الأحزاب	97
38	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ	الأنعام	97
213	﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ	البقرة	97
48	﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا	المائدة	98
104	﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ	آل عمران	98
122	﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ	التوبة	98
22	﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ	الزخرف	98
45	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ	يوسف	99
120	﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا	النحل	99

13	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ	الجاثية	102
134	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ	آل عمران	106
15	﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ	الحج	111
139/138	﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ	الأعراف	112
136	﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ	الأعراف	112
62	﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ	الشعراء	112
90	﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ	يونس	112
138	﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ	الأعراف	112
24	﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ	المائدة	113
31~28	﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي	هود	114
29	﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ	هود	115
56~54	﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ	النمل	116
54	﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ	النمل	116
29	﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ	العنكبوت	116
52	﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ	الزخرف	116
23~21	﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ	الأحقاف	117
21	﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ	الأحقاف	117

22	﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا	الأحقاف	117
22	﴿ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ	الأحقاف	117
188	﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ	الأعراف	118
24	﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ	الأحقاف	118
16	﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ	ص	118
111~109	﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ	الأنعام	120
260	﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ	البقرة	120
82	﴿ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ	النمل	120
109	﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	الأنعام	121
59	﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ	الإسراء	121
273	﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ	البقرة	122
92~88	﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ	يوسف	124
5	﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ	يوسف	124
43	﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ	فاطر	124
15	﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ	يوسف	124
87	﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ	يوسف	125

95	﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ	يوسف	125
63	﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ	الفرقان	126
34	﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ	فصلت	126
66~62	﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ	الزمر	126
64	﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ	الزمر	127
55~52	﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ	القصص	127
82	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا	المائدة	128
55	﴿ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ	القصص	128
7	﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ	الأنبياء	128
67	﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ	البقرة	129
24	﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا	المائدة	129
47~45	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي	هود	129
36	﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ	هود	130
42	﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ	هود	131
43	﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ	هود	131
10	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ	الحجرات	131
1	﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ	المسد	131

47	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي	هود	132
48	﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ	هود	132
34~30	﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ	يوسف	133
36~33	﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ	الأنعام	134
8	﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ	فاطر	134
22	﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ	الغاشية	134
56	﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ	القصص	134
67	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ	المائدة	135
200/199	﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ	الأعراف	135
73/72	﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	الأحزاب	137
54	﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا	الأنعام	138
119~144	﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا....	النحل	139
18/17	﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ	النساء	140
6	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ	الحجرات	137
154~152	﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ	آل عمران	140
154	﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ	آل عمران	141
50~48	﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا	المائدة	142

34~32	﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ	الأحزاب	144
37	﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا	الإسراء	145
31	﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ	الأعراف	145
59	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ	الأحزاب	145
26~24	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم	الفتح	148
3	﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا	التحريم	152
82	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ	النساء	153
44	﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا	فصلت	154
12	﴿ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا	الفرقان	155
35~33	﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ	ق	155
52~1	﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ	الحاقة	156
24~11	﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ	الصافات	157
43	﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ	الأعراف	159
8	﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ	مريم	160
16	﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ	فصلت	160
134	﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡ	البقرة	162
200	﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ	الشعراء	162

101~97	﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ	الشعراء	162
10~7	﴿ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ	المعارج	163
18/17	﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ	غافر	163
44	﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا	فصلت	163
32	﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا	هود	165
44	﴿ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ	الأنبياء	166
63	﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ	الأحزاب	166
52~48	﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ	القلم	148
47~44	﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ	الحاقة	185
52~50	﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ	الحاقة	187
1	﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ	المعارج	188
9/8	﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ	المعارج	188
44	﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ	المعارج	188
127	﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ	النحل	190
25	﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ	التوبة	190
40~1	﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ	القيامة	194
30/29	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن	سبأ	197

	كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ		
43	﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ	إبراهيم	197
47	﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ	الشورى	198
49	﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ	الكهف	198
14	﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا	الإسراء	198
18	﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ	المجادلة	199
57	﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ	الروم	199
19~16	: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ	القيامة	203
3	﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ	فصلت	205
114	﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ	طه	206
37	﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ	الإسراء	207
17~15	﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا	الطارق	207
67	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ	المائدة	208
30	﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ	الأنفال	208
6	﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ	القيامة	209
4	﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ	القيامة	209

9/8	﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ	المدثر	209
25~11	﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا	المدثر	210
37~31	﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً	المدثر	211
51~49	﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ	المدثر	211
53	﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ	المدثر	211
79/78	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ	يس	212
20	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا	الإنسان	212
28	﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ	الإنسان	213
6~4	﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ	المطففين	214
26	﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ	الجاثية	214
2	﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ	القيامة	214
24	﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ	النور	215
3	﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ	القيامة	215
6	﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ	القيامة	215
11/10	﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ	النازعات	216
4	﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ	القيامة	216
179	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ	الأعراف	217

57	﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ	غافر	218
28	﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ	لقمان	218
7	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا	الشورى	218
9	﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ	التغابن	218
9	﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ	التغابن	219
53	﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً	يس	219
50/49	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ	الواقعة	220
13	﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ	القيامة	220
49	﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ	الكهف	220
19~16	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ	القيامة	220
11	﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ	الإسراء	221
37	﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ	الأنبياء	221
16	﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ	ص	221
25~22	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ	القيامة	221
29/28	﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ	القيامة	222
15/14	﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ	الطور	222
7	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ	هود	222

143	﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ	آل عمران	222
93	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا	الأنعام	223
19	﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ	ق	223
99	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ	المؤمنون	223
40~38	﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ	القيامة	224
45	﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ	النجم	224
29	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	الشورى	224
21	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا	الروم	224
25	﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى	طه	225
6/5	﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ	القيامة	227
18	﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ	الشورى	228
7	﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ	القيامة	228
62	﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ	الأنعام	228
50	﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ	القمر	228
2/1	﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ	الأنبياء	229
1	﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ	القمر	229

17	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ	الشورى	229
19~16	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ	القيامة	230
16	﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ	الزمر	231
61~58	﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ	النجم	232
52/51	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ	الزخرف	233
6~4	﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ	المطففين	233
48	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ	إبراهيم	233
2	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ	الرعد	234
40	﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ	يس	234
44/43	﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ	القلم	234
107~105	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا	طه	235
47	﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ	الشورى	235
18	﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ	الحاقة	235
49	﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ	الكهف	235
22/21	﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ	البروج	236
17	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ	طه	237
18	﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا	طه	237

180	﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ	البقرة	238
143	﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ....	آل عمران	238
185	﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ	آل عمران	238
18	﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ	النساء	239
82	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ	النساء	239

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث الشريف	الراوي	ص
1	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ	صحيح البخاري	46

2	من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار	صحيح البخاري	26
3	أذن لي أن أحدثكم عن ملك	أبو داود	174
4	المؤمن يعطى كتابه بيمينه، فكلما قرأ سيئة تغير		174
5	فكاتبوهم	ابن كثير	105
7	اللهم إن تهلك هذه العصابة		143
8	كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع		151
9	« يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ	صحيح مسلم	152
10	" هل تضامون في رؤية الشمس والقمر ليس	أحمد	215
11	إنكم ترون ربكم كذلك	أحمد	215
12	طغى الماء على خزنته	أبو داود	211

فهرس الأشعار

الرقم	البيت الشعري	ص
1	ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم	42
2	إذا نقلنا إلى قوم رحانا يكون لها عند اللقاء طحينا	47
3	ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا	47
4	إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابرة ساجدينا	47
5	ومازال تشرابي الخمور ولذت وبيعي وإنفاقي طريفي و متلدي	48
6	ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل ما قام عودي	48
7	إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد	48
8	أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد	48
9	فلو كان مولاي امرءا هو غيره لفرج كربي أو لأنظر غدي	49
10	وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند	49
11	ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزودي	49
12	ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد	49
13	و لو أن مجدا أخلد الدهر واحد من الناس أبقى مجده الدهر مطعما	68
14	وقبر حرب بمكان قفر و ليس قرب قبر حرب قبر	68
15	رب ورقاء هتوف في الضحا ذات شجو صدحت في فنن	70
16	دعاك الهوى و استجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء و الشيب شامل	111
17	كالغراب اعتلا في الشجرة يحسب كل الناس تحته غربان	120
18	ما بقي في الأذهان شيء إذا طلب للشمس دليلا	120
19	إذا كان الجميل يحب طبعا فإني أكره الصبر الجميل	126
20	و من يكن ذا فم مر مريض يجد به مرا الماء الزلال	132
21	ذو أمة وهو طائع	80
22	الناس آلت علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا وزر	204
23	سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي من وصل غانيةٍ وطول عناق	221

24	أماويَ ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر	229
25	إذا كان الجميل يحب طبعا فإني أكره الصبر الجميل	132
26	تقول لي أهلكت مالك فاقتصد وما أنا لوما تقولين سيدا أريني جوادا مات هزلا لعلي أرى ما ترين أو بخيلا مخلد	229
27	أماوي إن المال غاد ورائ يبقى من المال الحديث والذكر و قد علم الأقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر	229
28	ومن يكن ذا فم مر مريض يجد به مرا الماء الزلال	138
29	وشر من الموت الذي إن لقيته تمنيت منه الموت والموت أعظم	175
30	أأبيت سهران الدجى وتبيت نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي؟؟	221

فهرس المجلات والدوريات

- مجلة ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر لسنة مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية الجزائر 1983 ص 97.
- مجلة رسالة التربية،كلية التربية بالمدينة المنورة،عدد02 (1397/1977)

فهرس المراجع والمصادر

✓ المصادر

- القرآن الكريم، رواية حفص، دار المصحف، شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد،القاهرة، مصر
- المعجم الوسيط؛ إخراج كل من:إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، عبد الحليم منتصر، محمد خلف الله الأحمر.دار الأمواج، بيروت.الطبعة الثانية 1410/1990.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، قدم له الشيخ العلالي عبد الله

✓ المراجع

أ
– إبراهيم السمرائي، فقه اللغة المقارن دار العلم للملايين، بيروت الطبعة 3،1983
– ابن الجوزي فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن
– ابن القيم الجوزية، الفوائد، مكتبة الخانجي، القاهرة
– ابن خالوية ، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق عبد العالي سالم مكرم دار الشروق ط1 ، القاهرة
– ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، دار التراث ، القاهرة
– ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق سعيد نمر الخطيب، دار المعرفة
– ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت
– ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار الثقافة ـ الجزائر ـ الطبعة الأولى 1990/1410
– أبو الأعلى المودودي، التشريع الإسلامي والدستور، 1960،
– أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة ـ بيروت
– أبو السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(ت982هـ)
– أبو الفتح عثمان بن جني(ت392ه) ، تحقيق محمد علي النجار الهدى للطباعة والنشر ، الطبعة 2
– أبو جعفر الزبير الغرناطي،البرهان في ترتيب سور القرآن، المغرب
– أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت

– أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد، نشر سلامي الخانجي، مصر
– أبو علي الفارسي ، القياس في النحو تحقيق منى إلياس
– أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، دار التراث
– أبو يحي زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، مكتبة رحاب، الطبعة 2 ،1988
– أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النيسابوري ، أسباب النزول ، قصر الكتاب، البليدة
– إحسان توفيق الثابت والمتغير في القرآن الكريم، بعدراني، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،الطبعة الأولى 2005/1426
– أحمد السيد الكومي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،
– أحمد الصاوي المالكي ، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين
– أحمد بن عثمان رحماني ، مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008
– أحمد رحماني، مصادر التفسير الموضوعي
– أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي،بيروت
– أحمد مهنا، الإنسان في القرآن الكريم.
– الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق هدى محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى
– الإسكافي الخطيب، درة التنزيل وغرة التأويل، ، دار الآفاق ، بيروت
– إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، باب العين، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم

للملايين – بيروت
محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان
- الإمام القرطبي ،. الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ)تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة : الثانية ، 1384هـ - 1964 م
- الإمام محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة
- أمين الخولي التفسير: نشأته، تدرجه، تطوره
- أنيس فريحة، نظريات في اللغة الألسنية، دار الكتاب اللبناني، بيروت
ب
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب محمد، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صخر، دار المعارف، القاهرة
-
- برهان الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت
- البقاعي برهان الدين أبي الحسن إبراهيم نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، منشورات دار الكتب العربية، الطبعة2003،2م،1424 ه بيروت
- بكري الشيخ أمين،التعبير الفني في القرآن الكريم، الطبعة 2،1986 القاهرة
-
- بن علي الحسن بن أحمد الفارسي، التكملة في الإيضاح العضدي،تحقيق الدكتور الحسن الشادلي فرهود، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر،1984
بابا عمر.اللسانيات الهامة الميسرة.دار أنوار الجزائر.1990.ص145
ج
– الجاحظ ، أبو عثمان بن بحر ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار المعارف،القاهرة، ط3
– جار الله الزمخشري ، تفسير الكشاف؛: دار الكتاب العربي.الطبعة الثالثة1987/1407
– جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، دار الفكر، مصر الطبعة1، 1977
– البخاري الجامع الصحيح ، دار الشعب – القاهرة ، ط الأولى ، 1407 - 1987
– -جلا ل الدين السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن الكريم، دار بوسلامة، تونس
– جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ،بيروت، الطبعة1988
– جلال الدين السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، مكتبة دار المنهاج،الرياض،الطبعة الأولى 1426
ح
– الحافظ ابن كثير ، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، دار الكتب للملايين الطبعة 1983/1
– حامد أحمد نبيل من أساليب القرآن بين المعنى والصناعة النحوية،
– حسن إسماعيل عبد الرزاق، النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، القاهرة
– حسن البنا ، مقدمة في التفسير، دار القرآن الكريم، الكويت
– حسن محمد باجودة، نهوض القرآن بخصائص اللغة العربية التعبيرية

– خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الطبعة3، 1997دار الفكر – دمشق ، ط: الأولى - 1422 هـ
ز
– زاهر عواض. المدخل إلى التفسير الموضوعي
–
س
– سعيد جاسم الزبيدي، سؤال في التفسير، ، توزيع دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،الطبعة1425،2005/1
– سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة1، 1985
– السيد الجميلي، الإعجاز الفكري في القرآن، دار الشهاب، الجزائر
– سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق
– سيد قطب، مشاهد يوم القيامة، دار الشروق، الطبعة7، 1989
ش
– الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات ، مكتبة محمد علي صبيح ،القاهرة
– الشريف قصار، معاني الحروف في القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
– شفيق العلوي ، محاضرت في المدارس اللسانية المعاصرة، ص52/51 أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع.الطبعة الأولى.2004
– الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل،تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعو، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1996
ص
– صلاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق
– صلاح الفضل، بلاغة الخطاب وعلم النص،الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة،1996

– صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ط1.ط: الرابعة 1407 هـ -1987
ط
– الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية لنشر، تونس
– طنطاوي جوهري ، الجوهرن تفسير القرآن الكريم، مطبعة الحلي ،مصر 1341ه
– طول محمد، النية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية
ع
– عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت
– عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، المكتبة العصرية، بيروت
– عبد الباقي محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الفكر، بيروت،1986
– عبد الجليل عبد الرحيم ،التفسير الموضوعي بين دقتي الميزان
– عبد الحميد غانم ، التفسير الموضوعي
– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي،وقضايا النص،منشورات دار القدس العربي،وهران،ط1 ، 2009
– عبد الحي حسين الفرماوي ، جمهورية مصر العربية - محافظة المنوفية
– عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن – تحقيق عمار الطالبي ،المؤسسة الوطنية لكتاب ،الجزائر
–
– عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن،تحقيق د عمار طالبي.المؤسسة الوطنية للكتاب. عبد المعطي جاب الله سالم، الدلالة والاشتقاق في اللغة، إعجاز القرآن بين النحو والبيان، دار الكتاب الحديث، طبعة2009/1430

– ، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل دار القلم،الطبعة الثانية’1989/1409،
– عبد الرزاق نوفل، الإعجاز العددي في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
– عبد الستار سعيد ، مدخل إلى التفسير الموضوعي.ط2 .1991. دار التوزيع والنشر الإسلامية
– عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، القاهرة
– الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت ط1
– عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان، ،ص358 ـ دار المعرفة، بيروت
– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت
– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ، موفم للنشر1991.
– عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسة السابقين، دار الفكر العربي، القاهرة 1964
– عبد الله الخطيب، القرآن نظمه وترتيبه، دار الفكر العربي، الكويت
– عبد الله دراز، النبأ العظيم، مطبعة السعادة، القاهرة، 1960
– عز الدين بليق، موازين القرآن، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة2، 1984
– علي بن محمد، مختارات من الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة1986،2
– علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، دار النهضة، مصر
– عبد الحي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي ،دراسة منهجية موضوعية

– عادل عبد الله القليقلي كشوف جديدة في إعجاز القرن الكريم،
ف
– الفخر الرازي التفسير الكبير ، 157/9، مطبعة البهية المصرية 1938
– الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط3
–
ق – ك – ل
– القاضي عبد الجبار الهمذاني، متشابه القرآن، تحقيق عدنان محمد زرزور، دار الترث ،لبنان،
–معايير تحليل الأسلوب. ترجمة د.حميد الحمداني ص7/05
– لبيب السعيد، الجدل في القرآن الكريم، دار المعارف ، ط2 القاهرة
م
–مجلة البيان، عدد 77، مقال: 3
– محمد االبستاني، دراسة علم النفس الإنساني، بيروت ، لبنان، ط2
– محمد أحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي في القرآن الكريم، القاهرة
– محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (1393هـ)
– محمد السيد شيخون، أسرار التقديم والتأخير في القرآن ، مطبعة الأزهر
– محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الهدى، الجزائر
– محمد الغزالي، نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.
– محمد المكي القاهري،التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب

الإسلامي
– محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ، ص13/12 دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان
– محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (256هـ)
– محمد حسين الذهبي ،التفسير و المفسرون ، ج1
– محمد حناوي، الفاصلة في القرآن الكريم
– محمد رجب البيومي، البيان القرآني – محدم خلف الله الفن القصصي في القرآن الكريم، ، مكتبة النجلو المصرية، الطبعة2
– محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن الكريم مكتبة الفاري، الطبعة2
– محمد شلتوت، إعجاز القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة
– محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة1، 1980
– محمد صغير بنانب، النظريات اللسانية والأدبية عند الجاحظ، ديوان المطبوعات الجامعية،1983
– محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، دار القلم، الكويت ، ط4، 1977
– محمد عزت دروزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي
– محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، 1988/1408
– محمد متولي الشعراوي، معجزة القآن، شركة الشهاب ، الجزائرن1988،
– محمد محمود حجازي،الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة،شارع الجمهورية العابدية، الكويت،1980الوحدة الموضوعية في سورة يوسف،محمد باجودة، جدة
– مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي،دار البشير،

جدة،الطبعة 5 ،2007/1428
– مصطفى ناصف ، نظرية المعنى في النقد العربي
– منصور كافي، التفسير الموضوعي، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع،ط2004/1
– ا لدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي/ا ،طبعة: 1415 هـ - 1995 مـ – ، بحوث في أصول التفسير ، ،المكتب الإسلامي،الطبعة الأولى،1988/1408 ،بيروت
و
– الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، دار المعرفة، بيروت، لبنان
– وهبة بن مصطفى الزحيلي ، التفسير الوسيط

فهرس الموضوعات

مقدمة.....	
قصة الاختيار.....	05
أسباب اختيار الموضوع.....	07
الإشكالية والحقيقة.....	11
حاجة المجتمع إلى هذا النوع من التفسير.....	

الصعوبات..... 14
أهمية الموضوع.....
المصطلحات..... 15
تصور الموضوع وكيف تم تناوله..... 17
خاتمة.....

الفصل الأول

التفسير الموضوعي مفهومه جذوره، الفكرة والنشأة..... 21

المبحث الأول: مفهومه وجذوره..... 21
المطلب الأول: مفهومه..... 21
تعريف التفسير الموضوعي.....
التعريف اللغوي.....
تعريف الموضوع..... 22
التعريفات الاصطلاحية للمعنى المركب..... 23
وقفات مهمة..... 26
تحقيق موضوعي حول لفظة "الموضوعي"..... 29
نقد هذه الفكرة.....
المطلب الثاني: الموضوع في الآداب العالمية..... 39
الموضوع كمصطلح والآداب العالمية ومفهوم المقصدية الأدبية..... 39
تمهيد.....
مفهوم المقصدية الأدبية..... 40
هل المقصدية تعني الموضوع؟..... 41
نموذج القصيدة العربية (شعر الجاهلية نموذجا)..... 46
توطئة.....
نماذج من شعر الجاهلية..... 46

النموذج الأول: قصيدة عمرو بن كلثوم 46
النموذج الثاني: طرفة بن العبد..... 48
نماذج غربية.. آدغار آلان 1849/1809..... 50
ساعتي.....
البلاغة تأثير قبل أن تكون اكتشاف محسنات بيانية..... 51
تكوين موضوع بتجميعه من القرآن الكريم هل يعد تفسيرا موضوعيا؟..... 53
خلاصة..... 55

المبحث الثاني: الفكرة والنشأة..... 57
المطلب الأول: فكرة التفسير الموضوعي..... 57
أحوال ارتباط الآي بعضها ببعض..... 61
التفسير الموضوعي تاريخيا..... 65
تطبيقات التفسير الموضوعي..... 66
أثر الأساليب في توجيه الموضوع..... 68
البعد التأثيري والبيان اللفظي..... 69
عدم شمولية تفسير السابقين لموضوع السورة القرآنية..... 70
المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي الحديث..... 73
شروط المفسر لهذا اللون..... 75
منزلة منهج التفسير الموضوعي بين مناهج التفسير الأخرى..... 79
تاريخ البحث في التفسير الموضوعي للسور القرآنية..... 82
وقفة مع هذا التعريف..... 85
خطوات تفسير السورة القرآنية..... 87

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي من خلال الموضوع والمصطلح..... 88

المبحث الأول: التفسير الموضوعي من خلال الموضوع القرآني..... 89

المطلب الأول: ألوان التفسير الموضوعي.....	89
اللون الأول: الكلمة تصير موضوعا.....	
نماذج لهذا اللون من التفسير.....	
نموذج الأمة للأصفهاني.....	
اللون الثاني: اختيار الموضوع المراد دراسته.....	95
اللون الثالث: السورة هي الموضوع.....	96
المطلب الثاني: إطلاقات الصبر في القرآن الكريم.....	98
تمهيد تعريفي.....	
التفسير الموضوعي لموضوع قرآني معيّن.....	99
دراسة موضوعية لموضوع الصبر في القرآن.....	100
المبحث الثاني: التفسير الموضوعي لمصطلح قرآني.....	102
المطلب الأول: مظان مادة الجهل في اللغة و الحقل القرآني.....	
تعريف تمهيدي.....	
تطبيق التفسير الموضوعي على مصطلح الجهل في القرآن الكريم	
معنى جهل في اللغة.....	103
تعريف الراغب الأصفهاني.....	104
جدول ورود مادة الجهل في السياق القرآني.....	
المطلب الثاني: التفسير الموضوعي من خلال المصطلح القرآني.....	106
اللون الأول: الغفلة السريعة.....	107
اللون الثاني: نوح.....	109
اللون الثالث: حين تنقلب الموازين.....	111
اللون الرابع: عنادهم و هود عليه السلام.....	112
خلاصة: جرد وتقصي مواضع "تجهلون" في المواضع السابقة.....	114
مادة: "يجهلون".....	117
من المقصود بـ (أكثرهم يجهلون).....	

مادة: الجاهل و الجاهلون (اسم الفاعل).....
معانيها حسب مواقعها: الجاهل بمعنى " غير المطلع".....
1: الحسد و الطيش أورث جهل الحال و المآل.....
2: "الفرار من الجاهل الذي يمس بالوقار".....
3: الجهل المفضي إلى طلب المستحيل..... 121
4: الانتصار الهادئ عن جاهل الدين.....
5: الترفع عن مستوى القوم الجاهلين.....
6: تذكر يا نوح أنك نبي وتذكر أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.....
7: يوسف يترفع عن درجة الجاهلين.....
8 : يا محمد لا تطلب المستحيل إن الله يهدي من يشاء.....
9: الترفع سمتك والعفو سجيتك والاحتراز من نزغ الشيطان دأبك.....
مضارب اسم الفاعل الجاهلين..... 131
صيغة المبالغة جهول..... 131
المصدر الجماعي جهالة..... 133
الجهالة في سورة الحجرات..... 135
الجاهلية في السياق القرآني..... 137
1: ظن الجاهلية.....
2: حكم الجاهلية..... 140
3: جاهلية الأخلاق.....
وقفة مع كلمة الأولى: متى بدأت الجاهلية..... 144
4: الجاهلية بمعنى الحمية و العصبية.....
5 : فروق تفاوت الجاهلية في المواضع الأربعة..... 147
خلاصة الجولة مع المصطلح..... 148

الفصل الثالث 150
العمل التطبيقي على بعض السور القرآنية (سورة الحاقة)..... 151

المبحث الأول: التفسير الموضوعي لسورة الحاقة..... 156
المطلب الأول: بين يدي السورة، الوسائل والتحليل .....
العرض التطبيقي.....
عرض السورة كاملة.....
تعريف بسورة الحاقة.....
التفسير التحليلي لسورة الحاقة..... 157
الخلاصة..... 163
المطلب الثاني: تقسيم السورة موضوعيا و موقعها بين السور المجاورة..... 164
حسن المجاورة..... 171

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي للسورة.....
المطلب الأول: تلخيص موضوع السورة.....
هيكل هذه السورة من خلال تطبيق القاعدة الموضوعية.....
الفقرة الأولى.....
الفقرة الثانية.....
وقفة مع هذه الفقرة المتوسطة..... 182
الفقرة الثالثة.....
المطلب الثاني: حسن مجاورة هذه السورة مع السورتين اللاحقتين..... 187
وجه التناسب بين سورة الحاقة و هذه السورة..... 188
حين تضيق صدور الأنبياء.....
خاتمة..... 191

الفصل الرابع
العمل التطبيقي على بعض السور القرآنية (سورة القيامة)..... 194

المبحث الأول: التفسير الموضوعي لسورة القيامة.....

المطلب الأول: بين يدي السورة، التفسير والتحليل.....
سورة القيامة.....
تعريف بالسورة.....
تفسير السورة تحليليا.....
المطلب الثاني: التقسيم الموضوعي للسورة..... 202
التقسيم الموضوعي لحصر العائلة الموضوعية الأكثر شيوعا.....
العلة التي توسطت السورة..... 203
ماهية هذه العلة.....
عود على بدء.....
معالجة هذا الرأي..... 205
عود على بدء والتنظير الموضوعي.....

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي للسورة..... 209
المطلب الأول: علاقة سبب النزول بموضوع السورة.....
سبب النزول.....
علاقة الجوار بالسور الأخرى المجاورة 210
علاقة سورة الإنسان اللاحقة بسورة القيامة..... 212
تمهيد.....
الفئة الأولى: الجمع..... 213
الفئة الثانية: العجلة..... 225
الفئة الثالثة: الزمن..... 230
الروابط الموضوعية بين الفئات الثلاثة وعلّة السورة..... 234
المطلب الثاني: الربط الموضوعي بين أعضاء السورة.....
سورة القيامة وثنائية { العجلة و الجمع}.....
طي الورقة.....

الخاتمة..... 241
خلاصة البحث وأهم نتائجه.....
الفهارس..... 206
فهرس الايات القرآنية.....
فهرس الحاديث النبوي.....
فهرس المصادر والمراجع .....
فهرس الموضوعات .....